إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع والعشرين من القرآن الكريم (سورة الإسراء الآيات: 1-98)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

اسم الطالب: محمد طاهر محمود القرم Student's name:

التوقيع: Signature:

التاريخ: 2015/07/29 Date:

الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع و العشرين من القرآن الكريم

(سورة الإسراء الآيات: ١-٩٨)

The analytical study

party The purposes and objectives of the Twenty nine

of the Quran (Sure of repentance Israa : ١-٩٨)

إعداد الطالب
محمد طاهر محمود القرم

إشراف الدكتور
زهدي محمد أبو نعمة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم Ref ..... ج س غ/35/

التاريخ Date 2015/07/22م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ محمد طاهر محمود القرم لنيل درجة الماجستير في كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن وموضوعها:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع والعشرين من القرآن الكريم

(سورة الإسراء الآيات: 1-98)

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الأربعاء 05 شوال 1436هـ، الموافق 2015/07/22م الساعة الواحدة ظهرًا، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. زهدي محمد أبو نعمة	مشرفاً و رئيساً	.....
د. محمود هاشم عنبر	مناقشاً داخلياً	.....
د. ماجد رجب سكر	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

Research & Graduate Affairs

أ.د. فؤاد علي العاجز

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ الإسراء: ٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهـــداء

أهدي هذه الرسالة إلى سر وجودي، النبع الصافي والديّ العزيزين، اللذين أرضعاني حبَّ العلم، وحبَّ الجهاد، والصبرَ معنا، على مرارة السجن، وقهر السجّان، وقساوة الإبعاد.

- إلى إخوتي، وأخواتي، وأعمامي، وعماتي، وأخوالي، وخالاتي، وأبنائهم.

- إلى شريكة العمر، ورفيقة الدرب، التي شاركتني الحياةَ بكدِّها، وتعبها قبل هنائها وسعادتها.

- إلى ولديّ الحبيبين: عبادة، وسندس حفظهما الله.

- إلى رافعي رايات الجهاد والحق.

- إلى الأسرى الذين تركتهم خلفي في سجون الاحتلال.

-إلى روح الشهيد القائد أحمد الجعبري، وإلى روحيْ الشهيدين حامد الرنتيسي ومحمد فروانة وإلى شهدائنا الأبرار جميعًا، الذين كانوا سبباً بعد الله في الإفراج عني من سجون الاحتلال.

- إلى كل من يغرس في أبنائه حبَّ الله، وحبَّ رسوله، وحبَّ المؤمنين.

- إلى الأهل جميعًا في جنين القسّام.

إليكم جميعًا أقدّم هذا الجهد المتواضع راجياً من الله تعالى أن يتقبله مني وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

أحمد اللهَ حمداً كثيرًا طيبًا مباركًا، فيه ملئ السموات والأرض وما بينهما أن منَّ عليّ بإتمام هذه الرسالة ويسّرها لي، وامتثالاً لقوله تعالى: **{وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}** [لقمان: 12]، وانطلاقًا من قوله ﷺ: **(من لا يشكر الناسَ لا يشكرُ الله)**[1]، واعترافاً لأهل الفضل بفضلهم، فإنني أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي ومشرفي فضيلة **الدكتور/ زهدي محمد مطر أبو نعمة** حفظه الله، الذي لم يدخر جهداً في نصحي ودعمي وإرشادي، وما بخل عليّ في وقتٍ أو جهد بالتوجيه والإرشاد لإتمام هذا البحث وإخراج هذه الرسالة العلمية في أحسن صورة.

كما وأتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأستاذيّ الفاضلين المناقشين لهذا البحث:

الدكتور/ محمود هاشم محمود عنبر حفظه الله

الدكتور/ ماجد رجب العبد سكر حفظه الله

لتفضلهما بقَبول مناقشة هذه الرسالة وعلى ما سيقدمانه من توجيهات ونصائح مهمة لتخرج بإذن الله بأفضل ما تكون عليه من أبحاث سابقة، وهي التي سوف يؤخذ بها بعين الاعتبار.

كما أتقدم بجزيل الشكر لهذا الصرح الشامخ جامعتي الإسلامية الغراء، منارة العلم والعلماء.

والشكر موصول لأساتذتي الكرام في كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن الذين نهلتُ من علمهم الغزير وكانوا عوناً لي على فهم كتاب الله عز وجل وحسن تفسيره، وكما أتقدم بالشكر لعمادة الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية، وكل من ساهم في إخراج هذا البحث من ناحية لغوية وطباعة وتنسيق.

ولا أنسى أن أتقدم بعظيم الشكر والحب والامتنان لمجاهدي العز– فخر الأمة– الذين كانوا سببًا بعد الله في إخراجي من السجن والجلوس بين حضراتكم.

([1]) رواه الإمام أحمد في مسنده: ح(11702)، 18/ 233، والترمذي: ك(أبواب البر والصلة)، ب(ما جاء في الشكر لمن أحسن إليه)، ح(1954)، 339/4. وصححه الألباني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، عدد ما أحصاه كتابُه، و خطَّه قلمُه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، المبعوث رحمة وهدى ونورًا للعالمين.

أما بعد:

إنَّ علم التفسير من أعظم العلوم وأشرفها؛ لأنه متعلق بأصدق الحديث ألا وهو كلام الله سبحانه وتعالى، ولاشك أن من حاز هذا العلم فقد حاز شرفاً عظيماً.

فالقرآن الكريم مستودع من الأسرار الإلهية والإشارات الربانية، فالإنسان حينما يتأمل ويتبحر في القرآن الكريم، يجد فيه علاجًا شافيًا لجميع مشكلات هذا العصر، والمنهج القرآني فيه إصلاح للفرد والمجتمع والأمة، بل والعالم بأسره، فلذلك كان لا بدَّ من الوقوف على أهدافه ومقاصده ومراميه، من خلال هذا البحث والذي بعنوان:

(الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع والعشرين من القرآن الكريم)

" سورة الإسراء الآيات: ١-٩٨"

أسأل الله عزَّ وجل أن يوفقني لما يحبه ويرضاه، وأن يكون عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره

١. تعلق موضوع الدراسة بأشرف الكتب وأجلها على وجه الأرض، ألا وهو القرآن الكريم.

٢. اطلاع القارئ على معالم الطريق الموصلة إلى مرضاة الله رب العالمين، وسعادته في الدارين.

٣. تعميق النظر في كتاب الله تعالى، والتفكر والتدبر في آياته، والغوص في ثنايا النصوص؛ لاستخراج المكنون فيها.

٤. بيان المقاصد والأهداف للآيات التي من شأنها أن تبعث على رسوخ الإيمان في النفس، والعناية بالقرآن، والإقبال عليه، والتحاكم إليه.

٥. خدمة القرآن الكريم من أشرف الأعمال وأحبها إلى الله .

ثانياً: أهداف البحث

١- خدمة الدعوة إلى الله تعالى، حيث جاء هذا البحث للمساهمة في بيان مقاصد وأهداف سورة الإسراء.

٢- بيان الموضوعات الأساسية للحزب التاسع والعشرين من القرآن الكريم، وإظهار مقاصدها العامة وأهدافها التي تهدف لترسيخها في المجتمع الإسلامي.

٣- فتح آفاق جديدة أمام الباحثين، وذلك من خلال الموضوعات التي تم طرحها في هذه الأطروحة، والنتائج التي توصل إليها الباحث.

٤- إثراء المكتبة الإسلامية بهذا النوع من التفسير.

ثالثاً: الدراسات السابقة

هذا البحث استكمالاً لسلسلة الأبحاث التي تم اعتمادها في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الاسلامية والتي تتناول الدراسة التحليلية للمقاصد والأهداف المتنوعة والمختلفة لآيات القران الكريم وسوره، وكان عنوان هذا البحث: **(الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع والعشرين من القرآن الكريم " سورة الإسراء الآيات:١-٩٨)**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعًا: منهج البحث

اتبع الباحثُ المنهج الموضوعي التحليلي الاستنباطي في التفسير، وسيكون عملي في البحث على النحو الآتي:

١ـ قسّم الباحثُ آيات الحزب التاسع والعشرين إلى فصول يتفرع عنها عدة مباحث، جاعلاً لكل مبحث آياته المناسبة له، حسب موضوع آيات البحث نفسه، وقمتُ بتحديد واستنباط ما تحتويه آيات كل مبحث من مقاصد وأهداف وتحليلها وكما قمت بالاستشهاد لهذه المقاصد والأهداف بالمنهج الموضوعي بما فيه من أدوات متعددة تخدم هذا المنهج من: علوم القرآن، والسنة، وإعجاز القرآن، وعلوم اللغة، وغيرها.

٢. كتابة الآيات مضبوطة بالحركات وفق المصحف المساعد مع عزو الآية في المتن بعدها مباشرة وإبراز النصوص بخط أغمق من غيرها.

٣. تحليل مقاصد وأهداف الحزب التاسع والعشرين تحليلًا عميقًا.

٤. خدمة البحث بالرجوع إلى المراجع الأصلية والمعتمدة من كتب التفسير وغيرها.

٥. تخريج الأحاديث التي وردت في البحث تخريجًا علميًّا مع إيراد حكم العلماء عليها ما أمكن.

٦. الرجوع إلى المعاجم اللُغوية من أجل بيان معاني المفردات الغريبة.

٧. عمل تراجم للأعلام المغمورين، الذين وردت أسماؤهم في البحث.

٨. عزو الأقوال المقتبسة لأصحابها وذلك في مواضع الاقتباس وتوثيقها حسب الأصول المتبعة في ذلك.

٩– اكتفيت في التوثيق بذكر اسم الكتاب، واسم المؤلف، ورقم الصفحة والمجلد، وتوثيقه بكامل المعلومات في قائمة المراجع دفعًا للتكرار.

خامسًا: خطة البحث

يتكون هذا البحث من مقدمة، وفصل تمهيدي للدراسة النظرية، وفصلين للدراسة العملية، وخاتمة، وفهارس، موزعة على النحو الآتي:.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما المقدمة فتشتمل على:

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

ثانياً: أهداف البحث.

ثالثاً: الدراسات السابقة.

رابعاً: منهج البحث.

خامساً: خطة البحث.

الفصل التمهيدي

مفهوم الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف السور القرآنية

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: تعريف مقاصد وأهداف السور القرآنية، وأهميتها.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: الفرق بين الأهداف والمقاصد.

***المبحث الثاني: المقصود بالدراسة التحليلية للسور القرآنية، وأهميتها.**

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية الدراسة التحليلية للسور القرآنية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

تعريف عام بسورة الإسراء..مناسبتها، وبيان مقاصدها وأهدافها

ويتكون من مبحثين:

***المبحث الأول: التعريف العام بسورة الإسراء**

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول : أسماء السورة ووجه التسمية.

المطلب الثاني : ترتيب السورة، وعدد آياتها، مكية أو مدنية.

المطلب الثالث : فضائل السورة، وجو نزولها.

المطلب الرابع : المحور الأساس لسورة الإسراء.

***المبحث الثاني: المناسبة في سورة الإسراء.**

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : تعريف المناسبة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني : المناسبة الداخلية لسورة الإسراء.

المطلب الثالث : المناسبة الخارجية لسورة الإسراء.

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد سورة الإسراء، من الآية:(١_ ٩٨)

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد سورة الإسراء، من الآية: (١_٣٠).

ويشتمل على ستة مطالب:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: معجزة الإسراء وأثرها في الربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وتسلم المسلمين الراية من بني اسرائيل(١-٣).

المطلب الثاني: علو بني اسرائيل، وفسادهم، وتدميرهم، من الآية (٤- ٨).

المطلب الثالث: الإنسان بين نعم الله عليه والجزاء في الدنيا والآخرة، من الآية (٩-١٨).

المطلب الرابع:جزاء من أراد الدنيا ومن أراد الآخرة، من الآية (١٨-٢١).

المطلب الخامس: حق الله مقروناً بحق الوالدين، ووجوب الإحسان إليهما، من الآية (٢٢-٢٥).

المطلب السادس: حق ذوي القربى والاقتصاد في الإنفاق، من الآية (٢٦-٣٠).

***المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد سورة الإسراء،من الآية: (٣١- ٦٠).**

ويشتمل على ثمانية مطالب:

المطلب الأول: تحريم القتل والزنا وأكل مال اليتيم (٣١-٣٤).

المطلب الثاني: إيفاء الكيل والميزان والتثبت من المعلومات والتواضع (٣٥-٣٩).

المطلب الثالث: نسبة الولد لله والشريك لله تعالى (٤٠-٤٤).

المطلب الرابع: حماية النبي عليه الصلاة والسلام من الأذى (٤٥-٤٨).

المطلب الخامس: إنكار المشركين البعث (٤٩-٥٢).

المطلب السادس: الأسلوب الأفضل في الجدال (٥٣-٥٥).

المطلب السابع: عبدة البشر والأوثان والملائكة (٥٦-٥٨).

المطلب الثامن: طلب الآيات التعجيزية (٥٩-٦٠).

***المبحث الثالث: الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد سورة الإسراء، آية: (٦٠-٩٨).**

ويشتمل على تسعة مطالب:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام (٦١-٦٥).

المطلب الثاني: نعمة الإبحار (٦٦- ٦٩).

المطلب الثالث: تكريم الإنسان (٧٠-٧٢).

المطلب الرابع: محاولات المشركين فتنة النبي -ﷺ- وطرده من مكة (٧٣- ٧٧).

المطلب الخامس: تشريع الصلاة وإعلان الحق (٧٨-٨١).

المطلب السادس: القرآن والروح (٨٢-٨٥).

المطلب السابع: إعجاز القرآن الكريم (٨٦-٨٩).

المطلب الثامن: طلب المشركين آيات تعجيزية (٩٠-٩٣).

المطلب التاسع: استغراب المشركين من كون الرسل بشراً (٩٤-٩٧).

***الخاتمة**

وتشتمل على:

أهم النتائج والتوصيات.

***الفهارس** وتحتوي على:

١-فهرس الآيات القرآنية.

٢-فهرس الأحاديث النبوية.

٣-فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤-فهرس المصادر والمراجع.

٥-فهرس الموضوعات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل التمهيدي

مفهوم الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف السور القرآنية

وفيه مبحثان:-

المبحث الأول: تعريف مقاصد وأهداف السور القرآنية، وبيان أهميتها.

المبحث الثاني: المقصود بالدراسة التحليلية للسور القرآنية، وبيان أهميتها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

تعريف مقاصد وأهداف السور القرآنية، وأهميتها

وفيه ثلاثة مطالب:-

المطلب الأول: تعريف المقاصد لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: تعريف الأهداف لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثالث: الفرق بين المقاصد والأهداف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

تعريف مقاصد وأهداف السور القرآنية، وأهميتها

يركز هذا المبحث على تعريف دقيق لكل من مقاصد وأهداف السور القرآنية من الناحيتين: اللغوية، والاصطلاحية، ومن ثم يتم التركيز على أوجه الاتفاق والافتراق بين كلٍّ منهما، مع أهمية استنباط المقاصد والأهداف في الآيات القرآنية.

وسيمثل هذا المبحث –إن شاء الله– توضيحًا لذلك، من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف المقاصد لغةً واصطلاحًا

أولًا: المقاصد لغةً

"قصد: القاف والصاد والدال أصول ثلاثة، يدل أحدها على إتيان شيء وأمه، والآخر على اكتناز في الشيء، ثالثها القصد هو الكسر، قصدتُ الشيء أي كسرته، والقصيدة: هي القطعة من الشيء إذا انكسر"[(١)]، والمقاصد جمع مقصد، وهو مصدر ميمي مشتق من الفعل قصد؛ فيقال: قصد يقصد قصدًا، ويطلق في اللغة على معانٍ كثيرةٍ، منها[(٢)]:

١. **استقامة الطريق**؛ لقوله تعالى: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ**﴾[النحل:٩]، أي: على الله تعالى تبيين الطريق المستقيم، والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، ﴿**وَمِنْهَا جَائِرٌ**﴾ [النحل:٩]، أي: ومنها طريق غير قاصد[(٣)].
٢. **التوسط وعدم الإفراط والتفريط**؛ لقوله تعالى: ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ**﴾ [لقمان:١٩]، ويقال: فلان مقتصد في النفقة[(٤)].
٣. **إتيان الشيء**، تقول: قصدته، وقصدت له، وقصدت إليه بمعنى واحد[(٥)].

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٩٥/٥).

(٢) انظر: علم المقاصد الشرعية لنور الدين الخادمي (١٣).

(٣) انظر: تهذيب اللغة لأبي منصور الهروي (٢٧٤/٨)، لسان العرب لابن منظور (٣٥٣/٣)، تاج العروس للزبيدي (١٧٤/٢٠).

(٤) انظر: الصحاح للجوهري (٥٢٥/٢)، الفروق اللغوية للعسكري (٣٠٠)، تاج العروس للزبيدي (٣٦/٩).

(٥) انظر: مجمل اللغة لابن فارس (٧٧٥)، شمس العلوم لنشوان الحميري (٥٥١٩/٨)، مختار الصحاح للرازي (٢٥٤)، لسان العرب لابن منظور (٣٥٣/٣)، تاج العروس للزبيدي (٣٦/٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤. **الكسر**، ويكون في أي وجهٍ كان، تقول: قصدت العود قصدًا، كسرته، وقيل: هو الكسر بالنصف قصدته، أقصده، وقصدته فانقصد وتقصَّد[١].

٥. **الاعتماد والائتمان**؛ يقال: قصده، يقصده قصدًا، وقصد له، وأقصدني إليه الأمر، وهو قصدك؛ أي: تجاهك[٢].

ثانيًا: المقاصد اصطلاحًا:

ذكر العلماء لهذا المصطلح تعريفات عدة، ومن ذلك:

١. **تعريف الريسوني –رحمه الله–**[٣]، وذلك بقوله: "هي الغايات التي وضعت الشريعة؛ لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"[٤].

٢. **تعريف ابن عاشور –رحمه الله–**، وذلك بقوله: "هي المعاني والحِكَم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختصر ملاحظتها بالكون على نوعٍ خاص من أحكام الشريعة"[٥].

٣. **وقد عرَّفه البعض بأنه:** "كل المعاني المقصودة من شرع الحكام والمعاني الدلالية المقصودة من الخطاب التي تترتب عن تحقيق أمثال المكلف لأوامر الشريعة"[٦].

التعريف الاصطلاحي المختار للمقاصد

بعد النظر في تعريفات العلماء لمعنى المقاصد، من حيث اللغة والاصطلاح، ثم العلاقة بينهما، فإن التعريف الذي يرجّحه الباحثُ هو تعريف ابن عاشور –رحمه الله–؛ لأنه تعريف شامل لجميع أنواع المقاصد، والمعاني، والحكم، وكل الألفاظ التي لها علاقة بالمقاصد.

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٣/٣٥٥)، تاج العروس للزبيدي (٩/٣٧).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (٣/٣٥٥)، تاج العروس للزبيدي (٩/٣٦).

(٣) **الريسوني**: أبو العباس: أحمد بن محمد بن عبد الله الريسوني الحسني الإدريسي العرّيسي، له زعامة، من مناوئي الاستعمار الفرنسي في المغرب الأقصى، من قرية تسمى (زينات)، من بني عرُّوس، يسميه الفرنج (الريسولي)، أو (الرسولي) باللام، ويدعوه رجاله (الشريف الريسوني)، ولد سنة (١٢٧٠هـ)، وتوفي –رحمه الله– سنة (١٣٤٣هـ). (انظر: الأعلام للزركلي ١/٢٥٠)

(٤) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي (٧).

(٥) التحرير والتنوير (١/٢٣٥).

(٦) هذا التعريف استنبطه أحد العلماء، حيث وثَّقه ابن عاشور –رحمه الله–، ولم يذكر اسم هذا العالم، وإنما بيَّن أنه استفاد من كتاب الموافقات في أصول الفقه للشاطبي. (انظر: المقاصد عند ابن عاشور ١١٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني تعريف الأهداف لغةً واصطلاحًا

أولًا: الأهداف لغةً

"هدف: الهاء والدال والفاء أصل يدل على انتصاب وارتفاع"[١]، والهدف هو "كل مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل، والغرض، والرجل العظيم، وهدف هدف: دعاء للنعجة إلى الحلب، وهل هدف إليكم هادف: هل حدث ببلدكم أحد سوى من كان به، والهادفة: الجماعة، والهدفة، بالكسر: القطعة من الناس والبيوت، يقيمون في مواضعهم، وهدف إليه: دخل"[٢].

وبالنظر إلى ما نقله العلماء من التعريف اللغوي للأهداف يتبين أنها تطلق على معانٍ، منها: الانتصاب، والارتفاع، ودعاء للنعجة إلى الحلب، والدخول.

ثانيًا: الأهداف اصطلاحًا

ذكر العلماء تعريفات عدة لهذا المصطلح، منها:

١. **تعريف علّال الفاسي**[٣] **بأنه:** "ما انعقد العزم على انعقادها في المتعلم، من تحول في مستوى المعارف والمهارات والمواقف، بشرط أن يقع التثبيت من حصول ذلك التحويل إثر فتره من التكوين تحدد مستقبلًا"[٤]، وذكر تعريفًا آخر، بأنها: "هي التي شرعت الأحكام؛ لتحقيقها، وهي التي تنفع العباد في دينهم ودنياهم، سواء كان تحصيلهم؛ لجلب المصالح، أو درء المفاسد"[٥].

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٦/٣٩، ٤٠).

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي (٨٦١).

(٣) **علّال الفاسي:** علال (أو محمد علال) بن عبد الواحد بن عبد السلام بن علال بن عبد الله بن المجذوب الفاسي الفهري: زعيم وطني، من كبار الخطباء العلماء في المغرب. ولد بفاس عام ١٩٠٨م وتعلم بالقرويين، وتولى وزارة الدولة للشؤون الإسلامية مدة ثم انصرف إلى " المعارضة " غير العنيفة في مجلس النواب. ولم ينفك مواليا للبيت المالك في أيام محمد الخامس وابنه الحسن الثاني. ودرّس في كلية الحقوق. وصدرت له كتب منها " هنا القاهرة – ط " مما ألقاه في اذاعتها، و " النقد الذاتي – ط " و " المغرب العربيّ منذ الحرب العالمية الأولى – ط " و " دفاع عن الشريعة – ط " و " مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها – ط " والخماية الإسبانية في المغرب من الوجهة والتاريخية والقانونية – ط " وأصيب بأزمة قلبية بها، ونقل إلى الرباط، توفي عام ١٩٧٤م. الأعلام للزركلي (٤/ ٢٤٦).

(٤) مقاصد الشريعة الإسلامية (٧٩).

(٥) المرجع السابق – الصفحة نفسها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢. **تعريف نور الدين الخادمي بأنها:** "هي تغير السلوك المتوقع من المتعلم؛ نتيجة لاحتكاكه وتفاعله مع مضمونات وخبرات منهجية واسعة ومتنوعة"[١].

وبالنظر إلى التعريف اللغوي والتعريفات الاصطلاحية للأهداف يتبين أن أقرب التعريفات وأدقها هو تعريف علاّل الفاسي الأول؛ لاشتماله على كافة مناحي التعريف دون تخصيص له في فنٍّ من الفنون، أو علم من العلوم.

المطلب الثالث: الفرق بين المقاصد والأهداف

عند الرجوع إلى التعريف اللغوي والاصطلاحي لكل من المقاصد والأهداف يتبين أن هناك اختلافات دقيقة بين كلا التعريفين؛ إذ إن المقاصد تتميز عن الأهداف بأنها:

أولًا: موجودة مع خلق الإنسان؛ لأنها تحقيق لمصالح العباد في الدنيا والآخرة، وأنها درء للمفاسد، ودفع للمضار.

ثانيًا: لا يختلف تعريف المقاصد؛ لأنَّ لها هدفًا واحدًا هو إصلاح العباد في الدنيا والآخرة، ودرء المفاسد.

ثالثًا: المقاصد تظهر المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع.

رابعًا: المقاصد يجب ربطها بالواقع التطبيقي للحياة؛ لأنها تحدد الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والإباحات.

خامسًا: المقاصد تعزز الحكم والمبادئ والنتائج التي تسعى الأهداف إليها، فإن تحققت الأهداف أصبحت النتائج مقصودة لذاتها، فالأعمال شرعت للوصول إلى المقاصد.

وأما الأهداف فإنها تميزت عن المقاصد بأمور، منها:

أولًا: تكون قبل أي نتاج علمي؛ لأنها قد تتحقق وقد لا تتحقق.

ثانيًا: يختلف تعريف الهدف تبعًا لنوعية ومستوى عموميته.

---

(١) علم المقاصد الشرعية (١٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثًا: الأهداف الكبرى والعامة تهتم وتعنى بصياغة القيم والاتجاهات والتراث.

رابعًا: الأهداف العامة والخاصة نحاول قدر الإمكان ربطها بالواقع التطبيقي للحياة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

المقصود بالدراسة التحليلية للسور القرآنية، وأهميتها

وفيه مطلبان:-

المطلب الأول: الدراسة التحليلية لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: أهمية الدراسة التحليلية للسور القرآنية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: الدراسة التحليلية لغةً واصطلاحًا

أولًا: الدراسة لغةً واصطلاحًا

١- الدراسة لغةً:

"درس: الدال والراء والسين أصل واحد يدل على خفاء وخفض وعفاء"(١)، وعلى هذا فإن الدرس في اللغة يعني: العفى، والمحو، يقال: "درس الأثر يدرس دروسًا، ودرسته الريح تدرسه درسًا، أي: محته؛ ومن ذلك درست الثوب أدرسه درسًا، فهو مدروس ودريس، أي: أخلقته، ومنه قيل للثوب الخلق: دريس، وكذلك قالوا: درس البعير، إذا جَرِب جربًا شديدًا فقُطِّر... والدرس: الطريق الخفي"(٢).

ويتبين مما سبق أن الدرس في اللغة يطلق على عدة معانٍ، منها: الخفاء، والخفض، والعفى، والمحو، والخلق الذي هو انتهاء صلاحية، والجرب الشديد للبعير، والطريق الخفي.

٢- الدراسة اصطلاحًا:

بالنظر إلى كتب التعريفات، فإن الباحث لم يقف على تعريف العلماء للدراسة من الناحية الاصطلاحية؛ لذا فإنه يمكن تعريفه جريًا على أصله اللغوي، بالقول إنه "**الوصول إلى الطريق الخفي للمعلومة، بعد المكابدة والجهد والتعب في خدمة أصل المعلومة العلمي**".

ثانيًا: التحليل لغةً واصطلاحًا

١- التحليل لغةً:

"الحاء واللام له فروع كثيرة، ومسائل، وأصلها كلها فتح الشيء، لا يشذ عنه شيء، يقال: حللت العقدة أحلها حلًا، ويقول العرب: يا عاقد، اذكر حلًّا، والحلال: ضد الحرام، وهو من الأصل الذي ذكرناه، كأنه من حللت الشيء، إذا أبحته وأوسعته لأمر فيه، وحلَّ: نزل، وهو من هذا الباب؛ لأن المسافر يشد ويعقد، فإذا نزل حلَّ؛ يقال: حللت بالقوم، وحليل المرأة بعلها؛ وحليلة المرء: زوجه، وسميا بذلك؛ لأن كلَّ واحدٍ منهما يحل عند صاحبه"(٣).

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢٦٧/٢).

(٢) لسان العرب لابن منظور (٧٩/٦). فقُطِّر: أي طُلي بالقطران إذا جرب الجمل.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (٢٠/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- التحليل اصطلاحًا:

يتبين للباحث أن التحليل اصطلاحًا هو: "تفكيك الشيء بعد فتحه؛ للوصول إلى المراد"؛ لأنه ينسجم مع المعنى اللغوي.

ثالثًا: الدراسة التحليلية اصطلاحًا

يتحصل من مفردتي ذلك المصطلح المركب أنه اصطلاحًا: "تفكيك الكلام على الآية لفظة لفظة، والكلام على ما فيها من معانٍ وإعراب وأحكام وغيرها، ثم الانتقال إلى ما بعدها"[١].

المطلب الثاني: أهمية الدراسة التحليلية للسور القرآنية

تتلخص أهمية الدراسة التحليلية للسور القرآنية من خلال نقاط عديدة، أهمها:

أولًا: أن الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد القرآن الكريم هي الترجمة عن مراد الله، من خلال النص المحكم.

ثانيًا: تؤدي الدراسة التحليلية إلى إتقان بعض علوم القرآن، منها: أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وغير ذلك مما له صلة بالقرآن[٢].

ثالثًا: التعرف على الأحاديث النبوية المفسرة للآيات القرآنية، وكذلك التعرف على أقوال الصحابة التفسيرية للقرآن الكريم[٣].

رابعًا: التعرّف على الجوانب الفقهية المستنبطة من الآيات القرآنية[٤].

---

(١) أرشيف ملتقى أهل التفسير (٥٨٠٨)، وهو موجود في المكتبة الشاملة، وموقعه على شبكة الانترنت ./http://vb.tafsir.net

(٢) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٣٩/١).

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) انظر: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسًا: تورِّث علم الموهبة بأمر الله تعالى؛ فقد قال عبد الواحد بن زيد[1]: "من عمل بما علم فتح الله له ما لا يعلم"[2].

سادسًا: تؤدي الدراسة التحليلية إلى البحث عن الحق والتجرد عن الهوى.

سابعًا: توصل إلى التواضع ولين الجانب، بل والانكسار إلى الله تعالى.

(١) عبد الواحد بن زيد: الزاهد، القدوة، شيخ العباد، أبو عبيدة البصري شيخ الصوفية وواعظهم. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال ابن حبان: كان ممن غلب عليه العبادة حتى غفل عن الإتقان فكثر المناكير في حديثه، بعد الخمسين ومائة. سير أعلام النبلاء، للذهبي (٦/ ٥٨٧)، ميزان الاعتدال (٢/ ٦٧٢). تاريخ الإسلام ت بشار (٤/ ١٤٠)

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (١٦٣/٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

تعريف عام بسورة الإسراء، مناسبتها، وبيان مقاصدها وأهدافها

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف العام بسورة الإسراء.

المبحث الثاني: المناسبة في سورة الإسراء.

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الإسراء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

التعريف العام بسورة الإسراء

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول : أسماء السورة ووجه التسمية

المطلب الثاني : ترتيب السورة، وعدد آياتها، مكية أو مدنية

المطلب الثالث : فضائل السورة، وجو نزولها

المطلب الرابع : المحور الأساس لسورة الإسراء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: أسماء السورة ووجه التسمية

لقد أطلق العلماء على السورة عدة أسماء؛ وأسماء السور القرآنية نوعان: توقيفية وتوفيقية:

أولاً– الاسم التوقيفي: سورة "الإسراء": سميت بهذا الاسم؛ لأنَّ الله ﷻ افتتحها بمعجزة إسراء النبيﷺ من مكة إلى بيت المقدس ليلاً حيث قال : ﴿ **سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى...**﴾ [الإسراء: ١].

***وجه التسمية:** لتعرض السورة لحادثة الإسراء التي كانت مظهراً من مظاهر التكريم الإلهي لنبيﷺ بعدما لاقاه من أذى المشركين، وهي قصة إسراء النبي ﷺ من مكة إلى المسجد الأقصى حيث التقى بجميع الأنبياء من آدم إلى موسى عليهم السلام[١].

ثانياً– الأسماء التوفيقية:

ا– **سورة "بني إسرائيل"**: سميت بهذا الاسم؛ لقول عائشة: **(كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالزُّمَرَ)**[٢]، وكذا ما قاله ابن مسعود ﷺ قال: **(فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالكَهْفِ، وَمَرْيَمَ: إِنَّهُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ)**[٣]، وأيضاً ابن عباس قال: **إِنَّ التَّوْرَاةَ كُلَّهَا فِي خَمْسَ عَشْرَةَ آيَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ثُمَّ تَلَا ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾** [الإسراء: ٢٢]**)**[٤]. وذكر البخاري في صحيحه[٥]، والترمذي في سننه[٦] باباً باسم سورة بني إسرائيل، وقال الشربيني[٧]: وتسمى بني إسرائيل[٨].

***** وجه التسمية:** لورود أحوال بني إسرائيل فيها، وإفسادهم فيها[٩].

---

(١) انظر: التفسير المنير، للزحيلي، ٥/١٥.

(٢) سنن الترمذي، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، في الباب، ح (٢٩٢٠) ١٨١/٥، وأخرجه أحمد في مسنده ح (٢٤٣٨٨)، ٤٥٢/٤٠، والنسائي في الكبرى ح(١٠٤٨٠)، ٢٦٣/٩، وغيرهم، وصححه الألباني. انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ٨٧٩/٢، ح(٤٨٧٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله **﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾** [النحل: ٧٠]، ح (٤٧٠٨)، ٨٢/٦، وكتاب تفسير القرآن، باب قوله **﴿فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾** [طه: ١١٧]، ح (٤٧٣٩)، ص ٩٦، وكتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ح (٤٩٩٤)، ص ١٨٥.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، (٥٩٠/١٧).

(٥) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة بني إسرائيل، (٨٢/٦).

(٦) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل، (٣٠٠/٥).

(٧) **الخطيب الشربيني**: محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين الإمام العالم العلامة الهمام الخطيب الشربيني القاهري الشافعي، مفسر، من أهل القاهرة. له تصانيف، منها (السراج المنير) أربعة مجلدات، في تفسير القرآن، و(الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع) و(مغني المحتاج)، توفي سنة ٩٧٧ هـ. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، لنجم الدين الغزي (٣/ ٧٢)، الأعلام للزركلي (٦/ ٦).

(٨) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، (٢٧٣/٢).

(٩) انظر: التفسير المنير، للزحيلي، (٥/١٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- **سورة "سبحان"**: وسميت بهذا الاسم؛ لأنَّ الله ﷻ افتتحها بقوله: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى...**﴾ [الإسراء، ١]. وقال الشربيني تسمى (سبحان) بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه[١]، وروي عن طلحة بن عبيد الله قال: (سألت رسول الله ﷺ عن تفسير **(سبحان الله)، فقال: هو تنزيه الله من كل سوء)**[٢].

* **وجه التسمية:** وتسمى بسورة سبحان؛ لأنَّها افتتحت بهذه الكلمة.

المطلب الثاني: ترتيب السورة، وعدد آياتها، مكية أو مدنية

أولاً: ترتيبها، وعد آياتها:

١- **ترتيبها:** سورة الإسراء هي السورة الخمسون في ترتيب نزول السور المكية، حيث نزلت بعد سورة القصص[٣]، وقبل سورة يونس[٤]، وهي السورة السابعة عشر في ترتيب المصحف.

٢- **عدد آياتها:** مائة وإحدى عشرة آية[٥].

ثانياً: مكية أو مدنية:

قال ابن كثير، والشربيني: "هي مكية"[٦]، وقال الثعالبي: "هذه السورة مكّيّة إلا ثلاث آيات"[٧]، وقال الشوكاني: "وهي مكية إلا ثلاث آيات: قَوْلُهُ -ﷻ-: ﴿**وَإِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ**﴾[الإسراء، ٧٦]، نَزَلَتْ حِينَ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَفْدُ ثَقِيفٍ، وَحِينَ قَالَتِ الْيَهُودُ: لَيْسَتْ هَذِهِ بِأَرْضِ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَوْلُهُ: ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ**﴾[الإسراء، ٨٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ**﴾[الإسراء، ٦٠]، وَزَادَ مُقَاتِلٌ[٨] قَوْلَهُ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ**﴾[الإسراء، ١٠٨]. وَأَخْرَجَ النَّحَّاسُ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- رضي الله عنهما- قَالَ: **(نَزَلَتْ سُورَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَكَّةَ)**. وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ مِثْلَهُ"[٩]،

---

(١) انظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، (٢٧٣/٢).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، ٣١/١٥، ح (١٧٥٧٠). لم يجده الباحث في كتب متون الحديث.

(٣) الكشاف، للزمخشري، ٦٤٦/٢.

(٤) المصدر السابق، ٣٢٦/٢.

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي، ١٥٤/٥.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ٣/٥، والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للشربيني، ٢٧٣/٢.

(٧) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي، ٤٤٩/٣.

(٨) هو ابن سليمان البَلْخِيّ، أبو الحسن، والبَلْخِيّ: بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وفي آخرها الخاء المعجمة، هذه النسبة الى بلدة من بلاد خراسان يقال لها بلخفتحها الأحنف بن قيس التميمي من جهة عبد الله بن عامر بن كريز زمن عثمان بن عفان ﷺ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٢٠١/٧، رقم ٧٩، الأنساب، ٣٠٣/٢-٣٠٤، رقم ٥٦٨.

(٩) فتح القدير، للشوكاني، ٢٤٥/٣. انظر: الناسخ والمنسوخ، للنحاس، ٥٤٥/١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والزمخشري، والرازي، وابن جزي[١]، وأبو السعود: السورة مكية إلا الآيات ٢٦ و ٣٢ و ٣٣ و ٥٧، ومن آية ٧٣ إلى غاية آية ٨٠ فمدنية[٢]، وقال الجوزي: " هي مكيّة في قول الجماعة، إلّا أنّ بعضهم يقول: فيها مدنيّ، فروي عن ابن عباس–رضي الله عنهما– أنه قال: **(هي مكيّة إلّا ثمان آيات: من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ...﴾** إلى قوله تعالى: **﴿نَصِيراً﴾**[الإسراء، ٧٤–٨٠]، وهذا قول قتادة. وقال مقاتل: فيها من المدنيّ: **﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ...﴾**[الإسراء، ٨٠]، وقوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ...﴾**[الإسراء، ١٠٨]، وقوله تعالى: **﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ﴾**[الإسراء، ٦٠]، وقوله تعالى: **﴿وَإِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ...﴾**[الإسراء، ٦٠]، وقوله تعالى: **﴿وَإِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ...﴾**[الإسراء، ٧٦]، وقوله تعالى: **﴿وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْناكَ...﴾**[الإسراء، ٧٤]، **والتي تليها)**[٣]، وقال أبو العباس الأنجري[٤]: "مكية، إلا قوله: **﴿وَإِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ...﴾** الآيات الثمان[الإسراء، ٧٤–٨٠]"[٥]. وأما صاحب التفسير المنير فقد قال: "السورة مكية، بدليل السياق التي وردت فيه هذه الآيات فقد وردت فيها حادثت الإسراء، وأيضاً يغلب عليها خصائص القرآن المكي، فهي تتحدث عن قصة بني إسرائيل في حالي الصلاح والفساد، الأدلة الكونية على قدرة الله وعظمته ووحدانيته، ونسبة المشركين البنات إلى الله زاعمين أن البنات من الملائكة، وأوضحت سبب عدم إنزال الأدلة الحسية الدالة على صدق النبي ﷺ، ومدى تعنت المشركين

---

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم: فقيه من العلماء بالأصول واللغة. من أهل غرناطة. وُلد سنة ٦٩٣هـ، من كتبه " القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية – ط " بتونس، و " تقريب الوصول إلى علم الأصول " و " الفوائد العامة في لحن العامة " و " التسهيل لعلوم التنزيل – ط " تفسير، و " الأنوار السنية في الألفاظ السنية – ط " و " وسيلة المسلم " في تهذيب صحيح مسلم، و " البارع في قراءة نافع " وفاته في ٧٤١هـ. (الأعلام، للزركلي، ٣٢٥/٥).

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، ٦٤٦/٢، ومفاتيح الغيب، للرازي، (٢٩١/٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، ٤٤٠/١، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، (١٥٤/٥).

(٣) الدر المنثور، للسيوطي (١٨١/٥)، وانظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، (٧/٣).

(٤) هو أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجينة، الحسني الأنجري: مفسر صوفي مشارك. من أهل المغرب. دفن ببلدة أنجرة (بين طنجة وتطوان)، ولد عام ١١٦٠هـ. له كتب كثيرة، منها (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد – خ) في أربعة مجلدات ضخام، بدئ بطبعه وصدر جزء منه، و (أزهار البستان – خ) بالخزانة الزيدانية بمكناس، لم يتمه، في طبقات الأعيان المالكية، ومنه مخطوطة في خزانة الرباط (٢٨٦ ك) مصورة في معهد المخطوطات (١٣٥٢ تاريخ) و (شرح القصيدة المنفرجة – خ) و (شرح صلوات ابن مشيش – خ) و (تبصرة الطائفة الزرقاوية – خ) و (الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية – ط) و (الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الأجرومية – ط) وتوفي ١٢٢٤هـ. (الأعلام للزركلي، ٢٤٥/١).

(٥) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس الأنجري الفاسي، (١٧٩/٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في إنزال آيات اقترحوها غير القرآن من تفجير، وتبين عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله، ولا مانع من أن يكون فيها آيات مدنية لأنَّ فيها آيات لوم الإنسان على عدم الشكر"[١].

وهو ما يراه الباحث بأن السورة مكية كما تضافرت بذلك أقوال العلماء.

المطلب الثالث: فضائل السورة، وجو نزولها

أولاً: فضائل السورة:

قال ابن مسعود ﷺ: **(فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالكَهْفِ، وَمَرْيَمَ: إِنَّهُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلاَدِي)**[٢]، وقال ابن الأثير[٣]: " أراد بالعتاق الأول السور التي أنزلت أولا بمكة، وأنها من أول ما تعلمه من القرآن"[٤]، ومن تلادي، قال الثعلبي: "يريد أنّهنّ من قديم كسبه"[٥]، وقالت عائشة رضي الله عنها: **(كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: مَا يُرِيدُ أَنْ يُفْطِرَ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: مَا يُرِيدُ أَنْ يَصُومَ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالزُّمَرِ)**[٦]، وقال النبي ﷺ: **(مَنْ قَرَأَ سُورَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَقَّ قَلْبُهُ عِنْدَ ذِكْرِ الْوَالِدَيْنِ، أُعْطِيَ قِنْطَارَيْنِ فِي الْجَنَّةِ مِنَ الأَجْرِ، وَالْقِنْطَارُ أَلْفٌ وَمِائَتَا أُوقِيَّةٍ، الأُوقِيَّةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)**[٧].

ثانياً: جو نزولها:

نزلت سورة الإسراء في أصعب الظروف التي كان يعيشها النبي محمد ﷺ، فقد نزلت بعدما توفي عمه أبو طالب الذي كان يمثل له الحصن الذي احتمى به النبي ﷺ من ضربات المشركين، وتوفيت زوجته

---

(١) انظر: التفسير المنير، للزحيلي، (١٥/٥-٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله **﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾** [النحل: ٧٠]، ح (٤٧٠٨)، ٨٢/٦، وباب قوله **﴿فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾** [طه: ١١٧]، ح (٤٧٣٩) ص٩٦، وكتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن ح (٤٩٩٤)، ص١٨٥.

(٣) **ابن الأثير**: علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ الجزري، أبو الحسن عز الدين ابن الأثير: المؤرخ الإمام، من العلماء بالنسب والأدب. ولد في ٥٥٥هـ ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل. وتجوّل في البلدان، وعاد إلى الموصل، فكان منزله مجمع الفضلاء والأدباء، وتوفي بها. من تصانيفه " الكامل" و"أسد الغابة"، توفي عام ٦٣٠هـ. الأعلام للزركلي (٤/ ٣٣١).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (١٧٩/٣).

(٥) الجواهر الحسان، للثعالبي، (٤٤٩/٣).

(٦) مسند أحمد، ح (٢٤٣٨٨)، ٤٥٢/٤٠، وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده ضعيف" انظر: حاشية مسند أحمد، ح (٢٤٣٨٨)،(٤٥٢/٤).

(٧) أخرجه الواحدي في كتابه(التفسير الوسيط، ٩٣/٣. وقال الشربيني: "حديث موضوع" في كتابه السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، ٣٤٧/٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خديجة –رضي الله عنها–، التي كانت تحن عليه ساعات قلقه، وتُأَزِرَهُ في أحرج الأوقات، وتعينه على تبليغ رسالته، فعندما توفاهما الله ﷻ ازداد أذي المشركين له، ونالوا منهم أشد ما نالوا، فذهب رسول الله يدعو القبائل العربية في مواسم الحج وغيرها، ولم يجد هناك قبول منها بل أجابوه بأشد وأقبح الردود، وبينما النبي ﷺ في هذه المرحلة التي كانت دعوته تشق فيها طريقها بين النجاح والاضطهاد، وكانت تتراءى نجوماً ضئيلة تلمح في آفاق بعيدة، وقعت حادثة الإسراء والمعراج [١]، كأنَّ الله ﷻ يقول لمحمد ﷺ، إن رَفَضَكَ أهلُ الأرض فلن يرفضك أهل السماء.

المطلب الرابع: المحور الأساس لسورة الإسراء

أكاد أن أجزم أن محور السورة يدور حول قضية مركزية وجوهرية، إنها تتحدث عن الصراع المستقبلي في فلسطين. وقال الدكتور/ صبحي اليازجي: "إن المتأمل لبداية سورة الإسراء فإنه يجد أن السورة تتحدث عن الصراع مع اليهود، ومن الغريب والعجيب أنها نزلت في مكة المكرمة، والنبي ﷺ لم يصطدم معهم في تلك المرحلة، بل أكاد أن أجزم أنه لم يكن لليهود وجود في مكة في ذلك الوقت"[٢]، ثم قال: "إن سورة الإسراء لم تتحدث عن الصراع مع يهود بني قريظة وخيبر وبني قينقاع الذين سكنوا المدينة المنورة، بل تكلمت عن يهود فلسطين"[٣]، وأرجع الأمر إلى قوله تعالى ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى** ﴾ [الإسراء:١]، ثم تحدث عن علو بني إسرائيل في الأرض لقوله تعالى ﴿**لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً**﴾ [الإسراء: ٤]، والعلو لا يكون إلا إذا كان هناك دولة وجيش وعلم وكيان وهوية، ولن يكن لليهود دولة في تاريخ حياتهم في فلسطين إلا في زمن سليمان عليه السلام، واستمرت ما يقارب مئة وثلاثين عاماً إلى زمن عيسى عليه السلام، والمرة الثانية بإقامة دولة إسرائيل الحديثة الآن على أرض فلسطين وهي تملك القوة والجيش والسطوة والقدرة العجيبة في السيطرة على القرار العالمي[٤]، ويتضح ذلك أكثر عندما ننظر إلى اسم السورة الذي أطلق عليه سورة بني إسرائيل، فمحور

---

(١) انظر: الرحيق المختوم، للمباركفوري، ١٠٣–١٢٤.

(٢) استراتيجية تحرير فلسطين من خلال سورة الإسراء، د. صبحي اليازجي، ص ٢٣٠، وهو بحث محكم في مجلة جمعية القدس للبحوث والدراسات الإسلامية، مجلة علمية محكمة.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٣١.

(٤) انظر: استراتيجية تحرير فلسطين من خلال سورة الإسراء، ص ٢٣٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السورة مرتبط باسمها في الغالب[1]. وهذه السورة تصور "نهاية بني إسرائيل التي صاروا إليها، ودالت دولتهم وذهب مجدهم وسلطانهم بها، وتكشف عن العلاقة المباشرة بين مصارع الأمم، وفشو الترف والفساد فيها، وفقاً لسنة الله تعالى- التي ذكرت في هذه السورة- حيث قدر الله الهلاك لأهل كل قرية؛ بإفساد المترفين فيها سبباً لهلاكها وتدميرها لقول الله ﷻ ﴿**وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً**﴾ [الإسراء: ١٦]"[2]، وفي ذلك بشارة إلى أن دولة بني إسرائيل ستنتهي ولن تكون لهم الغلبة، لأن هذا أمر الله الذي قضى به عليهم أن يسلط عليهم عباداً من عباده أولي بأس كلما رجعوا إلى الفساد ﴿**وَكانَ وَعْداً مَفْعُولاً**﴾ [الإسراء: ٥].

(١) انظر: الوحدة الموضوعية بين عبد الحميد الفراهي، وسيد قطب (دراسة ومقارنة)، د. صبحي رشيد اليازجي، ص ٢٥٨، رسالة ماجستير- الجامعة الإسلامية -غزة.

(٢) أهداف ومقاصد سورة الإسراء مع بيان المفردات الغريبة، د. زكريا إبراهيم الزميلي، ص ٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

المناسبة في سورة الإسراء

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : تعريف المناسبة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني : المناسبة الداخلية لسورة الإسراء.

المطلب الثالث : المناسبة الخارجية لسورة الإسراء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: تعريف المناسبة لغة واصطلاحاً

أولاً: **المناسبة لغة**

المناسبة في اللغة هي المشابهة والمشاكلة والمقاربة، ومنه النسيب القريب المتصل، كالأخوين وابن العم ونحوه ممن بينهم مناسبة أي تربط بينهم وهي القرابة[١]. وقال ابن فارس: "وهي اتصال شيء بشيء منه النسب، سمي لاتصاله وللاتصال به، والنسيب: الطريق المستقيم، لاتصال بعضه من بعض"[٢]، وقال الزَّبيدي: "المناسبة المشاكلة، يقال: بين الشيئين مناسبة وتناسب: أي مشاكلة وتشاكل. وكذا قولهم: لا نسبة بينهما، وبينهما نسبة قريبة"[٣].

ثانياً: المناسبة اصطلاحاً

هي وجود الاتصال والارتباط بين الآيات وبين السور طبقاً لترتيب التلاوة في المصحف العثماني.

١- قال الزركشي: "ارتباط آيات القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"[٤].

٢- قال البقاعي[٥]: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن"[٦].

٣- قال مناع القطان: "هي بيان وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة"[٧].

٤- قال الدكتور مصطفى مسلم: "هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه وفي كتاب الله تعني ارتباط السور وما بعدها، وفي الآيات تغني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها"[٨].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٤٢٣/٥، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للفارابي، ٢٢٤/١، والمخصص، لابن سيده المرس، ٣٣١/١، وأساس البلاغة، للزمخشري، ٢٦٥/٢، ومختار الصحاح، لأبي عبد الله الحنفي الرازي، ٣٠٩/١، ولسان العرب، لابن منظور، (٧٥٦/١).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (٤٢٣/٥-٤٢٤).

(٣) تاج العروس، (٢٦٥/٤).

(٤) البرهان في علم القرآن، (٦٢/١).

(٥) **البِقاعي**: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط - بضم الراء وتخفيف الباء - بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب. أصله من البقاع في سورية، ولد سنة ٨٠٩هـ، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق عام ٨٨٥هـ. له العديد من المؤلفات، من أشهرها (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور). الكواكب السائرة، للغزي (٢/ ٧٦)، الأعلام للزركلي (١/ ٥٦)

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٦/١.

(٧) مباحث في علوم القرآن، ص ٩٧.

(٨) المصدر السابق، ص ٥٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد النظر إلى المعاني اللغوية والاصطلاحية للمناسبة يرى الباحث أن المعاني اللغوية متوافقة مع المعاني الاصطلاحية للمناسبة، فالآية وأختها جارتان شقيقتان، يربط بينهما رباط دقيق، كما يربط النسب بين المتناسبين، غير أن ذلك لا يعني أن تكون الآيتان أو الآيات متماثلة كل التماثل، فمن الممكن أن يكون بينهما التضاد أو التباعد في المعنى، والمهم أن هناك صلة ورابطاً يربط بين الآيتين، سواء توصل إليه العلماء أم لا يتوصل إليه.

المطلب الثاني: المناسبة الداخلية لسورة الإسراء

أولاً: المناسبة بين اسم السورة ومحورها:

١- أخبرت السورة عن قصة بني إسرائيل في حالي الصلاح والفساد، بإعزازهم حال الاستقامة وإمدادهم بالأموال والبنين، وتشردهم في الأرض مرتين بسبب عصيانهم وإفسادهم، وتخريب مسجدهم، ثم عودهم إلى الإفساد باستفزازهم النبي ﷺ وإرادتهم إخراجه من المدينة، ﴿**وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الإسراء: ٧٦] [(١)]. وهذا الإفساد سيمتد إلى أن يكون الصراع الحقيقي على أرض الإسراء والمعراج أرض (فلسطين).

٢- قال سيد قطب[(٢)]: "وتضم موضوعات شتى معظمها عن العقيدة وبعضها عن قواعد السلوك الفردي والجماعي وآدابه القائمة على العقيدة إلى شيء من القصص عن بني إسرائيل يتعلق بالمسجد الأقصى الذي كان إليه الإسراء، وطرف من قصة آدم وإبليس وتكريم الله للإنسان، ولكن العنصر البارز في كيان السورة ومحور موضوعاتها الأصيل هو شخص الرسولﷺ وموقف القوم منه في مكة. وهو القرآن الذي جاء به، وطبيعة هذا القرآن، وما يهدي إليه، واستقبال القوم له، واستطرد بهذه المناسبة إلى طبيعة الرسالة والرسل، وإلى امتياز الرسالة المحمدية بطابع غير طابع الخوارق الحسية وما يتبعها من هلاك المكذبين بها، وإلى تقرير التبعة الفردية في الهدى والضلال الاعتقادي، والتبعة الجماعية في السلوك العملي في محيط المجتمع.. كل ذلك بعد أن يعذر الله- سبحانه- إلى الناس، فيرسل إليهم الرسل بالتبشير والتحذير والبيان والتفصيل ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا**﴾ [الإسراء: ١٢][(٣)].

---

(١) التفسير المنير، للزحيلي، (٦/١٥-٧).

(٢) هو سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، أديب ومفكر إسلامي مصري، ولد بقرية موشة بمحافظة أسيوط في صعيد مصر، من أهم مؤلفاته في ظلال القرآن الذي صدر في ثلاثين جزءاً، جمع فيه خلاصة ثقافاته الفكرية وتأملاته القرآنية العميقة، وآرائه في واقع العالم المعاصر، حوكم بتهمة التآمر على نظام الحكم وصدر الحكم بإعدامه، وأعدم عام ١٩٦٦م. (انظر: الموسوعة العربية العالمية، ٣٧٠/١٣).

(٣) في ظلال القرآن، (٢٢٠٨/٤) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: مناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها:

قال سيد قطب: " تختم السورة كما بدأت بحمد الله وتقرير وحدانيته بلا ولد ولا شريك، وتنزيهه عن الحاجة إلى الولي والنصير. وهو العلي الكبير. فيلخص هذا الختام محور السورة الذي دارت عليه، والذي بدأت ثم ختمت به"[١].

المطلب الثالث: المناسبة الخارجية لسورة الإسراء

أولاً: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها (سورة النحل):

بعد أن أمر الله نبيه ﷺ بالصبر على أذى المشركين في ختام سورة النحل بنسبته إلى الكذب والسحر والشعر، سلاه هنا، وأبان شرفه وسمو منزلته عند ربه بالإسراء، وافتتح السورة بذكره تشريفا له، وتعظيما للمسجد الأقصى الذي أشير إلى قصة تخريبه[٢].

ثانياً: المناسبة بين مضمون سورة الإسراء ومضمون ما قبلها (سورة النحل):

١- بعد أن قال الله تعالى في آخر سورة النحل: ﴿ **إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾ [النحل: ١٢٤]، فسر في هذه السورة شريعة أهل السبت وشأنهم، وذكر جميع ما شرعه لهم في التوراة، فقد قال ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: **(إِنَّ التَّوْرَاةَ كُلَّهَا فِي خَمْسَ عَشْرَةَ آيَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ)**[٣] .

٢- في السورتين بيان نعم الله الكثيرة على الإنسان، حتى سميت سورة النحل "سورة النعم[٤]" وفصلت هنا أنواع النعم العامة والخاصة، كما في الآيات ﴿**إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يعَمْلُونَ الصالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً *وأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً * وَيَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكانَ الْإِنْسانُ عَجُولاً * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلاً**﴾ [الإسراء: ٩- ١٢]، و﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا**﴾[الإسراء: ٧٠][٥].

---

(١) المصدر السابق، (٢٢٥٤/٤).

(٢) التفسير المنير، للزحيلي، (٦/١٥).

(٣) جامع البيان، للطبري، ١٣٨/١٥. انظر: (أسرار ترتيب القرآن للسيوطي، ص ١٠٣).

(٤) تفسير القرآن، للسمعاني، (١٥٨/٣).

(٥) انظر: التفسير المنير، للزحيلي، (٦/١٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- في سورة النحل أبان تعالى أن القرآن العظيم من عنده، لا من عند بشر، وفي هذه السورة ذكر الهدف الجوهري من ذلك القرآن[١].

٤- في سورة النحل ذكر تعالى قواعد الاستفادة من المخلوقات الأرضية، وفي هذه السورة ذكر قواعد الحياة الاجتماعية من بر الأبوين، وإيتاء ذوي القربى والمساكين وأبناء السبيل حقوقهم من غير تقتير ولا إسراف، وتحريم القتل والزنى وأكل مال اليتيم، وإيفاء الكيل والميزان بالقسط، وإبطال التقليد من غير علم[٢].

٥- لما كان مقصود النحل التنزه عن الاستعجال وغيره من صفات النقص، والاتصاف بالكمال المنتج لأنه قادر على الأمور الهائلة ومنها جعل الساعة كلمح البصر أو أقرب، وختمها بعد تفضيل إبراهيم عليه السلام والأمر باتباعه بالإشارة إلى نصر أوليائه - مع ضعفهم في ذلك الزمان وقلتهم - على أعدائه على كثرتهم وقوتهم، وكان ذلك من خوارق العادات ونواقص المطردات، وأمرهم بالتأني والإحسان، افتتح هذه بتحقيق ما أشار الختم إليه بما خرقه من العادة في الإسراء، وتنزيه نفسه الشريفة من توهم استبعاد ذلك، تنبيهاً على أنه قادر على أن يفعل الأمور العظيمة الكثيرة الشاقة في أسرع وقت، دفعاً لما قد يتوهم أو يتعنت به من يسمع نهيه عن الاستعجال وأمره بالصبر، وبياناً لأنه مع المتقي المحسن[٣].

ثالثاً: مناسبة السورة لما بعدها (سور الكهف).

افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح، وسورة الكهف بالتحميد، وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام؛ بحيث يسبق التسبيح التحميد؛ نحو: ﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**﴾ [الحجر: ٩٨]، و(سبحان الله وبحمده)، وأيضاً أن اليهود أمروا المشركين أن يسألوا النبي ﷺ عن ثلاثة أشياء: عن الروح، وعن قصة أصحاب الكهف، وعن قصة ذي القرنين، وقد ذكر جواب السؤال الأول في آخر سورة بني إسرائيل، فناسب اتصالها بالسورة التي اشتملت على جواب السؤالين الآخرين. وأيضاً هو أنه لما قال فيها: ﴿**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الإسراء: ٨٥]، والخطاب لليهود، واستظهر على ذلك بقصة موسى في بني إسرائيل مع الخضر، التي كان سببها ذكر العلم، وما دلت عليه من إحاطة معلومات الله ﷻ التي لا تحصى، فكانت هذه السورة كإقامة الدليل لما ذكر من الحِكَم، وأيضًا فلما قال هناك: ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا**﴾

---

(١) انظر: التفسير المنير، للزحيلي، (٦/١٥).

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (٢٨٧/١١-٢٨٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[الإسراء: ١٠٤] شرح ذلك هنا وبسطه بقوله: ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ**﴾ إلى ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا، وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا**﴾ [الكهف: ٩٨-١٠٠][1].

(١) انظر: أسرار ترتيب القرآن للسيوطي، ص (١٠٥-١٠٦)، والتفسير المنير للزحيلي، (١٥/١٩٦-١٩٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد سورة الإسراء

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد سورة الإسراء، من الآية:(١. ٣٠).

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد سورة الإسراء، من الآية:(٣١. ٦٠).

المبحث الثالث: الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد سورة الإسراء، آية: (٦٠. ٩٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد سورة الإسراء، من الآية: (١ ـ ٣٠).

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: معجزة الإسراء وتسلم المسلمين الراية من بني اسرائيل(٣.١) .

المطلب الثاني: علو بني اسرائيل ..وفسادهم .. وتدميرهم، من الآية (٤. ٨).

المطلب الثالث: الإنسان بين نعم الله عليه والجزاء في الدنيا والآخرة، من الآية (١٨.٩).

المطلب الرابع: جزاء من أراد الدنيا ومن أراد الآخرة، من الآية (١٨-٢١).

المطلب الخامس: حق الله مقروناً بحق الوالدين، ووجوب الإحسان إليهما، من الآية (٢٢. ٢٥).

المطلب السادس: حق ذوي القربى والاقتصاد في الإنفاق، من الآية (٢٦.٣٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: معجزة الإسراء، وتسلم المسلمين الراية من بني إسرائيل.

قال تعالى: ﴿ **سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ* وَآتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَجَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً* ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً** ﴾ [الإسراء: ١-٣].

أولاً: مناسبة أول سورة الإسراء مع آخر سورة النحل التي قبلها:

١- قوله تعالى: ﴿ **سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً..** ﴾

بعد أن قال الله تعالى في آخر سورة النحل: ﴿ **إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ** ﴾ [سورة النحل: ١٢٤]، فسر في هذه السورة شريعة أهل السبت وشأنهم، وذكر جميع ما شرعه لهم في التوراة، فقد روى الإمام الطبريُّ بسنده عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: **إِنَّ التَّوْرَاةَ كُلَّهَا فِي خَمْسَ عَشْرَةَ آيَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**)[١].

٢- مناسبة قوله تعالى: ﴿ **وَآتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ...** ﴾ لما قبلها:

لما ذكر تشريف الرسول ﷺ بالإسراء وإراءته الآيات، ذكر تشريف موسى بإيتائه التوراة، وآتينا معطوف على الجملة السابقة من تنزيه الله تعالى وبراءته من السوء، ولا يلزم من عطف الجمل المشاركة في الخبر أو غيره، فقد أطلع -ﷻ- رسوله محمداً ﷺ على الغيب عيانًا وأخبره بوقائع من سلف بياناً، لتقوم أخباره على معجزاته برهاناً، أي سبحان الذي أطلعك على بعض آياته لتقصها ذكراً، وأخبرك بما جرى لموسى وقومه لتكون قصتهما آية أخرى أنَّه؟ أسرى بمحمد إلى ربه كما أسرى بموسى من مصر حين خرج منها خائفا يترقب"[٢].

ثانياً: سبب النزول:

ذكر رسول الله ﷺ لقريش حادثة الإسراء به وتكذيبهم له، فأنزل الله ذلك تصديقاً له[٣].

ثالثاً: التحليل اللغوي:

١- ﴿**سُبْحانَ**﴾

هو تنزيه الله -جل ثناؤه- من كل سوء. والتنزيه: التبعيد. والعرب تقول: سبحان من كذا، أي ما أبعده، وقال ابن جني[٤]: "سبحان، اسم علم لمعنى البراءة والتنزيه، وسبحان الله، معناه: تنزيها لله من الصاحبة والولد وتبرئة من السوء"[١].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (١٣٨/١٥)، وانظر: أسرار ترتيب القرآن، للسيوطي (ص ١٠٣).

(٢) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (١١/٧)، وانظر: المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، لأبي شوفة (ص ٢٥٤-٢٥٥).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٢٠٩)، البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٧/٧).

(٤) **ابن جني:** أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، صاحب التصانيف، إمام العربية، النحوي المشهور؛ كان إماماً في علم العربية، قرأ الأدب على الشيخ أبي علي الفارسي، وله أشعار حسنة، ويقال أنه كان أعور، ولد بالموصل وتوفي ببغداد،=

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- ﴿أَسْرَى﴾

السرى: هو السير عامة الليل، ويكون أول الليل وأوسطه وآخره، سرى فلان يسري سرى ومسرى وسرية. أسرى: إذا سار ليلاً، وفي ذلك إشارة إلى أن السير به إلى المسجد كان في جزء من ليلة[٢].

٣- ﴿بِعَبْدِهِ﴾

العبودية: الذل والخضوع. وقال آخرون: العبودة: الرضا بما يفعل الرب، والعبادة: فعل ما يرضى به الرب. والأول أقوى وأشق، فلذا قيل: تسقط العبادة في الآخرة لا العبودة، لأن العبودة أن لا يرى متصرفا في الدارين في الحقيق إلا الله، العبيد جمع العبد من المِلْك والعباد جمع العبد[٣].

٣- ﴿الْأَقْصَى﴾

من قصوى وهي أصلٌ صحيح يدل على بعد وإبعاد، وهو المكان الأقصى والناحية القصوى. وذهبت قصا فلان، أي ناحيته. ويقال: أحاطونا القصا. أي وقفوا منا بين البعيد والقريب غير أنهم محيطون بنا كالشيء يحوط الشيء يحفظه... وأقصيته: أبعدته. والقصية من الإبل: المودوعة الكريمة لا تجهد ولا تركب، أي تقصى إكراما لها[٤].

٤- ﴿آيَاتِنَا﴾

الآية العلامة، وهذه آية مأياة، كقولك علامة معلمة، والآية: من آيات الله، والجميع: الآي. وتقديرها: فعلة. وهو ما أراه الله -ﷻ- في تلك الليلة من العجائب التي من جملتها قطع هذه المسافة الطويلة في جزء من الليل[٥].

رابعاً: الجانب البلاغي

١- قوله تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الذي أسرى بِعَبْدِهِ** ﴾ فيها العديد من الوجوه البلاغية:

أ- التسبيح:

براعة استهلال لأنه لما كان الإسراء أمرًا خارقًا للعادة، بدأ السورة بما يشير إلى كمال القدرة وتنزهه تعالى عن صفات النقص[٦].

=عن نحو ٦٥ عاماً. انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكّان (٣/ ٢٤٦) سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي (١٧/ ١٧) الأعلام، للزركلي (٤/ ٢٠٤)

(١) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (١٢٦/٣)، المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (٣/ ٢١١).

(٢) انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٨/ ٢٦١)، التلخيص غي معرفة أسماء الأشياء، لأبي هلال العسكري (ص ١١٧)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (١١/١٥).

(٣) انظر: تاج العروس، للزبيدي (٨/ ٣٣٠)، المخصص، لابن سيده (١/ ٣٢٨).

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٩٤/٥)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي (٢/ ٥٠٦).

(٥) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١٦٩/١)، فتح القدير، للشوكاني (٢٤٦/٣)، العين، الفراهيدي (٨/ ٤٤١).

(٦) التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معناها أن التنزيه ثابت لله –تعالى– قبل أن يخلق من ينزهه، فسبحان معناها أن التنزيه ثابت لله، ولو لم يوجد المنزَّه، فلما خلق الله الكون سَبَّحتْ السموات والأرض وما فيهن لله. فإذا كان التسبيح ثابتاً لله قبل أن يوجد المسبّح، ثم سبح لله أول خلقه، ولا يزالون يُسبِّحون فأنت أيضاً سبِّح باسم ربك الأعلى[١].

وجه هذا الاستعمال: أن الأصل أن يكون التسبيح عند ظهور ما يدل على إبطال ما لا يليق بالله تعالى. ولما كان ظهور ما يدل على عظيم القدرة مزيلا للشك في قدرة الله وللإشراك به كان من شأنه أن ينطق المتأمل بتسبيح الله تعالى، أي تنزيهه عن العجز[٢].

ب– نسبة الإسراء لله:

إن محمداً –ﷺ– لم يقل: أنا سَرَيت من مكة إلى بيت المقدس، إنما قال: أُسْرِي بي، وما دام قد أسري به فالقانون في الإسراء هو قانون الحق سبحانه"[٣].

ج– الالتفات:

في هذه الآية، آية الإسراء، تعاقب الالتفات كثيراً على قصر متنه وتقارب طرفيه، فقد قال أولاً «سبحان الذي أسرى» بلفظ الواحد الغائب ثم قال «الذي باركنا» بلفظ الجمع المتكلم ثم قال «إنه هو السميع البصير» بلفظ الواحد الغائب[٤].

د– مقام العبودية:

لم يقل: «سبحان الذي أسرى برسوله»؛ لأن «العبودية» عطاء علوي من الله، فكأن سيدنا –ﷺ– عندما تناهى في العبودية لله نال تناهي الخير[٥].

٢– قوله تعالى: ﴿لَيْلًا﴾ أي تقليل مدة الإسراء وإنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسافة أربعين ليلة، ووجه دلالة ليلاً على تقليل المدة ما فيه من التنكير الدال على البعضية بخلاف ما إذا قلت سريت الليل فإنه يفيد استيعاب السير له جميعاً[٦].

٣– قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

كل كتب اللَّه: هدى لمن استهدى، ورشد لمن استرشد، وبيان لمن استوضح؛ لأنها دعت إلى ثلاث خصال: دعت إلى معالي الأمور، ومكارم الأخلاق، وصالح الأعمال. ونهت عن ثلاث: عن مساوي الأعمال، وعن سفاسف الأمور، ودناءة الأخلاق ورداءتها. ذكر أنه جعل الكتاب هدى لبنى

---

(١) الخواطر، للشعراوي (١٥/ ٩٤٥٠).

(٢) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٤/٨٥٥٩).

(٣) انظر: الخواطر، للشعراوي (٦/٣٨٣٥).

(٤) إعراب القرآن وبيانه (٥/ ٣٩٥).

(٥) انظر: الخواطر، للشعراوي (٥/٢٨٧٢).

(٦) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، لابن لطف الله الحسيني البخاري (٧/٣٤٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إسرائيل؛ لأن منفعة الكتاب حصلت لهم: أنهم هم الذين استهدوا به؛ فعلى ذلك هو هدى لمن استهدى، واللَّه أعلم[١].

٤- ﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ**﴾: أي يا ذرية من حملنا مع نوح، فيه تهييج وتنبيه على المنة، أي يا سلالة من نجينا فحملنا مع نوح في السفينة تشبهوا بأبيكم ﴿**إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**﴾[٢]، وفي ندائهم بذلك تلطف وتذكير بنعمة الله، كأنه يقصد كونوا شاكرين كما كان أبوكم نوح، وفى وصف بني إسرائيل بهذه الصفة إلفات لهم إلى أنهم من ذرية قوم مؤمنين [٣].

خامساً: التفسير والبيان

سبحان الله أسرى بعبده محمد -ﷺ- من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وما أبعد الذي له هذه القدرة القادرة. ما أبعده عن النقائص والسوء ذاتاً وفعلاً وحكماً، واعجبوا أيها المخاطبون من قدرة الله على هذا الأمر الغريب!! وآمنوا بهذا المجد العالي وهذا الشرف السامي للحبيب المصطفى -ﷺ-.

فإن الله -ﷻ-، وتقديساً له وتنزيهاً عن كل نقص لأنه الذي أسرى بعبده في جزء من الليل بسيط من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالشام الذي باركنا فيه بنزول الأنبياء حوله، وباركنا فكان فيه الماء والخضرة والزرع والضرع. سرينا به لنريه بعض آياتنا، وما زاغ البصر في ذلك وما طغى، ولقد رأى من آيات ربه الكبرى ولا عجب في ذلك كله أنه- سبحانه- هو السميع لكل قول، البصير بكل نفس، الذي يضع الأمور في مواضعها حسب الحكمة، ووفقا للحق والعدل، وهو أعلم بخلقه وسيجازى من يؤمن بالإسراء ومن يكفر بها إذ هو السميع البصير.

هذا هو محمد -ﷺ- من نسل إسماعيل، وهذا الشرف السامي للعرب ولأمة محمد في كل زمان ومكان، شرف الإسراء ولقيا الله، وإمامة الأنبياء جميعا، وأما ولد إسحاق أخي إسماعيل وهم بنو إسرائيل الذين يدّعون أنهم شعب الله المختار، وأنهم نسل الأنبياء والمرسلين، وأنه لا يكون نبي من غيرهم فقد تكلم القرآن الكريم عليهم بعد هذا الفخار العظيم الذي كان لمحمد وأمته حتى توضع الأمور في نصابها وحتى تعرف كل أمة قدرها.

وآتينا موسى الكليم نبي بنى إسرائيل الكتاب: التوراة، وجعلناه هدى وهداية لعلهم يهتدون، ولئلا يتخذوا من دوني وكيلا يفوضون إليه أمرهم، ويعاملونه معاملة الإله.

يا ذرية من حملناهم مع نوح، وأنجيناهم من الغرق، وهديناهم إلى الحق والخير أنتم أولى الناس بالتوحيد الخالص والسير على سنن الأنبياء والمرسلين، وها هو ذا نوح أبوكم- عليه السلام- كان عبدا شكورا فاقتفوا أثره، واتبعوا سنته.

---

(١) انظر: تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٥/٧).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤٣/٥).

(٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٤٤١/١)، التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب (٤٤١/٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي تعبير القرآن الكريم بِعَبْدِهِ بدل حبيبه مثلا أو بدل اسمه. إشارة دقيقة: إذ حادثة الإسراء والمعراج معجزة خارقة قد تؤثر على بعض النفوس الضعيفة فتضع النبي -ﷺ- في غير موضعه كما وضعت النصارى المسيح فقيل: عبده أي: الخاضع لعزه وسلطانه حتى توضع الأمور في نصابها، على أن وصف النبي -ﷺ- بالعبودية منتهى الكمال والسمو له.

وفي قوله: ﴿**لَيْلًا**﴾ وقد تحير فيها المفسرون فإن الإسراء لا يكون إلا ليلا فما فائدة ذكرها؟! ولقد أجابوا على ذلك بأنه لفظ مفرد منكر سيق لبيان أن الإسراء كان في جزء من الليل. ولم يكن من مكة إلى المسجد الأقصى الذي يقع في أيام وليال طوال إلا في جزء من الليل بسيط[١].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- ثبوت حادثة الإسراء بنص القرآن الكريم بدلالة قطعية، وثبت الإسراء أيضاً في جميع مصنفات الحديث، وروي عن عشرين صحابياً، فهو من المتواتر[٢].

٢- أنَّ النبي ﷺ هو عبد من عباد الله المصطفين الأخيار المختصمين الذين أراد الله لهم الكرامة باختيارهم لحمل الرسالة، فهو عبد بشر كغيره. إلا أن الله اصطفاه بالوحي وجعله يتميز بنوع من الخاصية على غيره فهو على صلة بالملأ الأعلى،﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**﴾ [سورة الكهف: ١١٠][٣].

٣- كان الإسراء بالروح والجسد يقظة راكباً البراق، لا في الرؤيا والمنام، بدليل نص الآية بعبده وهو مجموع الروح والجسد، ولو كان مناماً لقال: «بروح عبده» ولم يقل: بعبده، وقوله تعالى: ﴿**ما زاغ البصر وما طغى**﴾ [سورة النجم ٥٣/ ١٧] يدل على ذلك، ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة، ولما قالت له أم هانئ: لا تحدث الناس فيكذبوك[٤].

٤- لا خلاف بين العلماء وأهل السير أن الصلاة إنما فرضت بمكة ليلة الإسراء حين عرج بالنبي -ﷺ- إلى السماء، وذلك منصوص عليه في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما[٥].

٥- إن المقصود من الإسراء والمعراج أن يري الله نبيه الآيات العظمى الدالة على وجوده ووحدانيته وقدرته، ومن تلك الآيات: الجنة والنار وأحوال السموات والكرسي والعرش، فيصبح العالم في عينه حقيرا أمام عظمة الكون، وتقوى نفسه على احتمال المكاره والجهاد في سبيل الله. ومن تلك الآيات التي أراه الله العجائب التي أخبر بها النبي الناس، وإسراؤه في ليلة، وعروجه إلى السماء، ووصفه الأنبياء واحداً واحداً، كما ثبت في صحيح مسلم وغيره[٦].

---

(١) انظر: التفسير الواضح، لحجازي (٢/ ٣٥٠)، التفسير المنير، للزحيلي (١٢/١٥).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٢٩٣)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٥).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (١/ ٢١٤)، مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم (ص ١٩٣).

(٤) انظر: تفسير الرازي: (٢٠/ ١٥٣)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٦).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٠/ ٢١٠).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٢٩٧)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦- في الإسراء من مكة إلى بيت المقدس الإشارة إلى وحدة الأنبياء في الرسالة والهدف والتوجه إلى الله تعالى وحده، وإن اختلفت القبلتان، وتمايزت الشرائع، وتمادى الزمان في فترات إرسال الأنبياء عليهم السلام، فهم من أولهم آدم -عليه السلام- إلى خاتمهم محمد -ﷺ- دعاة إلى توحيد الله وعبادته وإلى إصلاح الإنسان والمجتمع، وإسعاد الفرد والجماعة، وتصحيح مسيرة الناس قاطبة على أساس من الحق والعدل والاستقامة والأخلاق السوية(١).

٧- كرم الله محمداً -ﷺ- بالإسراء والمعراج، وكرم موسى -عليه السلام- بالكتاب وهو التوراة الذي جعله الله هدى وهداية لبني إسرائيل من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان بالله تعالى وحده، وتحريم اتخاذ رب سواه يتوكلون عليه في أمورهم. والوكيل: من يوكل إليه الأمر(٢).

٨- نادى الله -سبحانه وتعالى- البشرية قاطبة بأن ينضموا جميعاً تحت راية واحدة هي راية الإيمان بالله تعالى وحده، قائلا: يا ذرية من حملنا مع نوح، وهم جميع من على الأرض، ومنهم موسى وقومه من بني إسرائيل: لا تشركوا مع الله إلها آخر. وذكر الله تعالى نوحاً -عليه السلام- لتذكير البشرية بنعمة الإنجاء من الغرق على آبائهم(٣).

٩- أدى حادث الإسراء والمعراج في ليلة واحدة إلى تمحيص المؤمنين، وتبيان صادق الإيمان، ومريض القلب منهم(٤).

١٠- كان اطلاع الله رسوله -ﷺ- على آيات الكون الأرضية والسماوية ذات العجائب درساً واقعياً لتعليم الرسول بالمشاهدة والنظر، ومن المعلوم أن التعليم المحسوس أوقع في النفس، وأرسخ في الذهن(٥).

١١- إن بشرية النبي -ﷺ- واحتياجه إلى الهواء في طبقات الجو والسموات العليا والملأ الأعلى لم تمنع من إتمام تلك الرحلة، لأن قدرة الله تعالى كفيلة بتوفير حاجياته ومتطلباته، كما يزود الآن رواد الفضاء بالأكسجين(٦).

١٢- إن في غزو الفضاء الآن لدليلاً مؤكداً على صحة الإسراء والمعراج، وأن محمداً -ﷺ- هو أول رواد الفضاء، وأنه تجاوز أسرع ما توصلت إليه محطات الفضاء(٧).

١٣- إن جمع الأنبياء في المسجد الأقصى وإمامة نبينا بهم دليل واضح على وحدة رسالاتهم وختمها

---

(١) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٧).

(٢) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٠).

(٣) انظر: تفسير المراغي، المراغي (١٥/ ١٣)، مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٢٩٨).

(٤) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٦١٦).

(٥) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٨).

(٦) انظر: المرجع السابق نفس الصفحة.

(٧) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٣/ ٨٣٣٠)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

برسالة النبي -ﷺ- ، وبلورتها وانصبابها في شريعته التي ختمت الشرائع السالفة[١].

١٤- المسجد الأقصى هو بيت المقدس، قيل إن الذي بناه يعقوب بن إسحاق عليهما السلام، ومهما يكن تاريخ بنائه فهو مسجد مقدس كما قال -ﷺ-: **(لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: البيت الحرام، ومسجد الأقصى، ومسجدي هذا)** [٢].

وهو إحدى القبلتين - أولهما - اتجه إليه النبي -ﷺ- في مكة، فقد كان في صلاته يصلي متجها إليه غير مستدبر الكعبة، ولما هاجر استمر يتجه إلى بيت المقدس وحده نحو ستة عشر شهراً[٣].

١٥- ذكر اللَّه تعالى بعد المسجد الأقصى وصفاً كريماً له فقال: ﴿**بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾، ففيه آثار النبيين من أولاد إسحاق - عليهم السلام- وفيه كانت الإمامة الكبرى بأرواحهم، وقد قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿**بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾"يريد سبحانه بركات الدين والدنيا، لأنه متعبد الأنبياء من وقت موسى، ومهبط الوحي، وهو محفوف بالأنهار الجارية والأشجار المثمرة"[٤]، وكانت بركته أيضاً في أنه إلى هذا الوقت كان قبلة المسلمين[٥].

١٦- "الإشارة إلى أن اللَّه تعالى عليم علم من يسمع بما قيل لك من مشركي قريش وأهل الطائف، والعليم علم من يبصر بما رد به سفهاء ثقيف وما أوذيت به من أذى رق له قلب بعض المشركين، وهو تعالى مؤنسك في وحشتك وناصرك في وحدتك، فإذا فقدت النصير من أهل الدنيا والمواسي منهم فاللَّه معك، وهو أعز نصير وأرحم بك"[٦].

١٧- "أن المشركين عندما كانوا يطلبون آيات حسية كانوا يريدون الإعنات لا الإقناع، فهذه الآية الحسية قد جاءتهم فزادوا خسراناً، جاءتهم في الإسراء وشق القمر، فزادوا كفرا فقالوا: سحر مستمر"[٧].

١٨- **التفرقة بين المعجزة والتقدم العلمي:**

أن بعض الناس يذكرون الإسراء مع ما يقال الآن في الخروج إلى الفضاء والارتفاع إلى السماء وهذا تهجم على المعجزات، إن الارتفاع إلى الفضاء أو القمر أو المريخ بأسباب حسية مادية هي رافعة كروافع لأحمال لَا فرق بين صغيرها وكبيرها، أما معجزة الإسراء فهي انتقال من مكان إلى مكان في وقت

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (٢/ ٣٢)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٩).

(٢) صحيح البخاري: ك(فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة)، ب(فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة)، ح(١١٨٨)، ٦٠/٢.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٦/١٥)، زهرة التفاسير، أبو زهرة (٨/ ٤٣١٩)،

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٦٤٨).

(٥) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٣/ ٢٤٧)، زهرة التفاسير، أبو زهرة (٨/ ٤٣١٩).

(٦) زهرة التفاسير، أبو زهرة (٨/ ٤٣٢١).

(٧) المرجع السابق نفس الصفحة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان الانتقال يستغرق أربعين يوماً من غير سبب ظاهر، أو دفعة حسية بل بسبب آخر وهو قدرة اللَّه تعالى[١].

١٩- ﴿**وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ**﴾ وأنه بهذا العطف يتبين أن شرائع اللَّه متصلة وأن أنبياء اللَّه تعالى مكرمون، كما أن الإسراء جمع النبيين عند بيت المقدس فقد جمعهم الله تعالى في التكريم هذا بالكتاب والإسراء والمعراج، وذاك بالكتاب الذي كان هداية لبني إسرائيل ألا يتخذوا شريكاً[٢].

٢٠- "رفعة قدر محمد -ﷺ- وإثبات أنه رسول من الله، وأنه أوتي من دلائل صدق دعوته ما لا قيل لهم بإنكاره، فقد كان إسراؤه إطلاعا له على غائب من الأرض، وهو أفضل مكان بعد المسجد الحرام"[٣].

٢١- ﴿**الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ**﴾ "في هذا الوصف بصيغة التفضيل باعتبار أصل وضعها معجزة خفية من معجزات القرآن إيماء إلى أنه سيكون بين المسجدين مسجد عظيم هو مسجد طيبة الذي هو قصي عن المسجد الحرام، فيكون مسجد بيت المقدس أقصى منه حينئذ. فتكون الآية مشيرة إلى جميع المساجد الثلاثة المفضلة في الإسلام على جميع المساجد الإسلامية، والتي بينها قول النبي -ﷺ-: **(لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)** [٤]" [٥].

٢٢- ﴿**الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى**﴾ بهذا الوصف الوارد له في القرآن صار مجموع الوصف والموصوف علماً بالغلبة على مسجد بيت المقدس، كما قال ابن عباس، فكما كان المسجد الحرام علماً بالغلبة على مسجد مكة. وسمي أقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار. فلم يكن العرب يصفونه بهذا الوصف ولكنهم لما سمعوا هذه الآية فهموا المراد منه أنه مسجد إيلياء. ولم يكن مسجد لدين إلهي غيرهما يومئذ[٦].

٢٣- خبر الإسراء به إلى بيت المقدس قد شاع بين المسلمين وشاع إنكاره بين المشركين، فصار المراد بعبده معلوماً، والإضافة إضافة تشريف لا إضافة تعريف؛ لأن وصف العبودية لله متحقق لسائر المخلوقات فلا تفيد إضافته تعريفاً، وهذا بإجماع المفسرين والعلماء والمجتهدين[٧].

٢٤- ﴿**الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ**﴾ أي جوانبه ببركات الدين والدنيا؛ لأن تلك الأرض المقدسة مقر الأنبياء ومهبط وحيهم ومنمى الزروع والثمار، فاكتنفته البركة الإلهية من نواحيه كلها، فبركته إذن مضاعفة، لكونه

---

(١) انظر: الخواطر، للشعراوي (٨٣٣٢/١٣)، زهرة التفاسير، أبو زهرة (٨/ ٤٣٢٢)،

(٢) انظر: تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٧/ ٥)، زهرة التفاسير، أبو زهرة (٨/ ٤٣٣٠).

(٣) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ١٠٩)، التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٥/ ١١).

(٤) سبق تخريجه ص٤١.

(٥) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٥/ ١٥).

(٦) انظر: معالم التنزيل، للبغوي في تفسير القرآن، للبغوي (٣/ ١٠٥)، التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٥/ ١٤).

(٧) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ١٠٩)، التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٥/ ١٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في أرض مباركة، ولكونه من أعظم مساجد الله تعالى، والمساجد بيوت الله. ولكونه متعبد الأنبياء ومقامهم ومهبط وحيه عليهم، فبورك فيه ببركتهم ويمنهم أيضاً[١].

٢٥- رحلة الإسراء تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، إلى محمد -ﷺ-، وبذلك تكون رمزاً إلى أن الإسلام جمع ما جاءت به شرائع التوحيد والحنيفية من عهد إبراهيم- عليه السلام- الصادر من المسجد الحرام إلى ما تفرع عنه من الشرائع التي كان مقرها بيت المقدس ثم إلى خاتمتها التي ظهرت من مكة أيضاً فقد صدرت الحنيفية من المسجد الحرام وتفرعت في المسجد الأقصى. ثم عادت إلى المسجد الحرام كما عاد الإسراء إلى مكة؛ لأن كل سرى يعقبه تأويب[٢].

٢٦- "الاقتصار على وصف المسجد الأقصى في هذه الآية بذكر هذا التبريك أن شهرة المسجد الحرام بالبركة وبكونه مقام إبراهيم معلومة للعرب وأما المسجد الأقصى فقد تناسى الناس ذلك كله، فالعرب لا علم لهم به والنصارى عفوا أثره من كراهيتهم لليهود، واليهود قد ابتعدوا عنه وأيسوا من عوده إليهم، فاحتيج إلى الإعلام ببركته"[٣].

٢٧- أسباب بركة المسجد الأقصى كثيرة كما أشارت إليه كلمة حوله. منها أن واضعه إبراهيم- عليه السلام-، ومنها ما لحقه من البركة بمن صلى به من الأنبياء من داوود وسليمان ومن بعدهما من أنبياء بني إسرائيل، ثم بحلول الرسول عيسى- عليه السلام- وإعلانه الدعوة إلى الله فيه وفيما حوله، ومنها بركة من دفن حوله من الأنبياء، فقد ثبت أن قبري داوود وسليمان حول المسجد الأقصى. وأعظم تلك البركات حلول النبي -ﷺ- فيه ذلك الحلول الخارق للعادة، وصلاته فيه بالأنبياء كلهم[٤].

٢٨- "تقوية يقين الأنبياء من الحكم الإلهية لأنهم بمقدار قوة اليقين يزيدون ارتقاء على درجة مستوى البشر والتحاقاً بعلوم عالم الحقائق ومساواة في هذا المضمار لمراتب الملائكة، فقطرة الله جعلت إدراك المحسوسات أثبت من إدراك المدلولات البرهانية"[٥].

٢٩- أن النبي-ﷺ- عند حلوله بالمسجد الأقصى قد انتقل من مقام الاستدلال على عالم الغيب إلى مقام مصيره في عالم المشاهدة[٦].

٣٠- الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة من اللطيف الخبير، تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، إلى محمد خاتم النبيين- ﷺ- وتربط بين

---

(١) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ٤٢٩)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٣/ ٢٤٧).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٥/ ١٥)، في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٢١٢).

(٣) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٥/ ١٩).

(٤) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٣/ ٢٢٦)، التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٥/ ٢٠).

(٥) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٥/ ٢١).

(٦) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري (١/ ١١٩)، حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي، للخفاجي (٦/ ٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعاً. وكأنما أريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة الرسول الأخير لمقدسات الرسل قبله، واشتمال رسالته على هذه المقدسات، وارتباط رسالته بها جميعاً[١].

٣١- ﴿**أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا**﴾ ذلك الإنذار وهذا التذكير مصداق لوعد الله الذي يتضمنه سياق السورة كذلك بعد قليل. وذلك ألا يعذب الله قوماً حتى يبعث إليهم رسولاً ينذرهم ويذكرهم[٢].

٣٢- القصد الأول من إيتاء موسى الكتاب: ﴿**هُدىً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا**﴾ فلا يعتمدوا إلا على الله وحده، ولا يتجهوا إلا إلى الله وحده. فهذا هو الهدى، وهذا هو الإيمان. فما آمن ولا اهتدى من اتخذ من دون الله وكيلاً[٣].

٣٣- خاطب الله بني إسرائيل باسم آبائهم الذين حملهم مع نوح، وهم خلاصة البشرية على عهد الرسول الأول في الأرض، خاطبهم بهذا النسب ليذكرهم باستخلاص الله لآبائهم الأولين، مع نوح العبد الشكور، وليردهم إلى هذا النسب المؤمن العريق. ووصف نوحاً بالعبودية لهذا المعنى ولمعنى آخر، هو تنسيق صفة الرسل المختارين وإبرازها. وقد وصف بها محمداً- ﷺ- من قبل. على طريقة التناسق القرآنية في جو السورة وسياقها[٤].

٣٤- في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**﴾ وصف الله نوحاً -عليه السلام- بكثرة الشكر في السراء والضراء وذلك أنه كان لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس إلا قال الحمد لله وجعله كالعلة لما قبله إيذاناً بكون الشكر من أعظم أسباب الخير ومن أفضل الطاعات وحثاً لذريته على شكر الله سبحانه[٥].

المطلب الثاني: علو بني اسرائيل، وفسادهم، وتدميرهم

قال تعالى: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا * عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا**﴾ **[الإسراء ٤-٨].**

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/ ٢٢١٢)، التفسير الوسيط، للزحيلي (٢/ ١٣٢٥).

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢١٣)،

(٣) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٠)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢١٣)،

(٤) انظر: الكشاف، للزمخشري (٢/ ٦٤٨)، فتح البيان في مقاصد القرآن، للقنّوجِي (٧/ ٣٥٤).

(٥) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠١)، فتح البيان في مقاصد القرآن، للقنوجي (٧/ ٣٥٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً: المناسبة

بعد أن ذكر الله تعالى إنعامه على بني إسرائيل بإنزال التوراة عليهم، لتكون لهم هدى يهتدون بها، ذكر أنهم ما اتبعوا هداها، بل أفسدوا في الأرض بقتل الأنبياء وسفك الدّماء، فسلّط الله عليهم البابليين بقيادة بختنصّر، فقتلوهم ونهبوا أموالهم، وخربوا بيت المقدس، وسبوا أولادهم ونساءهم، وذلك أول الإفسادين وعقابه[١].

ثم لما تابوا، أعاد الله لهم الدولة والغلبة، وأمدّهم بالأموال والبنين، ثم عادوا إلى فسادهم وعصيانهم، فقتلوا زكريا ويحيى عليهما السّلام، فسلّط الله عليهم الفرس، فقتلوهم، وسلبوهم، وخربوا بيت المقدس مرة أخرى، ثم وعدهم الله بالنصر إن أطاعوا، وبالعقاب بنار جهنم إن عصوا وأفسدوا[٢].

ثانياً: التحليل اللغوي

١- ﴿**وَقَضَيْنَا**﴾ القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته[٣]. **والمعنى:** أعلمناهم وأخبرناهم بذلك من طريق الوحي، الذي هو التوراة[٤].

٢-﴿**لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ**﴾ فسد الشئ يفسد فسادًا، فهو فاسد، وقوم فسدى، والاسْتِفْسادُ: خلاف الاستصلاح. والمَفْسَدَةُ: خلاف المصلحة[٥]. **والمعنى:** أرض الشّام بالمعاصي، وخلاف أحكام التوراة[٦].

٣-﴿**وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً**﴾ لتستكبرنّ عن طاعة الله تعالى، وتبغون بغيًا عظيمًا، وتظلمون الناس[٧].

٤- ﴿**فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما**﴾ أولى مرّتي الفساد، ووعد عقاب أولاهما[٨].

٥- ﴿**بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾ أصحاب قوة في الحرب والبطش، وهم بختنصّر وجنوده،

---

(١) انظر: غرائب القرآن للنيسابوري (٤/ ٣٢٦).
(٢) انظر: نظم الدرر للبقاعي (١١/ ٣١٠).
(٣) مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٩٩).
(٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام (١/ ١١٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٢٨).
(٥) الصحاح، للجوهري (٢/ ٥١٩).
(٦) انظر: النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٢٨)، الوجيز للواحدي (ص: ٦٢٨).
(٧) انظر: تفسير يحيى بن سلام (١/ ١١٥)، الوجيز للواحدي (ص: ٦٢٨).
(٨) انظر: تفسير يحيى بن سلام (١/ ١١٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٢٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقيل: جالوت الخزري، وقيل: سنحاريب ملك بابل وجنوده.[١]

٦- ﴿**فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ**﴾ تردّدوا وسط دياركم لطلبكم وقتلكم وسبيكم، فقتلوا الكبار، وسبوا الصغار، وأحرقوا التوراة، وخرّبوا المسجد الأقصى وبيت المقدس[٢].

٧- ﴿**وَكانَ وَعْداً مَفْعُولًا**﴾ وكان وعد عقابكم نافذا، لا بدّ منه[٣].

٨- ﴿**الْكَرَّةَ عليهم**﴾ الدّولة والغلبة، وكان بقتل جالوت حين قتله داود.[٤]

٩- ﴿**نَفِيراً**﴾ فيه وجهان: أحدهما: أكثر عزاً وجاهاً منهم. الثاني: أكثر عدداً ، وكثرة العدد تنفر عدوهم منهم[٥].

١٠-﴿**فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ**﴾ أي جاء وعد المرة الآخرة[٦]. قال أبو زهرة: والفاء في قوله: ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ**﴾، بعد قوله ﴿**وَإِنْ أَسَاتُمْ فَلَهَا**﴾ فاء الترتيب والتعقيب. والمعنى " فإذا جاء وعد الآخرة بعد أن أسأتم، ليسوءوا وجوهكم.[٧] وقال الشعراوي: كلمة الآخرة تدلُّ على أنها المرة التي لن تتكرر، ولكن يكون لليهود غَلَبة بعدها[٨].

١١- ﴿**لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ**﴾ أي بعثناهم ليسوؤا وجوهكم، أي ليجعلوها بادية آثار السوء فيها، بأن يحزنوكم بالقتل والسّبي حزنا يظهر في وجوهكم وحذف بعثناهم لدلالة ما ذكر أولا عليه[٩].

١٢- ﴿**وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ**﴾ بيت المقدس فيخربوه[١٠].

---

(١) انظر: تفسير مجاهد (ص: ٤٢٨)، تفسير القرآن العظيم لابن ابي حاتم (٧/ ٢٣١٨).
(٢) انظر: تفسير الشعراوي (١٤/٨٣٥٨).
(٣) انظر: تفسير يحيى بن سلام (١/ ١١٦)، الوجيز للواحدي (ص: ٦٢٨).
(٤) انظر: النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٣٠)، الوجيز للواحدي (ص: ٦٢٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٣٩).
(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن ابي حاتم (٧/ ٢٣١٨)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٣٠).
(٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام (١/ ١١٧)، تفسير العز بن عبد السلام (٢/ ٢١٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٤٨).
(٧) زهرة التفاسير (٨/ ٤٣٣٨).
(٨) الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٣٦٥).
(٩) انظر: الوجيز للواحدي (ص: ٦٢٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٤٨).
(١٠) انظر: تفسير يحيى بن سلام (١/ ١١٧)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٣١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٣- ﴿**وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً**﴾ يهلكوا، ويدمروا[١]. ﴿**مَا عَلَوْا**﴾ ما غلبوا عليه أو استولوا عليه من بلادكم، أو مدة علوهم[٢]. ﴿**تَتْبِيراً**﴾ هلاكا، وذلك بأن سلّط الله عليهم الفرس، مرة أخرى، فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف، اسمه: جوذرز أو خردوس، وقتل منهم ألوفا، وسبى ذريّتهم، وخرّب بيت المقدس[٣]. قال أبو زهرة: التتبير: التخريب، أي مدة علوهم وغلبهم يخربون كل قائم، ويحرقون ويدمرون مدة علوهم وبقائهم في أرض الله المقدسة، ما بقوا فيها.[٤]

١٤- ﴿**وَإِنْ عُدْتُمْ**﴾ إلى الفساد. عُدْنا إلى العقوبة، وقد عادوا بتكذيب محمد ﷺ، فسلّط عليهم بقتل قريظة، ونفي بني النضير، وفرض الجزية عليهم[٥]. قال أبو زهرة: أي وإن عدتم بالإيمان والصبر وإخلاص النية والجهاد لاستنقاذ الأرض الطاهرة عدنا إليكم بالنصر والتأييد والله معكم ولن يتركم أعمالكم.[٦]

١٥- ﴿**حَصِيراً**﴾ محبسا وسجنا، لا يقدرون على الخروج منها أبدا، وقيل: بساطا، كما يبسط الحصير[٧]. قال طنطاوي: أى:سجنا حاصرا لكم لا تستطيعون الهروب منه، أو الفكاك عنه، أو فراشا تفترشونه، كما قال- تعالى-: ﴿**لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَواشٍ. وَكَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**﴾[الأعراف: ٤١]. قال بعض العلماء: قوله حَصِيراً فيه وجهان: الأول: أن الحصير المحبس والسجن. من الحصر وهو الحبس: يقال حصره يحصره حصرا، إذا ضيق عليه وأحاط به. والثاني أن الحصير: البساط والفراش، من الحصير الذي يفرش، لأن العرب تسمى البساط الصغير حصيراً..» [٨].

ثالثاً: البلاغة

---

(١)انظر: تفسير القرآن العظيم لابن ابي حاتم (٧/ ٢٣١٨)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٣١).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٤٨).

(٣) انظر: تفسير يحيى بن سلام (١/ ١١٧).

(٤) زهرة التفاسير (٨/ ٤٣٣٩).

(٥) انظر: تفسير يحيى بن سلام (١/ ١١٨)، تفسير التستري (ص: ٩٤)، تفسير القرآن العظيم لابن ابي حاتم (٧/ ٢٣١٩).

(٦) زهرة التفاسير (٨/ ٤٣٣٩).

(٧) انظر: تفسير مجاهد (ص: ٤٢٩)، تفسير يحيى بن سلام (١/ ١١٩)، تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٩٢).

(٨) التفسير الوسيط، للطنطاوي (٨/٢٩٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١. ﴿**وقضينا، لتفسدن**﴾ التفات من الغيبة إلى الخطاب[١]. قال ابن الجوزي: هو على الانصراف إلى الخطاب بعد الغَيْبَة.[٢]

٢ ﴿**لتفسدن، ولتَعلُنَّ**﴾ اقتران علوهم بالفساد يفيد أمرين: الأمر الأول: أن علوهم يعقبه طغيان، والطغيان يعقبه الفساد، الأمر الثاني: أن علوهم فيه اعتداء فاجر فاعتداؤهم بقتل الأنبياء وأكلهم الربا والسحت وأن يقتل بعضهم بعضا.[٣]

٣. ﴿**مرتين**﴾ ذكر الفساد مرتين، ولم يذكر عدد العلو لأنه لَا عدد له إن وجدت أسبابه.[٤]

٤. ﴿**أَحْسَنْتُمْ، أَسَأْتُمْ**﴾ طباق[٥].

٥. ﴿**وُجُوهَكُمْ**﴾ خص ذكر الوجوه؛ لأنها المواضع الدالة على ما بالإنسان من خير أو شر.[٦] قال الواحدي: وكأن الوجوه إنما خُصَّت بذلك؛ لأنها تدل على ما كان من ذوي الوجوه من الناس من حزنٍ ومسرةٍ وبشارةٍ وكآبةٍ، والمعنى: بعثناهم ليسوؤوا.[٧]

رابعاً: التفسير والبيان

قال تعالى: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ هذه الآيات بيان لتأريخ بني إسرائيل وإخبار عما يرتكبون من وقائع وأحداث دامغة، ومفاسد عظيمة، والمعنى: وأعلمنا بني إسرائيل وأخبرناهم وأوحينا إليهم وحيا مقضيّا مقطوعا بحصوله فيما أنزلناه في التوراة على موسى أنهم سيفسدون في الأرض: أرض الشام وبيت المقدس أو أرض مصر، أو في كلّ أرض يحلّون فيها مرتين، ويعصون الله، ويخالفون شرع ربّهم

---

(١) انظر: الموسوعة القرآنية (٥/ ٣٧٤).
(٢) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٩).
(٣) زهرة التفاسير (٨/ ٤٣٣٣).
(٤) المصدر السابق.
(٥) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢٠/ ٣٠١).
(٦) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٤٠).
(٧) التفسير الوسيط، للواحدي (١٣/ ٢٦٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في التوراة مخالفتين لا مخالفة واحدة، وهما: الأولى- مخالفة التوراة وتغييرها، والثانية- قتل بعض الأنبياء[1].

قال تعالى﴿لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا﴾، أي: يتجبّرون ويطغون ويفجرون ويستعلون على الناس بغير الحق استعلاء عظيما، ويظلمونهم ظلما شديدا، فقوله تعالى: عُلُوًّا كَبِيراً أراد به التّكبر والبغي والطغيان. **﴿فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما﴾**، أي: فإذا حان موعد أولى المرتين من الإفساد، وجاء وعد الفساق ووقت العقاب الموعود به على المرة الأولى، سلّطنا عليكم جندا من خلقنا أولي بأس شديد، أي قوة وشدّة وأصحاب عدّة في الحروب وعدد، وهم أهل بابل بقيادة بختنصّر، حين كذبوا إرمياء وجرحوه وحبسوه، وقيل: أرسل عليهم جالوت فقتلهم، فهو وقومه أولو بأس شديد. وقيل: هم جند من فارس، وقيل غير ذلك، والمهم العبرة والعظة من تسلّط فئة على فئة باغية، ولا يهم بيان الأشخاص والجماعات[2].

قوله تعالى: **﴿فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ﴾** أي: أوغلوا في البلاد وتملكوها، وتردّدوا فيها وفي أوساطها ذهابا وإيابا، لا يخافون أحدا، يقتلون ويسلبون وينهبون، ويقتلون العلماء والكبراء، وكان من آثارهم إحراق التوراة، وتخريب بيت المقدس، وسبي عدد كثير من بني إسرائيل، وكان ذلك وعدا منجزا نافذا، وقضاء كائنا لا خلف فيه، أو قضاء حتما جزما لا يقبل النقض والنسخ لأنهم تمردوا وقتلوا خلقا من الأنبياء والعلماء. وكان هذا الدّرس القاسي البليغ محقّقا الثّمرة والغاية، فاتّعظ بنو إسرائيل مما حدث، وثابوا لرشدهم، وعدلوا عن غيّهم وضلالهم، وتمسّكوا بمبادئ كتابهم ودينهم، فكان ذلك مؤذنا بنصر جديد كما قال تعالى: **﴿ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾** أي ثم أعدنا لكم الدولة والغلبة عليهم، ورددنا لكم القوة، وأهلكنا أعداءكم، وجعلناكم أكثر نفيرا، أي عددا من الرجال، وأمددناكم بالأموال والأولاد والسّلاح بفضل طاعة الله والاستقامة على أمره: **﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ﴾**[3].

قال تعالى: **﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾** أي: إن أحسنتم العمل، فأطعتم الله واتّبعتم أوامره واجتنبتم نواهيه، أو إن أحسنتم بفعل الطاعات، فقد أحسنتم إلى أنفسكم لأنكم بالطاعة تنفعونها، فيفتح الله

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١٧/ ٣٥٦- ٣٦٥)، التفسير الوسيط للطنطاوي (٨/ ٢٩١)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٤٥٣)، التفسير الميسر (١/ ٢٨٢).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (١٧/ ٣٦٦- ٣٦٨)، التفسير الوسيط للطنطاوي (٨/ ٢٩١)، مراح لبيد للجاوي (٦١٦/١)، التفسير الميسر (١/ ٢٨٢).

(٣) انظر: التفسير الوسيط للطنطاوي (٨/ ٢٩٣)، مراح لبيد للجاوي (١/ ٦١٧)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٤٥٤)، التفسير الواضح لحجازي (٢/ ٣٥٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليكم أبواب الخيرات والبركات، ويدفع عنكم أذى أهل السوء في الدّنيا، ويثيبكم في الآخرة، وإن أسأتم بفعل المحرّمات أسأتم إلى أنفسكم لأنكم بالمعصية تضرّونها، فبشؤم تلك المعاصي يعاقبكم الله بالعقوبات المختلفة، من تسليط الأعداء في الدّنيا، وإيقاع العذاب المهين في الآخرة. وقوله تعالى: فَلَها أي فعليها، كما قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَساءَ فَعَلَيْها**﴾ وهذه سنّة الله في خلقه، إن عصوا سلّط الله عليهم القتل والنّهب والسّبي، وإن تابوا أزال عنهم تلك المحنة، وأعاد لهم الدولة، جَزاءً وِفاقاً، وَما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيد[1].

قال تعالى: ﴿**فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ**﴾، أي فإذا حان موعد المرة الأخيرة، وجاء وقت العقاب على الكرة الثانية من الإفساد والإقدام على قتل زكريا ويحيى عليهما السّلام، أرسلنا أعداءكم ﴿**ليسوؤا وجوهكم**﴾، أي ليظهروا المساءة في وجوهكم بالإهانة والقهر، ﴿**وليدخلوا المسجد**﴾، أي بيت المقدس قاهرين، كما دخلوه في أول مرة للتخريب والتدمير وإحراق التوراة، ﴿**وَلِيُتَبِّرُوا**﴾، أي يدمّروا ويخرّبوا، ما عَلَوْا، أي ظهروا عليه، تَتْبِيراً، أي تخريبا وهلاكا شديدا، فلا يبقون شيئا من آثار الحضارة والعمران، ويبيدون الأرض ومن عليها، ويهلكون الحرث والزرع والثمر، وقد سلّط الله عليهم في هذه المرة الفرس، فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف المسمى بيردوس أو خردوس، كما ذكر البيضاوي. والخلاصة: إن بختنصّر هو الذي أغار على بني إسرائيل أولا فخرّب بيت المقدس، وكان ذلك في زمن إرميا عليه السّلام، وهذا موافق لتأريخ اليهود، أما في المرة الثانية فإن المغير هو بيردوس ملك بابل، كما ذكر البيضاوي، وهو أسبيانوس، قيصر الروم كما ذكر اليهود في تاريخهم، وكان بين الإغارتين نحو من خمس مائة سنة[2].

ثم فتح الله تعالى باب الأمل أمامهم مرة أخرى، فقال: ﴿**عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ**﴾ أي: لعل ربّكم أن يرحمكم يا بني إسرائيل، ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم في المرة الثانية من تسليط الأعداء عليكم، إن تبتم وأقلعتم عن المعاصي، فيصرفهم عنكم، وقد وفى الله بوعده، فأعزّهم بعد الذّلة، وأعاد لهم الملك، وجعل منهم الأنبياء. ثم أنذرهم الله بقوله: ﴿**وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنا**﴾، أي: وإن عدتم إلى الإفساد والمعاصي في المرة الثالثة، عدنا إلى إذلالكم، وتسليط الأعداء عليكم وعقوبتكم بأشدّ مما مضى في الدّنيا، مع ما ندخره

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١٧/ ٣٧٠- ٣٧٢)، التفسير الوسيط للطنطاوي (٨/ ٢٩٤)، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٤١٠)، التفسير الواضح لحجازي (٢/ ٣٥٥).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (١٧/ ٣٧٣- ٣٨٤)، مراح لبيد للجاوي (١/ ٦١٨)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٤٥٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكم في الآخرة من العذاب والنّكال، ولهذا قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً**﴾، أي مستقرّا وسجنا لا محيد عنه، كما قال ابن عباس، وقال الحسن البصري: فراشا ومهادا وبساطا، كما قال تعالى: ﴿**لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ، وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ**﴾ [الأعراف: ٤١] ، ولأن العرب تسمّي البساط الصغير حصيرا. والخلاصة: إن لبني إسرائيل بسبب عصيانهم ذلّ الدّنيا وعذاب جهنّم في الآخرة. وهذا عبرة لكلّ مخالف أوامر الله تعالى[١].

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف

١. صِدقُ إخبارِ الله لبني إسرائيل أنهم سيقدمون على الفساد والمعاصي، لما علم الله منهم في علمه السابق الأزلي أنهم أرباب انحراف وفساد وتخريب، والمراد بالفساد: مخالفة أحكام التوراة[٢].

٢. القضاء في قوله تعالى ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾أقل احتمالاته الحكم الجزم، والخبر الحتم، فثبت أنه تعالى أخبر عنهم أنهم سيقدمون على الفساد والمعاصي خبرا جزما لا يقبل النسخ، وهذا يدل على أن الله قد يأمر بشيء ويصد عنه، وقد ينهى عن شيء ويقضي بتحصيله، فهذا أحد وجوه الاستدلال بهذه الآية [٣].

٣. لا شك أن الوحي هنا توجيه نفسي، وتصريف للقلوب؛ لأنها غوت وضلت، وما كان اللّه تعالى يوحي بفساد وإنما هو من إغواء الشيطان[٤].

٤. من رحمة الله بعباده إرشادهم لما فيه خيرهم، وتحذيرهم مما فيه هلاكهم، وهو المراد هنا في حق بني إسرائيل، فبين الله إخباره لهم في كتابهم أنهم لا بد أن يقع منهم إفساد في الأرض مرتين، بعمل المعاصي، والبطر لنعم الله، والعلو في الأرض والتكبر فيها، وأنه إذا وقع واحدة منهما سلط الله عليهم الأعداء، وانتقم منهم، وهذا تحذير لهم وإنذار لعلهم يرجعون فيتذكرون[٥].

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١٧/ ٣٨٨- ٣٩٢)، التفسير الوسيط للطنطاوي (٨/ ٢٩٦)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٤٥٤)، التفسير الميسر (١/ ٢٨٢).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢٠/ ٣٠٠)، التفسير القرآني للقرآن (٨/ ٤٤٢)ب، أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ١٧٦).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣٠٠).

(٤) انظر: زهرة التفاسير (٨/ ٤٣٣٣).

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٤٥٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥. الفائدة من إخبار الله تعالى لبنى إسرائيل في التوراة أنهم يفسدون في الأرض مرتين، وأنه سيعاقبهم بسبب طغيانهم وتكبرهم لبيان أن الله ﷻ لا يظلم الناس شيئا، وإنما يعاقبهم على ما يكون منهم من إفساد ويعفو عن كثير، وأن رحمته مفتوحة للعصاة متى تابوا وأنابوا وأصلحوا من شأن أنفسهم. وهناك فائدة أخرى لهذا الإخبار، وهو تنبيه العقلاء في جميع الأمم أن يحذروا من مواقعة المعاصي التي تؤدى إلى الهلاك، وأن يحذروا أممهم من ذلك، ويبصروهم بسوء عاقبة السير في طريق الغي، حتى لا يعرضوا أنفسهم لعقاب الله ﷻ. ومن فوائد إيراد هذا الخبر في القرآن الكريم، تنبيه اليهود المعاصرين للنبي ﷺ ومن على شاكلتهم في الفسوق والعصيان من المشركين، إلى سنة من سنن الله في خلقه، وهي أن الإفساد عاقبته الخسران. فعلى اليهود وغيرهم من الناس أن يتبعوا الرسول ﷺ الذي ثبتت نبوته ثبوتا لا شك فيه، لكي يسعدوا في دنياهم وآخرتهم[١].

٦. الإفساد أن تعمد إلى الصالح في ذاته فتُخرجه عن صلاحه، فكُلُّ شيء في الكون خلقه الله تعالى لغاية، فإذا تركتَه ليؤديَ غايته فقد أبقيته على صلاحه، وإذا أخللْتَ به يفقد صلاحه ومهمته، والغاية التي خلقه الله من أجلها. والحق ﷻ قبل أنْ يخلقنا على هذه الأرض خلق لنا مُقوّمات حياتنا في السماء والأرض والشمس والهواء. . الخ وليس مقومات حياتنا فحسب، بل وأعدَّ لنا في كَوْنه ما يُمكِّن الإنسان بعقله وطاقته أن يَزيدَ الصالح صلاحاً، فعلى الأقل إنْ لم تستطع أن تزيد الصالح صلاحاً فأبْقِ الصالح على صلاحه [٢].

٧. المراد بقوله ﴿**لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ**﴾، أي أرض بيت المقدس، أو يسري في الأرض التي تقاربه، أما ما حول بيت المقدس فهو مبارك ببركة اللَّه تعالى، كما قال في أول السورة، وقرن سبحانه علوهم بفسادهم، وذلك لما استمكن في قلوبهم من الحسد والحقد، وإن اقتران علوهم بالفساد يفيد أمرين: الأمر الأول: أن علوهم يعقبه طغيان، والطغيان يعقبه الفساد، الأمر الثاني: أن علوهم فيه اعتداء فاجر، كقتلهم لأنبيائهم، وقتلهم لبعضهم البعض، وأكلهم الربا والسحت[٣].

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، للطنطاوي (٨/ ٢٩١).

(٢) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٣/ ٨٣٤٦).

(٣) انظر: زهرة التفاسير (٨/ ٤٣٣٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨. كما يكون الإفساد في الماديات كمَنْ أفسدوا علينا الماء والهواء بالملوِّثات، كذلك يكون في المعنويات، فالمنهج الإلهي الذي أنزله الله تعالى لهداية الخلق وألزمنا بتنفيذه، فكوْنُك لا تنفذ هذا المنهج، أو تكتمه، أو تُحرِّف فيه، فهذا كله إفساد لمنهج الله تعالى[١].

٩. الإفساد الذي يقع من بنى إسرائيل مصاحب لصفة دالّة عليه، مرهصة به، وهى أن يكونوا فى حال، هم فيها أصحاب قوة متمكنة وسلطان ظاهر، وعلوّ فى الأرض.. وأن هذا السلطان الظاهر لهم، وهذه القوة العتيدة بين أيديهم، وهذا العلوّ البادي لهم، إنما هو نعم مستنبتة فى أرض فاسدة، وغيث هاطل على مستنقع عفن.. ومن هنا يكون البناء الذي أقاموا منه سلطانا، وحصلوا منه على قوة، وبلغوا به ما بلغوا من علو – هو بناء فاسد، يحمل فى كيانه معاول هدمه وتدميره[٢].

١٠. تكرر العقاب مرتين والإنقاذ من العذاب والذّل مرتين أيضا فيه رحمة من الله بعباده لأن العقاب قد يكون سبيلا للإصلاح والتّربية والتّهذيب، ولأن التّغلّب على الأزمات والتّخلّص من المهانة والإذلال فيه تجديد للنّفس، وعون على فتح باب الأمل، وطرد اليأس من النّفوس[٣].

١١. الأمم المغلوبة على أمرها، تستطيع أن تسترد مجدها، متى أصلحت من شأن أنفسها، ومتى استقامت على أمر الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿**ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ، وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ، وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً**﴾[٤].

١٢. اختلف المفسرون في تعيين مرتي الإفساد، وتعيين المسلطين، إلا أن الباحث يرى ما يأتي:

أ– أنه لم يصح عن رسول الله ﷺ حديث في بيان المراد بالعباد الذين سلطهم الله على بنى إسرائيل عقب مرتى إفسادهم، وإلا لذكره المفسرون.

ب– أن الإفساد في الأرض قد حدث كثيرًا من بنى إسرائيل، ومما يدل على هذا قوله تعالى﴿**وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا**﴾ وقوله– تعالى–: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**﴾ [الأعراف: ١٦٧].

---

(١) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٣/ ٨٣٤٦).
(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب (٨/ ٤٤٥).
(٣) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٣٦٠)، التفسير الحديث لدروزة (٣/ ٣٥٩).
(٤) انظر: التفسير الوسيط، للطنطاوي (٨/ ٢٩١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ج- أن المقصود من سياق الآيات، إنما هو بيان سنة من سنن الله في الأمم حال صلاحها وفسادها. ولا شك أن هذه السنة ماضية في الأمم دون تبديل أو تحويل في كل زمان ومكان. وما دام هذا هو المقصود، ففهمه لا يتوقف على تحديد مرتى إفسادهم، وتحديد المسلط عليهم عقب كل مرة.

١٣. جعل سبحانه ﴿**بَعَثْنَا**﴾ جواب شرط لقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا**﴾ وهي المرة الأولى للفساد، وهذه القضية الشرطية تفيد أن الفساد في الأمم يتردى إلى أن تكون نهبا للمغيرين عليهم، وأن الحصن الحصين لمنع غارات المغيرين هو استقامة الأمة في ذات نفسها وإقامة العدالة والحكم بالأمانة والعدل، وأما فسادها فإنه يؤدي إلى الانهيار وأن تكون طُعْمة للمغيرين يجدون فيها مغانم يغنمونها(١).

١٤. القاعدة التي لا تتغير في الدنيا وفي الآخرة والتي تجعل عمل الإنسان كله له، بكل ثماره ونتائجه. وتجعل الجزاء ثمرة طبيعية للعمل، منه تنتج، وبه تتكيف وتجعل الإنسان مسؤولا عن نفسه، إن شاء أحسن إليها، وإن شاء أساء، لا يلومن إلا نفسه حين يحق عليه الجزاء(٢).

١٥. إذا قال قائل: الوعد لا تُقال إلا في الخير، فكيف سمَّى القرآن هذه الأحداث خيراً: ﴿**بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ..**﴾، والجواب: الوعيد يُطلَق على الشر، والوعد يُطلَق على الخير وعلى الشر، ذلك لأن الشيء قد يكون شراً في ظاهره، وهو خير في باطنه، وفي هذا الموقف الذي نحن بصدده، إذا أراد الحق سبحانه أنْ يُؤدِّبَ هؤلاء الذين انحرفوا عن منهجه، فقد نرى أن هذا شر في ظاهره، لكنه في الحقيقة خير بالنسبة لهم، إنْ حاولوا هم الاستفادة منه(٣).

١٦. أسند سبحانه البعث إلى ذاته العلية ﴿**بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا**﴾؛ لأنه جاء على سنة الوجود التي سنها، ولن تجد لسنة اللَّه تبديلا، وهو أن الفساد يغري بالهجوم على الفاسدين، ولأن المغالبة الإنسانية تجعل القوي يأكل الضعيف ولا ضعف أكثر من استشراء الفساد فإنه يهدم كيانها ويعرضها للفناء، سنة اللَّه تعالى في الوجود. وعبر بـ ﴿**عِبَادًا لَنَا**﴾ بما يفيد الاختصاص، ومؤدى ذلك أن اللَّه جعلهم له لَا لأجل العبودية والطاعة، بل ليكونوا آلة تأديب وتهذيب لمن يخرجون عن الهداية ويقعون في الفساد، وهؤلاء الجبارون هم طُعْمة لغيرهم إذا فسدوا، وهكذا يتدافع الشر، ويدفعه أخيرًا الخير ﴿**وَلَوْلَا**

---

(١) انظر: زهرة التفاسير (٨/ ٤٣٣٤).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ٢٢١٤)، أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ١٧٨).

(٣) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٣٥٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَـدَفَعُ اللَّـهِ النَّـاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّـهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١][1].

١٧. تشير آية ﴿**إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ**﴾ إلى أن رحمة الله تعالى غالبة على غضبه لأنه تعالى لما حكى عنهم الإحسان أعاده مرتين فقال: ﴿**إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ**﴾ ولما حكى عنهم الإساءة اقتصر على ذكرها مرة واحدة فقال تعالى: ﴿**وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا**﴾ ولو لم يكن جانب الرّحمة غالبا، لما فرق بين التعبيرين[2].

١٨. إن عدل الله يقضي بأن من عاد إلى العصيان عاد الله إلى عقابه: ﴿**وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا**﴾ ومن عاد إلى التوبة والرّشد والهداية والاستقامة عادت رحمة الله إليه: ﴿**عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ**﴾[3].

١٩. سنة من سننه التي لا تتخلف، وهي أن الإحسان عاقبته الفلاح، والعصيان عاقبته الخسران، وأن كل إنسان مسئول عن عمله، ونتائج هذا العمل سواء أكانت خيراً أم شراً لا تعود إلا عليه. أيها الناس إن أحسنتم أعمالكم، بأن أديتموها بالطريقة التي ترضى الله تعالى أفلحتم وسعدتم، وجنيتم الثمار الطيبة التي تترتب على هذا الإحسان للعمل، وإن أسأتم أعمالكم، بأن آثرتم الأعمال السيئة على الأعمال الحسنة، خسرتم وشقيتم وتحملتم وحدكم النتائج الوخيمة التي تترتب على إتيان الأعمال التي لا ترضى الله– تعالى. سُنّة من سنن الله الكونية التي يستوي أمامها المؤمن والكافر، وهي أن مَنْ أحسن فله إحسانه، ومَنْ أساء فعليه إساءته[4].

٢٠. عزا سبحانه الإساءة إلى الوجوه، لأن آثار الأعراض النفسية الحاصلة في القلب إنما تظهر على الوجه، فإن حصل الفرح في القلب ظهر الإشراق في الوجه، وإن حصل الحزن والخوف في القلب، ظهر الكلوح في الوجه[5].

٢١. ختم سبحانه الآيات الكريمة ببيان أن هذا الدمار الذي حل ببني إسرائيل بسبب إفسادهم في الأرض مرتين، قد يكون طريقا لرحمتهم، وسببا في توبتهم وإنابتهم، إن فتحوا قلوبهم للحق، واعتبروا

---

(١) انظر: زهرة التفاسير (٨/ ٤٣٣٦).
(٢) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢٠/ ٣٠١)، اللباب، لابن عادل الدمشقي (١٢/ ٢١٤).
(٣) انظر: التفسير المنير للزحيلي (١٥/ ٢٦).
(٤) انظر: التفسير الوسيط للطنطاوي (٨/ ٢٩٣).
(٥) انظر: المرجع السابق (٨/٣٩٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالأحداث الماضية، وفهموا عن الله- تعالى- سنته التي لا تتخلف، وهي أن الإحسان يؤدى إلى الفلاح والظفر، والإفساد يؤدى إلى الخسران والهلاك. أى: عسى ربكم أن يرحمكم: ويعفو عنكم يا بنى إسرائيل متى أخلصتم له العبادة والطاعة، وأصلحتم أقوالكم وأعمالكم، فقد علمتم أنه- سبحانه- لا ينزل بلاء إلا بذنب، ولا يرفعه إلا بتوبة. وهذه الترجية ليست لرجوع دولة، وإنما هي من باب ترحم المطيع منهم، وكان من الطاعة أن يتبعوا عيسى ومحمدا- عليهما السلام- ولكنهم لم يفعلوا [1].

٢٢. قوله سبحانه ﴿**رَبُّكُم**﴾، فيه الإشارة إلى العظمة الإلهية، ورحمة الرب سبحانه الذي ما يزال يخاطب الكافرين الملحدين المعاندين لرسوله، وهو آخر رسول يأتي من السماء، ومع ذلك كله يخاطبهم بقوله: ﴿**رَبُّكُم**﴾؛ لأن الربّ هو المتولّي للتربية والمتكفّل بضمان مُقومات الحياة، لا يضنّ بها حتى وإنْ كان العبد كافراً، فالكلُّ أمام عطاء الربوبية سواء: المؤمن والكافر، والطائع والعاصي. الجميع يتمتع بِنعَم الله: الشمس والهواء والطعام والشراب، فهو سبحانه لا يزال ربهم مع كل ما حدث منهم[2].

٢٣. ليس عذاب العصاة مقصوراً على الدّنيا بالإذلال والإهانة والقتل والنّهب والسّبي، وإنما هناك عذاب آخر ادّخره الله لهم في جهنّم، بإحاطة نارها بهم، وجعلها مقرّاً ومحبساً وسجناً لهم، أو مهاداً وفراشاً وبساطاً[3].

٢٤. العقاب على الذنوب في الدنيا لا ينجي الكفار من عذاب الآخرة. فالعقوبة على الذنب التي تُبرّئ المذنب من عذاب الآخرة ما كان في حِضْن الإسلام، وإلاَّ لاَسْتوى مَنْ أقيم عليه الحدّ مع مَنْ لم يُقمْ عليه الحد؛ لذلك يقول تعالى بعدها: ﴿**وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً**﴾ [4].

٢٥. سيظل اليهود خميرة عكننة ونكَدٍ بين سكان الأرض إلى يوم القيامة، وهذه الخميرة هي في نفس الوقت عنصر إثارة وإهاجة للإيمان والخير؛ لأن الإسلام لا يلتفت إليه أهله إلا حين يُهَاج الإسلام، فساعة أنْ يُهَاجَ تتحرك النزعة الإيمانية وتتنبّه في الناس. إذن: فوجود اليهود كعنصر إثارة له حكمة، وهي إثارة الحيوية الإيمانية في النفوس، فلو لم تُثَر الحيوية الإيمانية لَبهتَ الإسلام. وهذه هي رسالة

---

(١) انظر: التفسير الوسيط للطنطاوي (٨/ ٢٩٥).

(٢) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٣٦٩).

(٣) انظر: انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢٠/ ٣٠٣)، أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ١٧٨).

(٤)انظر: الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٣٧١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكفر ورسالة الباطل، فلوجودهما حكمة؛ لأن الكفر الذي يشقي الناس به يُلفِت الناس إلى الإيمان، فلا يروْنَ راحة لهم إلا في الإيمان بالله، ولو لم يكُنْ الكفر الذي يؤذي الناس ويُقلق حياتهم ما التفتوا إلى الإيمان. إذن: ففكرة التجمُّع والوطن القومي التي نادى بها بلفور وأيَّدتْها الدول الكبرى المساندة لليهود والمعادية للإسلام، هذه الفكرة في الحقيقة تمثل خدمة لقضية الإسلام، وتُسهِّل علينا تتبعهم وتُمكّننا من القضاء عليهم(١).

المطلب الثالث: الإنسان بين نعمة الهداية والجزاء في الدنيا والآخرة

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا * وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا * مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا * وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء:٩ – ١٧].

أولاً: المناسبة

١. **﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ...﴾**بعد أن ذكر الله تعالى ما أكرم به محمداً ﷺ وهو الإسراء وأكرم موسى عليه السلام بالتوراة، وأنها هدى لبني إسرائيل، وما سلط عليهم بذنوبهم من عذاب الدّنيا والآخرة، مما يستدعي ردع العقلاء عن معاصي الله، ذكر ما شرّف الله به رسوله أيضا من القرآن الناسخ لحكم التوراة وكل كتاب إلهي، وأبان أهدافه من الهداية للطريقة أو الحالة التي هي أقوم، والتّبشير بالثواب العظيم لمن أطاعه، وإنذار الكافرين بالعذاب الأليم (٢).

٢. **﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ...﴾** : بعد أن بيّن الله تعالى ما أنعم به من نعم الدين على الناس وهو القرآن، أتبعه ببيان ما أنعم عليهم من نعم الدنيا، وهو في ذاته استدلال بالدلائل الواضحة

(١) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٣٦٥).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣٠٣)، البحر المحيط، لأبي حيان (٧/ ١٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على قدرة الله وحكمته. وبعد أن أبان تعالى دلائل التوحيد والنبوة والمعاد، وأوضح أحوال الوعد والوعيد والترغيب والترهيب، ذكر مبدأ رفيعا ومهما جدا، وهو مبدأ المسؤولية الفردية أو الشخصية عن أعمال الإنسان وأن ذلك المبدأ قد تقرر بعد إرسال الرسل وبيان معالم الهدى، فلا تكليف قبل الشرع، ولا عقاب ولا عذاب قبل البيان والإنذار وأن العقاب العام للقرى والأمم لا يكون إلا بعد الأمر بالطاعات والخيرات، ومخالفة ذلك الأمر، والفسق[١].

ثانياً: أسباب النزول

١. ﴿**مَنِ اهْتَدَى**﴾ قالت فرقة: نزلت الإشارة في الهدى إلى أبي سلمة بن عبد الأسود، وفي الضلال إلى الوليد بن المغيرة. وقيل: نزلت في الوليد هذا قال: يا أهل مكة، اكفروا بمحمد، وإثمكم علي.[٢]

٢. ﴿**وَيَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ**﴾ قال السمرقندي: "يقال: نزلت في النضر بن الحارث حيث قال: ﴿**فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ**﴾ [الأنفال: ٣٢]". فَاسْتَجَاب الله لَهُ، وَضربت عُنُقه صبرا يَوْم بدر[٣].

ثالثاً: التحليل اللغوي

١. ﴿**يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ " قوم: القاف والواو والميم أصلان صحيحان، يدل أحدهما على جماعة ناس، وربما استعير في غيرهم. والآخر على انتصاب أو عزم"[٤]. وقال ابن منظور: "وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾؛ مَعْنَاهُ لِلْحَالَةِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ الحالاتِ وَهِيَ تَوْحِيدُ اللَّهِ، وشهادةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، والإِيمانُ برُسُله، وَالْعَمَلُ بِطَاعَتِهِ"[٥]. يهدي إلى الطريقة التي هي أعدل وأصوب[٦].

---

(١) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ٣٢)، الخواطر، للشعراوي (١١/ ٦٧٢٤)، التفسير الوسيط، لمجمع البحوث (٨/ ٢٣٣).

(٢) انظر: تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٢٦)، البحر المحيط، لأبي حيان (٧/ ٢٣)، المحرر الوجيز، لابن عطية (٣/٤٤٣).

(٣) بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٣)، وانظر: تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٢٢)، التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (١/ ٤٤٢).

(٤) مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٤٣).

(٥) لسان العرب، لابن منظور (١٢/ ٤٩٩).

(٦) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٣/ ٢٣١)، تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٢٢)، معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ١٢٣)، إيجاز البيان عن معاني القرآن، للنيسابوري (٢/ ٤٩٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢. ﴿**أَعْتَدْنا**﴾ أعددنا وهيأنا[١]. والمراد: الذين لا يصدقون بالمعاد إلى الله، ولا يقرون بالثواب والعقاب في الدنيا، فهم لذلك لا يتحاشون من ركوب معاصي الله، فأعد لهم، لقدومهم عليه يوم القيامة عذاباً موجعاً[٢].

٣. ﴿**أَلِيماً**﴾ مؤلماً، وهو النار[٣]. والمؤلم: الذي يبلغ إيجاعُه غاية البُلوغِ[٤]. والمقصود: أن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما وهي النار[٥].

٤. ﴿**وَيَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ**﴾ "الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك"[٦]. وأصله في اللغة: ويدعو بالواو، إلا أن الواو والألف حذفت في الكتابة، لأن الضمة تقوم مقامها مثل قوله: ﴿**سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ**﴾ [العلق: ١٨]، وأصله سندعو، أي: يدعو عند غضبه بالشّر على نفسه وأهله وماله.[٧]

٥. ﴿**دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ**﴾ أي كدعائه له[٨]. قال التستري[٩]: "أسلم الدعوات الذكر وترك الاختيار بالسؤال والدعاء، لأن في الذكر الكفاية، وربما يدعو الإنسان ويسأل ما فيه هلاكه وهو لا يشعر، والذاكر على

---

(١) انظر: تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٢٢)، البحر المحيط، لأبي حيان (٧/ ١٩)، التفسير الوسيط، للطنطاوي (٣٠٤/٨)، التفسير الوسيط، لمجمع البحوث (٥/ ٧٢٦).

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري (١٧/ ٣٩٣).

(٣) انظر: معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ١٢٣)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (٦/ ٨٦)، معالم التنزيل، للبغوي (١٢٣/٣).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٢/ ٢٩).

(٥) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي (٦/ ٨٦).

(٦) مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ٢٧٩).

(٧) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٣)، تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٢٢)، معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ١٢٣)، إيجاز البيان عن معاني القرآن، للنيسابوري (٢/ ٤٩٦)، تفسير العز بن عبد السلام (٢/ ٢١٤).

(٨) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٣)، تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٢٢)، تفسير يحيى بن سلام (١/ ١١٩)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٢٩).

(٩) **التستري**: سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أبو محمد: أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال. ولد عام ٢٠٠هـ ، له كتاب في (تفسير القرآن – ط) مختصر، وكتاب (رقائق المحبين) وغير ذلك، وتوفي عام ٢٨٣هـ. الأعلام للزركلي (٣/ ١٤٣)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الـدوام التـارك للاختيـار والـدعاء والـسؤال مبـذول لـه أفـضل الرغائـب، وسـاقط عنـه آفـات الـسؤال والاختيار"[١].

٦. ﴿**عَجُولًا**﴾ صيغة مبالغة في عاجل. يقال: عجل فهو عاجل وعجول[٢].

والعَجَلَةُ: طلب الشيء وتحرّيه قبل أوانه، وهو من مقتضى الشّهوة، فلذلك صارت مذمومة في عامّة القرآن[٣].

٧. ﴿**آيَتَيْنِ**﴾ علامتين دالتين على قدرة الله تعالى، بتعاقبهما على نسق واحد.[٤] فالشمس آية النهار، والقمر آية الليل[٥].

٨. ﴿**فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ**﴾ أي جعلنا الآية التي هي الليل ممحوّة لا نور فيها، والإضافة فيها للتبيين، كإضافة العدد إلى المعدود[٦].

٩. ﴿**وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**﴾ "الباء والصاد والراء أصلان: أحدهما العلم بالشيء، وأصل ذلك كله وضوح الشيء، وأما الأصل الآخر فبصر الشيء غلظه"[٧]. أي جعلنا شمسه مضيئة للأبصار، فالعرب تقول: أبصر النهار إذا أضاء، وصار بحالة يبصر بها[٨].

١٠. ﴿**لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ لتطلبوا في بياض النهار أسباب معاشكم، وتتوصلوا به إلى استبانة أعمالكم[٩]. لتتوصلوا بضوء النهار إلى التصرف في معايشكم[١٠].

---

(١) تفسير التستري (ص: ٩٤).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ٤٣).

(٣) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٥٤٨).

(٤) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٣)، تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٢٤)، معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ١٢٣)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٣٠).

(٥) جامع البيان، للطبري (٣٩٦/١٧).

(٦) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٣)، تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٢٤)، إيجاز البيان عن معاني القرآن، للنيسابوري (٢/ ٤٩٧)، تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٣٤)، المحرر الوجيز، لابن عطية (٣/ ٤٤٢).

(٧) مقاييس اللغة (١/ ٢٥٣).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (٢٢٨/١٠).

(٩) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٤)، تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٢٥)، التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (١/ ٤٤٣).

(١٠) تفسير ابن جزي (٤٤٢/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١١. ﴿**وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ**﴾ قال الأصفهاني[١]: " الحساب: استعمال العدد، يقال: حَسَبْتُ أَحْسُبُ حِسَاباً وحُسْبَاناً، قال تعالى: لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ"[٢]، أي ولتعلموا باختلاف الليل والنار أو بحركتهما عدد السنوات وجنس الحساب[٣].

١٢. ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلًا**﴾ "الفَصْلُ: إبانة أحد الشّيئين من الآخر، وفَصْلُ الخطاب: ما فيه قطع الحكم، وحكم فَيْصَلٌ، ولسان مِفْصَلٌ".[٤]، أي: وكل شيء تحتاجون إليه من أمور الدين والدنيا، بيّناه بيانا غير ملتبس[٥].

١٣. ﴿**وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ**﴾ أي: عمله الذي طَارَ عنه من خيرٍ وشرٍّ[٦]. وذكر النيسابوري[٧] المعنى فقال: "أو كتابه الذي يطير إليه يوم القيامة"[٨].

١٤. ﴿**مَنْشُوراً**﴾ النَّشْرُ، نَشَرَ الثوبَ، والصَّحِيفَةَ، والسَّحَابَ، والنِّعْمَةَ، والحَدِيثَ: بَسَطَهَا"[٩]، قال تعالى: ﴿**يَلْقاهُ مَنْشُوراً**﴾ أي: مفتوحاً غير مطوي[١٠].

---

(١) **الراغب الأصفهاني**: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي.من كتبه (محاضرات الأدباء – ط) مجلدان، و (الذريعة إلى مكارم الشريعة – ط) و (الأخلاق) ويسمى (أخلاق الراغب) و (جامع التفاسير) كبير، طبعت مقدمته، أخذ عنه البيضاوي في تفسيره، و (المفردات في غريب القرآن – ط) و (حلّ متشابهات القرآن – خ) و (تفصيل النشأتين – ط) في الحكمة وعلم النفس، و (تحقيق البيان – خ) في اللغة والحكمة، وكتاب في (الاعتقاد – خ) و (أفانين البلاغة)، توفي سنة ٥٠٢هـ. الأعلام للزركلي (٢/ ٢٥٥)، البلغة (١/ ١٢٢).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٢٣٢).

(٣) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٤)، تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٢٥)، معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ١٢٤)، تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٢٢٧)، الهداية الى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (٥/ ٣٢٢٠).

(٤) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٦٣٨).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٠)، تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٢٥)، تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٧/ ١٦).

(٦) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٥٢٨).

(٧) **النيسابوري**: الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوريّ، نظام الدين، ويقال له الأعرج: مفسر، له اشتغال بالحكمة والرياضيات. أصله من بدلة (قم) ومنشأه وسكنه في نيسابور. له كتب، منها (غرائب القرآن ورغائب الفرقان – ط) في ثلاثة مجلدات، يعرف بتفسير النيسابوريّ، ألفه سنة ٨٢٨ هـ و (أقاف القرآن – ط) و (لبّ التأويل – ط) و (شرح الشافية – ط) في الصرف، يعرف بشرح النظام، و (تعبير التحرير)، توفي سنة ٨٥٠هـ. الأعلام للزركلي (٢/ ٢١٦)

(٨) إيجاز البيان عن معاني القرآن، للنيسابوري (٢/ ٤٩٧)، وانظر: تفسير العز بن عبد السلام (٢/ ٢١٤).

(٩) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٨٠٥).

(١٠) انظر: تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٢٦)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٥. ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ فيه قولان: أحدهما: يعني شاهداً. والثاني: يعني حاكماً بعملك من خير أو شر.[١]

١٦. ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ أي: ثواب اهتدائه له يعود عليه شخصياً[٢].

١٦. ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي: أن إثمه عليها[٣].

١٧. ﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ﴾ "الوِزْرُ: الثّقلُ تشبيها بِوَزْرِ الجبلِ، ويعبّر بذلك عن الإثم كما يعبّر عنه بالثقل. قال تعالى: ﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾"[٤]. ومعنى الآية: لا تحمل نفس حاملة للوزر، وزر نفس أخرى، حتى تخلص الأخرى عن وزرها وتؤخذ بالأولى. وبمعنى آ خر: إن الآثم والمذنب لا يؤاخذ بذنب غيره.[٥]

١٨. ﴿أَمَرْنا مُتْرَفِيها﴾ أمَرَ وآمر، مثل فعل وأفعل، بمعنى: أكثر منعميها، وقيل: أمرناهم بالطاعة على لسان رسلنا.[٦]

١٩. ﴿فَفَسَقُوا فِيها﴾ "فَسَقَ فلان: خرج عن حجر الشّرع"[٧]، وذلك من قولهم: فَسَقَ الرُّطَبُ، إذا خرج عن قشره، وهو أعمّ من الكفر. والفِسْقُ يقع بالقليل من الذّنوب وبالكثير، لكن تعورف فيما كان كثيرا،

---

(١) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٣/ ٢٣٣)، معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ١٢٤)، إيجاز البيان عن معاني القرآن، للنيسابوري (٢/ ٤٩٧)، لطائف الإشارات، للقشيري (٣/ ٢٣٠)، تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٢٦).

(٢) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٤) باختصار ، النكت والعيون، للماوردي (٣/ ٢٣٤)، تفسير القرآن، للسمعاني (٢٢٦/٣).

(٣) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٥)، النكت والعيون، للماوردي (٣/ ٢٣٤)، تفسير القرآن، للسمعاني (٢٢٦/٣)، معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ١٢٤)، تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين (٢/ ٢٧٥)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٣/ ٢٥٠).

(٤) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٨٦٧).

(٥) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٥٤).

(٦) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٥)، النكت والعيون، للماوردي (٣/ ٢٣٦)، جامع البيان، للطبري (١٧/ ٤٠٣)، باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، للغزنوي (٢/ ٨٢٤)، تذكرة الأريب في تفسير الغريب، لابن الجوزي (ص: ٢٠٣).

(٧) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٦٣٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأكثر ما يقال الفَاسِقُ لمن التزم حكم الشّرع وأقرّ به، ثمّ أخلّ بجميع أحكامه أو ببعضه، قال الله تعالى: ﴿**فَفَسَقُوا فِيهَا**﴾"، أي فخرجوا عن أمرنا.[١]

٢٠. ﴿**فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ**﴾ بالعذاب[٢]. قال الطبري: "فوجب عليهم بمعصيتهم الله وفسوقهم فيها، وعيد لله الذي أوعد من كفر به، وخالف رسله، من الهلاك بعد الإعذار والإنذار بالرسل والحجج"[٣].

٢١. ﴿**فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً**﴾ "التدمير: إدخال الهلاك على الشيء"[٤]، والمراد هنا: أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها.[٥]

٢٢. ﴿**الْقُرُونِ**﴾ الأمم المكذبة[٦]. واختلفوا في مدة القرن على ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه مائة وعشرون سنة. والثاني: أنه مائة سنة. والثالث: أنه أربعون سنة[٧]. ذكرها المفسرون دون ترجيح أحد القولين على الآخر.

رابعاً: البلاغة

١. ﴿**آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**﴾ مجاز عقلي لأن النهار لا يبصر، بل يرى فيه، فهو مجاز من إسناد الشيء إلى زمانه.[٨] **والمعنى:** قال أبو زهرة: "أي يبصر الناس فيها، فيكون في الكلام مجاز أيضا فأسند الإبصار إلى الآية باعتبارها منها الإبصار، وذلك مجاز في الاشتقاقات، فأطلق اسم السبب على المسبب، وهو ما يكون فيه من استبانة"[٩].

---

(١) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٥)، إيجاز البيان عن معاني القرآن، للنيسابوري (٢/ ٤٩٧).
(٢) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٥)، تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٢٨)، معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ١٢٥)، تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٢٦)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٣٣١).
(٣) جامع البيان، للطبري (١٧/ ٤٠٦).
(٤) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٣١٨).
(٥) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٥)، تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٢٨)، معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ١٢٥)، التفسير البسيط، للواحدي (١٣/ ٢٩١)، مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣١٤)، التفسير المظهري (٥/ ٤٢٨).
(٦) انظر: معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ١٢٥)، لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٢/ ٢١٤)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٢٨٥)، محاسن التأويل، للقاسمي (٧/ ١٦٤).
(٧) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٣/ ٢٣٧)، تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٢٨)، معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ١٢٦)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٦/ ٢١٩)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٩١).
(٨) انظر: تفسير ابن عرفة (٣/ ٧١)، روح المعاني، للألوسي (٨/ ٢٦).
(٩) زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٣٤٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢. ﴿**طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ**﴾ أستعير الطائر لعمل الإنسان لأن العرب الذين كانوا يتفاءلون ويتشاءمون بالطير، سموا نفس الخير والشر بالطائر بطريق الاستعارة[١]. **والمعنى:** قال البيضاوي: "طَائِرَهُ عمله وما قدر له كأنه طير إليه من عش الغيب ووكر القدر، لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه، استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله تعالى وعمل العبد"[٢].

٣. ﴿**اقْرَأْ كِتَابَكَ**﴾ فيه إيجاز بالحذف. **والمعنى:** يقال له يوم القيامة: اقرأ كتابك، قال الدعاس: "أمر فاعله مستتر وكتاب مفعول به والكاف مضاف إليه والجملة مقول القول لفعل محذوف تقديره يقال له اقرأ"[٣]، وكذلك: ﴿**أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا**﴾ فيه إيجاز بالحذف، **والمعنى:** أمرناهم بطاعة الله فعصوا.[٤]

٤. ﴿**اهْتَدى، ضَلَّ**﴾ بينهما طباق[٥]. قال المطعني[٦]: "الطباق في القرآن الكريم – ومثله كل فنون البديع – يؤدى دوراً هاماً في مظاهر إعجازه، وهو سمة عظيمة من سمات أسلوبه قد سلم – مع كثرته – من التكلف بل هو آية الحسن ومصدر العجب، بينما نرى كل مسرف فيه يسير ثم يكبوا ويصيب ثم يخطئ"[٧].

٥. ﴿**تَزِرُ وازِرَةٌ**﴾ جناس اشتقاق[٨]. قال محمود صافي: " فالجناس بين تزر ووازرة ووزر. والوزر كما في المصباح الإثم. والوزر الثقل أيضا، ومنه يقال وزر يزر، من باب وعد إذا حمل الإثم"[٩].

خامساً: التفسير والبيان

اشتملت الآياتُ السابقة على العديد من المعاني؛ منها:

---

(١) انظر: روح المعاني، للألوسي (٨/ ٣٠)، الموسوعة القرآنية خصائص السور (٥/ ١٠٦)، البدهيات في القرآن الكريم (ص:٤٤).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (٣/ ٢٥٠).

(٣) إعراب القرآن للدعاس (٢/ ١٨٥).

(٤) انظر: الكشاف، للزمخشري (٢/ ٦٥٤)، باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، للغزنوي (٢/ ٨٢٤)، مجاز القرآن (١/ ٣٧٢)، البرهان في علوم القرآن (٣/ ١٧٨).

(٥) صفوة التفاسير، للصابوني (١/ ٥٥٨).

(٦) **المطعني:** الدكتور عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني داعية إسلامي مصري معاصر، قدم إضافات ثمينة إلى المكتبة العربية في مجال تخصصه الأصلي وهو البلاغة العربية. من مواليد مايو ١٩٣١ بجزيرة المنصورية التابعة لمحافظة أسوان، مؤلفاته: كتابه الجامع في دفع الشبهات المثارة حول السنة النبوية، كتابه الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة، إضافة إلى كتبه عن بلاغة القرآن والمجاز في القرآن.. توفي في ٢٩ يوليو ٢٠٠٨م. ترجمته موجودة في موقع المكتبة الشاملة.

(٧) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، (٢/ ٤١٩).

(٨) الجدول في إعراب القرآن، لمحمود صافي (٢٢/ ٢٦٦).

(٩)المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١. **القرآن منهج للهداية**

قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...**﴾ [الإسراء: ٩] كذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم وفيما يهديهم، فيشمل الهدى أقواما وأجيالا بلا حدود من زمان أو مكان ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق، وكل خير يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان[١].

المعنى: لم لا تؤمنون بالقرآن يا بني إسرائيل، والقرآن كالتوراة أنزله الله على رسوله محمد ﷺ، وهو متّصف بثلاث صفات:

الصفة الأولى: أنه يرشد للسبيل التي هي أقوم، فهو يهدي لأقوم الطرق وأوضح السّبل، وإلى الطريقة المثلى التي هي الدّين القيّم.

الصفة الثانية: أنه يبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا يوم القيامة، جزاء عملهم.

الصفة الثالثة: أنه ينذر الذين لا يصدقون بوجود الله ووحدانيته، ولا بالمعاد والثواب والعقاب، ولا يعملون الخير بأن لهم عذاب جهنم، جزاء ما قدمت أنفسهم.[٢]

٢. **الإيمان المقرون بالعمل الصالح**

يقول تعالى: ﴿**وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا *وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾[الإسراء: ٩-١٠]. فهذه هي قاعدته الأصيلة في العمل والجزاء. فعلى الإيمان والعمل الصالح يقيم بناءه. فلا إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان. الأول مبتور لم يبلغ تمامه، والثاني مقطوع لاركيزة له. وبهما معا تسير الحياة على التي هي أقوم.. وبهما معا تتحقق الهداية بهذا القرآن.[٣] ولقد أكد الله ﷻ هذا في مواطن كثيرة حيث قال الله ﷻ: ﴿**وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾، [العصر: ١ – ٣]، ثم قال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾ [البروج: ١١]، وكأنه يقول: "من أراد العزة في الدنيا فطريقها هو الإيمان، ومن أراد الحياة النظيفة، فلا نظافة بغير استقامة، ولا استقامة بغير إيمان، ومن أراد النصر العسكري، فلا نصر بغير بطولة، ولا بطولة بغير أبطال، ولا أبطال بغير تضحية، ولا تضحية بغير

---

(١) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ٢٢١٥).

(٢) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٣)، تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٧/ ١٢)، التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٩٨)، معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ١٢٣).

(٣) في ظلال القرآن (٤/ ٢٢١٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إيمان، ولكن أي إيمان هذا الذي يريده الله، بالتأكيد أنه ليس إيمان النفاق والمنافقين، لقوله تعالى: ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٤] [١].

٣. الإنسان بين جذبين الخير والشر

يقول تعالى:﴿**وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا**﴾ الآية توضح طبيعة الإنسان وما جبله الله عليها، وهي نوعان: أ- الإنسان المتأني: وأقل ما يكون للمتأني إدراك بعض الحاجة، وأقل ما يكون للمستعجل الزَّلل، فقد أبان فَضْلَ المتأنِّي على المستعجِل، بما لا يَقْدِر الخصم أن يدفعه[٢]. ب- الإنسان العجول: القاصر، الذي يعيش في لحظته الحاضرة، ويطغى عليه ما يلابسه فلا يتذكر ما مضى ولا يفكر فيما يلي. فهو يؤوس من الخير، كفور بالنعمة بمجرد أن تنزع منه. مع أنها كانت هبة من الله له. وهو فرح بطر بمجرد أن يجاوز الشدة إلى الرخاء. لا يحتمل في الشدة ويصبر ويؤمل في رحمة الله ويرجو فرجه ولا يقتصد في فرحه وفخره بالنعمة أو يحسب لزوالها حسابا[٣].

٤. الحكمة من خلق الليل والنهار في حياة البشر

قال تعالى﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**﴾، الحكمة من جعل الليل والنهار آيتين: أي علامتين دالتين على قدرتنا وبديع صنعنا، وفي تعاقبهما واختلافهما تحقيق لمصالح الإنسان، ففي الليل سكنه وهدوءه وراحته، وفي النهار حركته وشغله وتقلبه في أنحاء الدنيا للمعيشة والكسب، والصناعة والعمل. وجعلنا ظرف كل من الليل والنهار مناسبا للهدف المنشود والغاية المقصودة، ففي الليل ظلام دامس ومحو للضوء يتلاءم مع راحة النفس والعين والسمع [٤].

٥. **تفصيل القرآن لكل شيء: قال تعالى:** ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا**﴾، أي: وكل شيء لكم به حاجة في مصالح دينكم ودنياكم قد بيناه وشرحناه بيانا نافعا، وشرحا كاملا وافيا، كما قال تعالى: ﴿**ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام ٣٨] وقال: ﴿**وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ [النحل : ٨٩][٥].

---

(١) انظر: السراج المنير، للشربيني (٢/ ٢٨٥)، تفسير المراغي (١٥/ ١٧)، الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٣٩٣)، التفسير الموضوعي لسور القرآن، لمصطفى مسلم (٢٢٢/٤).

(٢) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٤/ ٣٦).

(٣) التفسير الوسيط، للزحيلي (٢/ ٩٤٨).

(٤) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ١٢٤)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري (٤/ ٣٢٩)، زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٣٤٥).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣٠٧)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٥/ ١٦٠)، فتح البيان في مقاصد القرآن (٧/ ٣٦٣)، محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ٤٤٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦. **وقوف البشر بين يدي الله للحساب**

بعد ذكر الزمان وما يقع فيه من أعمال الناس، ذكر تعالى مبدأ التبعية أي المسؤولية عن الأعمال من خير أو شر فقال: ﴿**وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ**﴾ أي وجعلنا عمل كل إنسان ملازماً له لزوم القلادة للعنق إن كان خيراً، ولزوم الغلّ للعنق لا يفك عنه إن كان شرّاً. فالمراد بالطائر: العمل الصادر من الإنسان. والعرب تعبر عن تلازم الشيء بالشيء بما يوضع في العنق، يقال: جعلت هذا في عنقك، أي قلدتك هذا العمل، وألزمتك الاحتفاظ به. وجعل العمل ملازماً للإنسان أمر محتوم وقضاء معلوم، على وفق علم الله الأزلي السابق بالأشياء وبما يصدر عن الناس، وهذا لا يعني الإجبار ونفي الاختيار الذي هو مناط الثواب والعقاب، فكل إنسان مخير في اختيار ما هو خير يقتضي ثوابا حسنا وما هو شرّ يقتضي عقاباً سيئاً[١].

٧. **مسئولية الإنسان الفردية عن نفسه**

قال تعالى: ﴿**مَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ**﴾، أي إذا كان كل واحد مختصاً بعمل نفسه، فمن اهتدى إلى الحق والصواب واتبع شرع الله وهدي النبوة، فإنما ينفع نفسه، ومن ضلّ في عمله وحاد عن شرع الله وكفر به وبرسله، فإنما يضرّ نفسه لأن ثواب العمل الصالح مختص بفاعله، لا يتجاوزه إلى غيره، وعقاب العمل السيء ملازم صاحبه، لا يفارقه [٢].

٨. **الفسق من أسباب هلاك الأمم:**

وقوع العذاب بعد إرسال الرسل فهي كما أخبر تعالى: ﴿**وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا** ﴾، أي إذا دنا وقت إهلاك قوم بعذاب الاستئصال أمرنا مترفيها بالطاعات والخيرات، أي الأمر بالفعل، فإذا خالفوا ذلك الأمر وفسقوا وخرجوا عن الطاعة وتمردوا، حق أو وجب عليهم العذاب جزاء وفاقا لعصيانهم، فدمرناهم تدميرا وأبدناهم إبادة تامة، شملت جميع أهل تلك البلدة. والمترف: هو المتنعم، وهو أولى بالشكر من غيره وأوجب عليه. ودمرناها:

---

(١) انظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور، للجرجاني (٣/ ١٠٩٨)، مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣١٠)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٣/ ٢٥٠)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (١٦١/٥)، روح البيان، لإسماعيل حقي (٢/ ٤).

(٢) انظر: التفسير الوسيط، لمجمع البحوث (٥/ ٧٣٢)، صفوة التفاسير، للصابوني (٢/ ١٤٢)، أيسر التفاسير، للجزائري (٣/ ١٨١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

استأصلناها بالهلاك. والإبادة الشاملة بسبب الأمر العام لجميع المكلفين، أغنياء كانوا أو فقراء، مترفين كانوا أو غير مترفين، لكن خصّ الأمر بالمترفين لأنهم القادة وغيرهم تبع لهم، وشأن العامة والأتباع تقليد الكبراء والزعماء دائماً.[١]

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١. إن القرآن الكريم أنزله الله تعالى على محمد ﷺ سبب اهتداء للبشرية قاطبة، يرشدها لأقوم الطرق، وأصح المناهج، وأعدل المسالك، وهي توحيد الله والإيمان برسله، والدعوة إلى مكارم الأخلاق، وأفضل مناهج الحياة، وللقرآن هدف آخر وهو التّبشير والإنذار، تبشير المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحة بالجنّة، وإنذار أعدائهم الكفار بالعقاب في نار جهنم، والقرآن معظمة وعد ووعيد.[٢]

٢. القرآن مرجعية للبشر: اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل، إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السماوات والأرض، وما في الأفق الأعلى وتحت الثرى، وبدء الخلق، وأسماء مشاهير الرسل والملائكة، وعيون أخبار الأمم السالفة، إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات.[٣]

٣. احتواء القرآن على شمائل الخير: فهو يحتوي على أسرار ومكنونات يعجز أي مفسر عن الإحاطة بإخراج هذه الأسرار والمكنونات، بل لو جَمَعْتَ كل التفاسير قديمًا وحديثًا في كتاب واحد لم تتحقق تلك الشمولية في تفسيره حتى يأتي من بعدهم فيظهرون من هذه الأسرار والمكنونات والإعجاز والفوائد ما لم يظهره من قبلهم وهكذا حتى تنتهي الدنيا ليعلم الباحثون في علوم القرآن خاصة عجزهم وضعفهم عن احتواء مكنونه[٤].

٤. إن طبع الإنسان القلق والعجلة، فيعجل بسؤال الشرّ كما يعجل بسؤال الخير، فيدعو على نفسه وولده وماله عند الضجر بما لا ينبغي، قائلا: اللهم أهلكه ونحوه، كما يدعو ربّه أن يهب له العافية

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٣٥١)، التفسير الوسيط، للطنطاوي (٨/ ٢٧٥)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢١٨).

(٢) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي (٣/ ٤٥٥)، التفسير الموضوعي لسور القرآن، لمصطفى مسلم (٤/٢٢٢).

(٣) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، لفهد الرومي (٢/ ٥٥٨).

(٤) انظر: درج التفسير، للجرجاني (١/٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويوسّع له في الرّزق، فلو استجاب الله تعالى دعاءه على نفسه بالشّرّ، هلك، لكن بفضله لا يستجيب له في ذلك. ونظير الآية آية: ﴿**وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ، لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ**﴾ [يونس ١٠/ ١١]، نزلت في النّضر بن الحارث، كان يدعو ويقول: ﴿**اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[الأنفال:٣٢][(١)]. وعن جابر ﷺ، أن النّبي ﷺ قال: (**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**) [(٢)].

٥. اختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقص، وتعاقبهما، وضوء النهار وظلمة الليل، دليل على وحدانية الله تعالى ووجوده وكمال علمه وقدرته، والنهار وقت مناسب للعمل والحركة والتقلب في الأرض لكسب المعايش وتحصيل الأرزاق، ودورة الليل والنهار تعرفنا بعدد السنوات والأشهر والأيام المتماثلة، وتعلمنا حساب المدة المكونة من طوائف ومجموعات، كالسنة المكونة من اثني عشر شهراً، والشهر من ثلاثين يوماً، واليوم من أربع وعشرين ساعة[(٣)]، ولو لم يتغاير الليل والنهار، لما تمكن الإنسان من الراحة التامة ليلا واكتساب المعايش والأرزاق نهاراً، ولو كان الزمان كله نسقا واحدا لما عرف الحساب على نحو صحيح يسير. ونظير الآية قول الله تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ، مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ؟ أَفَلا تَسْمَعُونَ؟ قُلْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهارَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ، مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ؟ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ [القصص٧٠-٧٣]. وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ، أَوْ أَرادَ شُكُوراً**﴾ [الفرقان٦٢] وقال سبحانه: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً، وَالْقَمَرَ نُوراً، وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ، ما خَلَقَ اللَّهُ ذلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ، يُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ [يونس٥][(٤)].

---

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (١/ ٤٤٢)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ٤٩)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي (٣/ ٤٥٦)، التفسير الموضوعي لسور القرآن، لمصطفى مسلم (٢٢٢/٤).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل، وقصة أبي اليسر، حديث رقم:٣٠٠٩، (٤/ ٢٣٠٤).

(٣) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ١٢٤)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ٤٩)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي (٣/ ٤٥٦).

(٤) انظر: تفسير المراغي (١١/ ٦٨)، زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٦/ ٣٢٩٧)، أيسر التفاسير، للجزائري (١٨٠/٣)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ٣٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦. كل إنسان معلّق بعمله، وعمله مختص به ولازم له، خيرًا أو شرًا، وكتابه الذي يلقاه أمامه يوم القيامة حافل بكل ما قدم وما أخر. وكفى بالإنسان محاسبًا لنفسه[١].

٧. لا تتحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى، بل على كل نفس إثمها دون إثم غيرها، أو لا يحمل أحد ذنب أحد، ولا يجني جان إلا على نفسه. وهذا ردّ واضح على الذين يحرضون غيرهم على ارتكاب المنكر، واقتراف الكفر، ويزعمون أنهم يتحملون عاقبة ذلك. ويؤكد ذلك قوله تعالى: قُلْ: ﴿**لا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنا، وَلا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [سبأ ٢٥][٢].

٨. تقرير مبدأ المسؤولية الشخصية من مفاخر الإسلام ومبادئه التي صححت مفهوم العقاب عند الرومان والعرب وغيرهم، إذ كانوا يعاقبون غير المجرم. ويتضاعف العقاب والإثم على دعاة الضلال بسبب تأثيرهم في الآخرين، دون إعفاء من يتبعونهم في ضلالهم من الوزر والعقاب، لقوله تعالى: ﴿**لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَمِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ [النحل ٢٥]، **وقوله سبحانه:**﴿**وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَأَثْقالًا مَعَ أَثْقالِهِمْ**﴾ [العنكبوت ١٣] فعلى الدعاة إثم ضلالتهم في أنفسهم، وإثم آخر بسبب إضلالهم غيرهم[٣].

٩. مقتضى العدل والحكمة والرحمة أن الله لا يعذب أحداً في الدنيا أو الآخرة على فعل شيء أو تركه إلا بعد إنذار، ولا يعاقب الناس إلا بعد إعذار وبعث الرسل إليهم، لإقامة الحجة عليهم بالآيات المبينة للأحكام والحلال والحرام والثواب والعقاب، كما قال تعالى: ﴿**كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها: أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ؟ قالُوا: بَلى، قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ، فَكَذَّبْنا وَقُلْنا: ما نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ..** ﴾ [الملك ٦٧/ ٨– ٩] وقال ﷻ: ﴿**وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها: أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ، وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا، قالُوا: بَلى، وَلكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ عَلَى الْكافِرِينَ**﴾ [الزمر ٣٩/ ٧١]، ونحو ذلك

---

(١) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ١٢٤)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ٥٠).

(٢) انظر: التفسير البسيط، للواحدي (١٣/ ٢٨٣)، المحرر الوجيز، لابن عطية (٣/ ٤٤٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٣٠)، حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي (٦/ ١٦).

(٣) انظر: التيسير في أحاديث التفسير (٣/ ١٩٨)، التفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ١٣٣١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يدخل أحدا النار إلا بعد إرسال الرسول إليه، ودعوته إلى الخير، وتحذيره من الشرّ [1].

١٠. لا إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان، ولقد أكد الله ﷻ هذا في مواطن كثيرة حيث قال الله على الله ﷻ: ﴿**وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾، [العصر: ١ – ٣]، ثم قال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** ﴾ [البروج: ١١]، وكأنه يقول: "من أراد العزة في الدنيا فطريقها هو الإيمان، ومن أراد الحياة النظيفة، فلا نظافة بغير استقامة، ولا استقامة بغير إيمان، ومن أراد النصر العسكري، فلا نصر بغير بطولة، ولا بطولة بغير أبطال، ولا أبطال بغير تضحية، ولا تضحية بغير إيمان، ولكن أي إيمان هذا الذي يريده الله، بالتأكيد إنه ليس إيمان النفاق والمنافقين، لقوله تعالى: ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٤]. ولهذا نريد الإيمان الذي يثير الكوامن الطيبة داخل الإنسان المسلم، فيبعث فيه السعادة والطمأنية. نريد الإيمان الذي يقود إلى التغيير. ونريد الإيمان الذي يدفع إلى تقوى الله . ونريد الإيمان الذي يدفع إلى الرقابة. ونريد الإيمان الذي يقود إلى التضحية بالمال والنفس في سبيل الله [2].

١١. إقرار مبدأ المسؤولية الشخصية عدلٌ من الله ورحمة بعباده، فلا يحمل أحد ذنب أحد، ولا يجني جان إلا على نفسه. أما ما روي عن عائشة –رضي الله عنها– في الرد على ابن عمر ﷺ حيث قال النبي ﷺ في حديث رواه الشيخان: **(إن الميت ليعذّب ببكاء أهله)**[3] فلا وجه لإنكارها وتخطئتها إذ لا معارضة بين الآية والحديث فإن الحديث محمول على ما إذا كان النّوح من وصية الميت وسنته وبسببه، كما كانت الجاهلية تفعله [4].

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري (١٧/ ٤٠٢)، مفاتيح الغيب، للرازي (١٧/ ٢٦١)، اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الدمشقي (١٠/ ٣٤٦)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/ ٢٥٢).

(٢) انظر: الوحدة الموضوعية لسورة العصر، صبحي اليازجي، الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية، بحث محكم (ص: ٣٣١–٣٣٣).

(٣) صحيح البخاري (٢/ ٧٩)، كتاب الجنائز، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «يُعَذَّبُ المَيِّتُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ» إِذَا كَانَ النَّوْحُ مِنْ سُنَّتِهِ، حديث رقم: ١٢٨٦.

(٤) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ١٢٥)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ٥٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٢. تدل آية ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾ على أن أهل الفترة[١] الذين لم تصلهم رسالة، وماتوا ولم تبلغهم الدعوة وهم أهل الجاهلية وأمثالهم في الجزر النائية الذين لم يسمعوا بالإسلام في زماننا هم ناجون، من أهل الجنة. أما الناس بعد البعثة- بعثة الرسول ﷺ- فهم كما أبان الغزالي رحمه الله أصناف ثلاثة: الأول- من لم تبلغهم دعوته، ولم يسمعوا به أصلا، فهؤلاء في الجنة. الثاني- من بلغتهم دعوته ومعجزاته ولم يؤمنوا به كالكفار في زماننا، فهؤلاء في النار. الثالث- من بلغتهم دعوته ﷺ بأخبار مكذوبة أو بنحو مشوه، فهؤلاء يرجى لهم الجنة[٢].

١٣. إن عذاب الاستئصال لا يكون إلا بشيوع المعاصي والذنوب والمنكرات، فإذا أراد الله إهلاك قرية أمر مترفيها وغيرهم بالطاعة والرجوع عن المعاصي، ففسقوا وظلموا وبغوا، أي آثروا الفسوق على الطاعة، خلافا للأمر، فحق عليها القول بالتدمير والهلاك، إن المعاصي إذا ظهرت، ولم تغيّر، كانت سببا لهلاك الجميع[٣].

١٤. دلّ قوله تعالى: ﴿**وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً**﴾ أنه تعالى عالم بجميع المعلومات، راء لجميع المرئيات، فلا يخفى عليه شيء من أحوال الخلق. وثبت أنه تعالى قادر على كل الممكنات، فكان قادرا على إيصال الجزاء إلى كل أحد بقدر استحقاقه، وأيضًا أنه منزه عن العبث والظلم، وهذه الصفات الثلاث (العلم التام، والقدرة الكاملة، والبراءة عن الظلم) أمان لأهل الطاعة، وخوف لأهل الكفر والمعصية[٤].

١٥. الذنوب هي أسباب الدمار والهلاك لا غير، وأن الله عالم بها، ومعاقب عليها. وكل ما ذكر حثّ للعقلاء على العمل الصالح النافع في الدنيا والآخرة، ودفع إلى الجد وعدم الكسل[٥].

---

(١) فترة انقطاع الرسل.

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (١/ ٤٤٣)، لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ١٢٥)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ٥٢ - ٦١).

(٣) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ١٢٥)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ٦٢).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣١٦)، فتح البيان في مقاصد القرآن (٧/ ٣٦٩).

(٥) انظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٣٥١)، التفسير الوسيط، للطنطاوي (٨/ ٢٧٥)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢١٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع: جزاء من أراد الدنيا ومن أراد الآخرة

قال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا * كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:١٨ – ٢١].

أولاً: المناسبة

بعد أن بيّن الله تعالى ارتباط كل إنسان بعمله، قسم العباد قسمين: قسم يريد الدنيا ويعمل لها، وعاقبته النار، وقسم يريد الآخرة، ومآله إلى الجنان. وكل من الفريقين يرزقهم ربهم في الدنيا لأن عطاءه ليس ممنوعا عن أحد، ولكنهم متفاضلون في الرزق، ومراتب التفاوت في الآخرة أكثر من مراتب تفاوت الدنيا [١].

ثانياً: التحليل اللغوي

١. ﴿**الْعَاجِلَةَ**﴾ لها أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الإسراع، والآخر على بعض الحيوان. فالأول: العجلة في الأمر، واستعجلت فلانا: حثثته. وعجلته: سبقته. والعجالة: ما تعجل من شيء، والأصل الآخر العجل: ولد البقرة [٢]. **والمعنى:** أي بعمله الدنيا، مقصورا عليها همه، والمراد الدار العاجلة، فعبر بالنعت عن المنعوت [٣].

٢. ﴿**ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ**﴾ المشيئة ابتداء العزم على الفعل[٤]. والْمَشِيئَةِ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ وَتَبَايَنَتْ إِلَّا أَنَّهَا مُشْتَرِكَةٌ فِي عُمُومِ كَوْنِهَا مَشِيئَةً. **والمعنى:** لا يجد كل متمنّ ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه[٥].

---

(١) انظر: روح المعاني، للألوسي (٨/ ٤٦)، التفسير الحديث، لدروزة (٣/ ٣٧٢).

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس (٤/ ٢٣٧).

(٣) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٥)، تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٢٨)، معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ١٢٦)، جامع البيان، للطبري (١٧/ ٤١١)، الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٣٥)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٩/ ٤٠٧).

(٤) معجم الفروق اللغوية، للعسكري (ص: ٣٥).

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٢)، بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٥)، تفسير السمعاني(٢٢٨/٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣. ﴿ **مَذْمُومًا مَدْحُورًا**﴾ من الفعل ذم بمعنى عاب، يقال ذممت فلانا أذمه، فهو ذميم ومذموم، إذا كان غير حميد[١]، أي في الآخرة يدخلها ملوما[٢].

٤. ﴿**مَدْحُوراً**﴾ "الدَّحْر: الطّرد والإبعاد، يقال: دَحَرَهُ دُحُوراً"[٣]، والمراد: مطروداُ من رحمة الله تعالى[٤].

٥. ﴿**وَسَعى لَها سَعْيَها**﴾ السَّعْيُ: المشي السّريع، وهو دون العدو، ويستعمل للجدّ في الأمر، خيرا كان أو شرّا، وأكثر ما يستعمل السَّعْيُ في الأفعال المحمودة[٥]. أي: عمل عملها اللائق بها، وهو الإتيان بما أمر به والانتهاء عما نهى عنه، لا التقرب بما يخترعون بآرائهم. وفائدة لام لَها اعتبار النية والخلوص[٦].

٦. ﴿**وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾ إيمانا صحيحا لا شرك فيه ولا تكذيب. فَأُولئِكَ الجامعون للشروط الثلاثة: إرادة الآخرة، والسعي لها بحق، والإيمان.

٧. ﴿**كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً**﴾ عند الله تعالى، أي مقبولا عنده، مثابا عليه، فإن شكر الله: الثواب على الطاعة. وقيل: وضع أَعْمَالهم الْموضع الَّذِي يشْكر عَلَيْهَا[٧].

٨. ﴿**كُلًّا**﴾ من الفريقين، المؤمنين والكفار[٨].

٩. ﴿**نُمِدُّ**﴾ الميم والدال أصل واحد يدل على جر شيء في طول، واتصال شيء بشيء في استطالة. تقول: مددت الشيء أمده مدا.[٩] **والمعنى:** نعطي مرة بعد أخرى[١٠].

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٣٤٥)

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٢)، بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٥)، تفسير السمعاني(٢٢٨/٣).

(٣) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٣٠٨).

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٢)، بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٥)، تفسير السمعاني(٢٢٩/٣).

(٥) المفردات في غريب القرآن، اللراغب الأصبهاني (ص: ٤١١).

(٦) انظر: تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٢٩)، تفسير الجلالين (ص: ٣٦٨).

(٧) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٦)، تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٢٩).

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٢)، تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٢٩)،.

(٩) مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٢٦٩).

(١٠) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٦)، النكت والعيون، للماوردي(٣/ ٢٣٧)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠. ﴿**مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ**﴾ رزق الدنيا[١].

١١. ﴿**مَحْظُوراً**﴾ "المَحْظُور: الممنوع "، والمراد: ممنوعا عن أحد، لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر، تفضلاً"[٢]. وقيل: منقوصا[٣].

١٢. ﴿**فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ**﴾ يدل على زيادة في شيء. من ذلك الفضل: الزيادة والخير. والإفضال: الإحسان[٤] في الرزق والجاه[٥]. وقيل: في العمل الصالح[٦].

ثالثاً: التفسير والبيان

احتوى هذا المقطع من الآيات على العديد من المعاني:

١. **أحوال الناس في الدنيا:**

هذه الآيات تصنيف عام لأحوال الناس في الدنيا، فهم فريقان:

الفريق الأول: فريق يعمل للدنيا، وفريق يعمل للآخرة. أما الفريق الأول فهو: ﴿**مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً**﴾، أي من كان طلبه الدنيا العاجلة، وكانت الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه، فخصها بكل جهده وعمله، ونسي الآخرة، عجل الله فيها تحقيق أمله حسبما يشاء ويريد، من سعة الرزق وترف الحياة، فليس كل من طلب الدنيا ونعمها يحصل له مراده، بل إنما يحصل لمن أراد الله وما يشاء، فالعطاء الدنيوي مقيد بالإرادة والمشيئة الإلهية، والقيد يشمل أمرين: ما يشاؤه الله لا ما يحبه العبد، ولمن يشاء الله، لا لكل من أراد الدنيا، فهؤلاء الماديون لا يعطون كل ما يريدون، وإنما يعطون بعض أمانيهم، والكثير من الماديين لا يعطون شيئا أبدا، فيجمعون بين فقر الدنيا وفقر الآخرة، وبين الحرمان من الدنيا والدين[٧].

---

(١) انظر: تفسير العز بن عبد السلام (٢/ ٢١٥)، إيجاز البيان عن معاني القرآن، للنيسابوري (٢/ ٤٩٨).
(٢) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص: ٢٤٣).
(٣) انظر: معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ١٢٦)، تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٢٦)، جامع البيان، للطبري (١٧/ ٤١١).
(٤) مقاييس اللغة، لابن فارس (٤/ ٥٠٨).
(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٤/ ٤١٠)، زاد المسير، لابن الجوزي (٣/ ١٧).
(٦) معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ١٢٦).
(٧) انظر: الكشاف، للزمخشري (٢/ ٦٥٥)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٢/ ٢٥٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكل من هؤلاء الماديين، سواء أعطوا مرادهم أم لا جهنم يصلونها أي يقاسون حرها بصفة دائمة، مذمومين من الله والملائكة والناس أجمعين على قلة الشكر وسوء العمل والتصرف، مطرودين من رحمة الله تعالى. فهذا العقاب ذو أوصاف ثلاثة في الآية: الدوام والخلود، والإذلال والإهانة، والطرد من رحمة الله. وهذا تهديد للماديين الكفرة وزجر شديد، فإنهم يحصرون همهم في الدنيا، وربما لم ينلهم شيء منها(١).

الفريق الثاني: وهم المؤمنون الأتقياء: فهم الذين أخبر الله تعالى عنهم: ﴿**وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا**﴾، أي ومن طلب الآخرة، وكانت هي همّه ومقصده، فعمل لها ما استطاع من القرب والطاعات، وهو مؤمن مصدق بالله وبكتبه ورسله واليوم الآخر، فأولئك أهل الكمال المشكورون على طاعاتهم، المثابون على أعمالهم من قبل الله تعالى. فلا يثاب هؤلاء ولا ينالون هذا الجزاء الحسن إلا بشروط ثلاثة: الأول: إرادة ثواب الآخرة وما فيها من النعيم والسرور، جاء في الحديث الذي رواه البخاري عن عمر ﷺ: **(إنما الأعمال بالنيات)**(٢). الثاني: أن يكون العمل من القرب والطاعات ومتابعة الرسول ﷺ، لا من الأعمال الباطلة، فإن الكفار يتقربون إلى الله تعالى بعبادة الأوثان، والكواكب والملائكة وبعض البشر من الأنبياء، فقوله: ﴿...**وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا**...﴾ أي أعطاها حقها من السعي بالأعمال الصالحة. الثالث– أن يكون العمل في دائرة الإيمان والتصديق بالثواب والجزاء، فلا ينفع العمل بغير الإيمان الصحيح.وهذه هي الشرائط الثلاثة في كون السعي مشكورا. قال بعض السلف: من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله: إيمان ثابت، ونية صادقة، وعمل مصيب، وتلا هذه الآية. هؤلاء المؤمنون الصلحاء الذين اختاروا غنى الآخرة لا يبالون بشيء بعدها، فإن أوتوا حظا من الدنيا شكروا ربهم، وإن حرموا منه صبروا، ورضوا لأن ما عند الله خير وأبقى.(٣)

٢. تقسيم الله الأرزاق على العباد:

قوله تعالى: ﴿**كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ**﴾ أي إنه تعالى يمد الفريقين: مريدي الدنيا ومريدي الآخرة بالأموال والأرزاق والأولاد وغيرها من مظاهر العز والزينة في الدنيا، فإن عطاءه لا يمنع

---

(١) انظر: روح البيان، لإسماعيل حقي (٤/ ١٠٨)، روح المعاني، للألوسي (٨/ ٤٥).

(٢) صحيح البخاري (١/ ٦)، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، حديث رقم: ١.

(٣) انظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور، للجرجاني (٣/ ١٠٩٩)، مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣١٧)،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن أحد، مؤمنا كان أو كافرا لأن الكل مخلوقون في دار العمل، فاقتضى عدل الله ورحمته ألا يترك لأحد مجالا للعذر، وأبان أن عطاءه ليس بمحظور، أي غير ممنوع، لتوفير متطلبات الحياة ومقوماتها.[١]

٣. تفضيل الله بعض العباد على بعض:

قال تعالى: ﴿**انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ**﴾، أي انظر بعين الاعتبار كيف جعلنا الفريقين متفاوتين في عطاء الدنيا، وكيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق ومتاع الدنيا، فمنحناه مؤمنا، وحجبناه عن مؤمن آخر، وأعطيناه كافرا، ومنعناه عن كافر آخر، وذلك لحكمة بالغة نحن أعلم بها، كما قال: ﴿**نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا، وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ، لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا**﴾[الزخرف: ٣٢].[٢]

٤. عظم درجات الآخرة وفضلها:

يقول تعالى: ﴿**وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ**﴾، أي: والتفاوت في الآخرة أكبر وأعظم، والتفاضل في درجات منافع الآخرة أكبر من التفاضل في درجات منافع الدنيا، فالدرجات أكبر، والتفاضل أعظم لأن الآخرة ثواب وأعواض وتفضل وكلها متفاوتة، فأهل النار في دركات سفلى متفاوتة، وأهل الجنة في درجات عليا متفاضلة، فإن الجنّة مائة درجة، ما بين كل درجتين، كما بين السماء والأرض، جاء في صحيح البخاري: **(إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ، مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ)**[٣].[٤]

رابعاً: تحليل المقاصد و الأهداف

١. الناس في مجال العمل في الدنيا صنفان: صنف يريد الدنيا، وصنف يريد الآخرة، أما الصنف الأول: فلا يعطيه الله من الدنيا إلا ما يشاء، ولمن يشاء، ثم يؤاخذه بعمله، وعاقبته دخول النار حال كونه مذموماً على سوء تصرفه وصنيعه، إذ اختار الفاني على الباقي، مدحورا مطرودا مبعدا من رحمة

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٣/ ٤٤٦)، زاد المسير، لابن الجوزي (٣/ ١٧).

(٢) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي(٤/ ٥٥٨)، زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٣٥٨).

(٣) صحيح البخاري (٤/ ١١٩)، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حديث رقم:٣٢٥٦.

(٤) انظر: تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص: ٥٩)، التفسير القرآني للقرآن (٨/ ٤٦٩)، العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٢/ ٢٩٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله[1]. قال القرطبي: وهذه صفة المنافقين الفاسقين، والمرائين المداجين، يلبسون الإسلام والطاعة لينالوا عاجل الدنيا من الغنائم وغيرها، فلا يقبل ذلك العمل منهم في الآخرة، ولا يعطون في الدنيا إلا ما قسم لهم"[2]. وأما الصنف الثاني وهو الذي يريد الدار الآخرة، ويعمل لها عملها من الطاعات، وكان مؤمنا لأن الطاعات لا تقبل إلا من مؤمن، فيكون عمله مقبولا غير مردود[3].

٢. الذي يريد الآخرة لا بد أن يسعى لها سعيها، فيؤدي تكاليفها، وينهض بتبعاتها، ويقيم سعيه لها على الإيمان. وليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل. والسعي للآخرة لا يحرم المرء من لذائذ الدنيا الطيبة، إنما يمد بالبصر إلى آفاق أعلى فلا يكون المتاع في الأرض هو الهدف والغاية. ولا ضير بعد ذلك من المتاع حين يملك الإنسان نفسه، فلا يكون عبدا لهذا المتاع[4].

٣. من كان يريد اللذات العاجلة، والشهوات الفانية الزائلة، عجل الله له في النشأة الأولى ابتلاءً له، واختباراً وتلبيساً عليه، واغتراراً ما يشاء لمن يريد، لأنه سبحانه مطلع على ما في سره وضميره، ثم جعل في النشأة الأخرى له جهنم، منزل الطرد والحرمان، يصلاها ويطرح فيها مذموما مشؤما محروما مطرودا مقهورا. ومن أراد منهم بامتثال الأوامر المتعلقة بمصالح الدين، وباجتناب نواهيه المخلة له اللذات الأخروية الأبدية، وسعى لها سعيها واجتهد فيها بمقتضى الأمر الإلهي، فهو في حال السعى والاجتهاد مؤمن موقن مصدق بوحدانية الله، وبعموم ما نزل من عنده على رسله، وأولئك هم السعداء المقبولون، الذين كان سعيهم واجتهادهم في امتثال الأوامر واجتناب النواهي مشكورا، مقبولا مستحسنا، وعملهم مبرورا، وجزاؤهم موفورا، وهم كانوا في دار الجزاء مغفورين مسرورين [5].

٤. الله ﷻ يعطي بحكمة، ويمنع لحكمة، ولذا لم يقل سبحانه إنه يعطيهم من العاجلة بما يشاءون، ولا أنه يعطي الجميع، بل يعطي من يريد تسجيلا لمشيئته ولحكمته، وتثبيتا لإرادته واختياره، ولذا قال ﴿**عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ**﴾، فقيد العطاء بمشيئته، بالنسبة للعطاء فقد يعطي هذا المال، ولا يعطيه الصحة، وقد يعطيه السلطان، ولا يعطيه العزة، وقد يعطي هذا الجاه، ولا يعطيه إلا الذل والهوان، والعيش الدون في ذلة، وفي الجملة يعطي العاجلة، ولكن ليست كلها، ولا يعطي العاجلة كل

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦٣/٥).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٣٥).
(٣) التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ٤٧).
(٤) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ٢٢١٨).
(٥) انظر: الفواتح الإلهية، للشيخ علوان (١/ ٤٤٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من يريدها بل يعطيها من اتخذ أسبابها، ولم يتنكب طريقه فيجتمع له مع كفره ذل الدنيا وعذاب الآخرة[١].

٥. اقتضت حكمة الله ورحمته أن يرزق المؤمنين والكافرين، فلا يكون عطاؤه محبوساً ممنوعاً عن أحد، غير أن الناس في الدنيا متفاوتون في الرزق، بين مقلّ ومكثر، ولا يرتبط التفاوت في الرزق بالإيمان والكفر، فقد يكون مؤمن غنيا وآخر فقيرا، وقد يكون كافر موسرا مترفا وآخر معسرا معدما. أما في الآخرة فدرجات تفاضل المؤمنين أكبر وأكثر، فالكافر وإن وسّع عليه في الدنيا مرة، وقتّر على المؤمن مرة، فالآخرة لا تقسم إلا مرة واحدة بأعمالهم، فمن فاته شيء منها لم يستدركه فيها[٢].

٦. إن الحياة للعاجلة، حياة تليق بالديدان والزواحف والحشرات والهوام والوحوش والأنعام. فأما الحياة للآخرة فهي الحياة اللائقة بالإنسان الكريم على الله، الذي خلقه فسواه، وأودع روحه ذلك السر الذي ينزع به إلى السماء وإن استقرت على الأرض قدماه[٣].

٧. كل ميسر لما خلق له، ولهذا يمد الله سبحانه كلا الفريقين المطيع والعاصي ما يهوى ويريد، هؤلاء المؤمنين المطيعين نوفقهم على الطاعات، ونجنبهم عن المعاصي، وهؤلاء الكافرين العاصين، نيسر لهم ما يميل إليه نفوسهم من الأهوية الفاسدة، والآراء الباطلة، وبالجملة كل ذلك من عطاء الله، الذي ربى عباده بأنواع اللطف والكرم، وكيف لا ييسرهم سبحانه ولا يوفقهم إلى ما يعنيه نفوسهم، إذ لا رازق لهم سواه، ولا معطى لهم غيره، لذلك ما كان عطاء ربنا محظورًا ممنوعًا عن الكافر لكفره وعصيانه، موفورا على المؤمنين لإيمانه، بل لا يعلل فعله بالإعراض والأعواض مطلقاً، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد إرادة واختياراً، والتفاوت الجاري بين عباده، إنما هو لحكمة ومصلحة قد استأثر الله به في غيبه لا اطلاع لأحد عليه [٤].

---

(١) انظر: زهرة التفاسير (٨/ ٤٣٥٦).

(٢) التفسير المنير للزحيلي (١٥/ ٤٧).

(٣) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ٢٢١٩).

(٤) انظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية (١/ ٤٤٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨. التعبير بالآخرة في مقابل التعبير بالعاجلة لفرق ما بين الاثنين؛ ذلك يريد أمرا عاجلا لَا يصبر ولا يضبط نفسه، وهذا يريد الآخر، ولو كان مؤجلا، فينال فضيلة الصبر والعمل، ويترقب الآجل ترقب المدرك العامل، بل لا يكتفي بذلك فيسعى لها سعيِها، المقرب لنعيمها والمبعد عن جحيمها[١] .

٩. إن قبول الأعمال عند الله مشروط بشرائط ثلاث: الإيمان الصحيح، والنية الطيبة الحسنة، والعمل الصالح الذي يرضي الله تعالى. وفي قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾ تأكيد على أن الإيمان أصل الأعمال الصالحة ولبها وذروتها وسنامها [٢].

١٠. إن رزق الله وعطاءه مكفول لكل إنسان بشرط السعي والعمل، وليس الرزق محظورا عن أحد من المؤمنين والكفار، لكن الرزق معطي بدرجة متساوية ونسبة واحدة، وإنما هناك تفاوت في الأرزاق، لا يرتبط ذلك بالإيمان والكفر، وإنما يقسمه الله تعالى بين الخلائق على وفق ما يراه من الحكمة والمصلحة. كما أن التفاوت في الدركات للكفار والفساق في نار جهنم وفي الدرجات للمؤمنين الأخيار الأتقياء في الجنة أشد بكثير من التفاوت في الدنيا، فالجنة مثلا مائة درجة، ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض [٣].

١١. إضافة العطاء إلى الله عز وجل، فيه إشارة إلى أنه عطاء لا ينفد ولا ينتهي، فاللَّه هو رب الوجود وهو الذي يمده بالحياة، ويمده بالمدد المستمر الذي لا ينقطع[٤].

١٢. الجزاء من جنس العمل، ولذلك جاءت الإشارة في ﴿**أولئك**﴾ إلى السابقين الموصوفين بإرادة الآخرة بالسعي بالعمل الصالح، وبالإيمان الذاعن الصادق، لبيان أنها سبب الجزاء، والجزاء هو شكر ذلك السعي الظاهر الفاضل، وشكره من اللَّه تعالى بالجزاء عنه، وهو النعيم المقيم، وبالرضا، وهو أعظم ما يثاب به العبد[٥].

١٣. التفاوت في الأرض ملحوظ بين الناس بحسب وسائلهم وأسبابهم واتجاهاتهم وأعمالهم، ومجال الأرض ضيق ورقعة الأرض محدودة. فكيف بهم في المجال الواسع وفي المدى المتطاول. كيف بهم

---

(١) انظر: زهرة التفاسير (٨/ ٤٣٥٦).
(٢) التفسير المنير، للزحيلي (١٥/٤٨).
(٣) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ١٢٦)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي(٣/٤٦٠).
(٤) انظر: زهرة التفاسير (٨/ ٤٣٥٨).
(٥) انظر: المرجع السابق (٨/ ٤٣٥٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في الآخرة التي لا تزن فيها الدنيا كلها جناح بعوضة؟ فمن شاء التفاوت الحق، ومن شاء التفاضل الضخم، فهو هناك في الآخرة. هنالك في الرقعة الفسيحة، والآماد المتطاولة التي لا يعلم حدودها إلا الله، لا في متاع الدنيا القليل الهزيل [١].

١٤. دائما ما يوجه الله ﷻ العباد للنظر والتفكر، لذلك للنظر والتفكر كيف فضل بعضهم في النشأة الأولى بالمال والجاه والثروة والرياسة، على بعض مبتلى بالفقر والمسكنة وانواع المذلة والهوان، وللآخرة المعدة للنعيم أكبر درجات؛ لخلود أصحابها فيها، ومتى اعتبرت ايها المعتبر وتأملت ما في ذلك من العبر، وجب عليك أن لا تجعل ولا تتخذ مع الله الواحد الأحد الفرد الصمد إلها آخر. [٢]

١٥. الناظر نظرة تأمل في الحال التي فُضِل فيها بعض الناس على بعض في الرزق والمال، يجدها غير مرتبطة بالتفضيل في الشرف والمكانة، فالناس عند اللَّه سواء وأمام شرعه سواء، ولا فضل لغني على فقير إلا بالتقوى، قال تعالى: ﴿**فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ**﴾، [النحل: ٧١].

١٦. هذه الآيات متصلة بسابقاتها اتصال تعقيب وسياق أيضا. والمتبادر أنه انطوى فيها تحذير وإنذار للكفار وتطمين للمؤمنين، فإذا كان الكفار وبخاصة زعماؤهم المترفون قد حظوا بالمال والجاه وشغلوا بهما عن الآخرة فسوف يكون مصيرهم إلى جهنم مذمومين مدحورين. أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنهم بذلك قد أرادوا الآخرة وسعوا لها سعيها وسوف تكون منزلتهم عند الله هي الفضلى والكبرى[٣].

المطلب الخامس: حق الله مقروناً بحق الوالدين، ووجوب الإحسان إليهما

قال تعالى: ﴿**لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا * وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا**﴾ [الإسراء: ٢٢– ٢٥].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ٢٢١٩).

(٢) انظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية (١/ ٤٤٩).

(٣) انظر: التفسير الحديث (٣/ ٣٧٢)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولا: المناسبة

بعد أن أبان الله تعالى أن الناس فريقان: فريق يريد بعمله الدنيا فقط، وعاقبتهم العذاب والعقاب، وفريق يريد بعمله طاعة الله، وهم أهل الثواب بشروط ثلاثة: هي إرادة الآخرة، والسعي بحق لطلب الآخرة، وأن يكون مؤمنا، أتبعه ببيان حقيقة الإيمان وأن جوهره التوحيد ونفي الشركاء والأضداد. وبعد أن ذكر الركن الأعظم في الإيمان، أتبعه بذكر شعائر الإيمان وشرائطه، ودعائم بنيان المجتمع الإسلامي، مبتدئا بأصول نظام الأسرة، وتقوية الروابط بين أفرادها(١).

ثانياً: التحليل اللغوي

١. ﴿**فَتَقْعُدَ**﴾ من الفعل قَعَد يَقْعُدُ قُعُوداً، والقاعد العاجز الذي لا يكتسب ما يعيش به(٢).

٢. ﴿**مَذْمُومًا**﴾ من الفعل ذم، بمعنى عاب ولام، والمعنى: تصير جامعاً لنفسك الذم وما يتعلق من الهلاك(٣).

٣. ﴿**مَخْذُولًا**﴾ من الفعل خذل، بمعنى انقطع، وخذله حمله على الفشل، والخذلان والعجز عن النصرة(٤).

٤. ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ**﴾ أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته(٥). والمعنى: حكم وأمر أمرا مقطوعا به (٦). قال الطبري: "أي: فصل الحكم فيه بين عباده، بأمره إياهم بذلك"(٧).

٥. ﴿**أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**﴾ من الفعل عبد، بمعنى خضع وذل، والعبادة الخضوع للإله على وجه التعظيم(٨).

---

(١) انظر: السراج المنير، للشربيني (٢/ ٢٩٤)، محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ٤٥٣).
(٢) العين، للخليل بن أحمد (١/ ١٤٢).
(٣) المعجم الوسيط، مجموعة من الباحثين بإشراف الدكتور شوقي ضيف (٩٥٧/٢).
(٤) المرجع السابق (٢٢٢/١).
(٥) مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٩٩).
(٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام (١/ ١٢٦)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٢/ ٤٩).
(٧) جامع البيان، للطبري (٢/ ٥٤٢)،
(٨) المعجم الوسيط، أنيس وآخرون (٥٧٩/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦. ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾الإحسان ضد الإساءة[١]، والمعنى: أي وبأن تحسنوا لهما إحساناً، بأن تبروهما، أو أحسنوا بالوالدين إحساناً لأنهما السبب الظاهر للوجود والمعيشة[٢].

٧. ﴿يبلّغُنَّ عِنْدَكَ﴾ فكملة عندك تفيد معنى الإلتجاء والاحتماء في حالة الكبر والضعف، والمعنى: أنهما يبلغان إلى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك آخر العمر، كما كنت عندهما أول العمر"[٣]، وخص حالة الكبر لأنهما حينئذ أحوج إلى البر والقيام بحقوقهما لضعفهما[٤].

٨. ﴿أُفٍّ﴾ أصل الأُفِّ: كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر وما يجري مجراها، ويقال ذلك لكل مستخف به استقذارا له[٥]، وأف اسم فعل، وهي كلمة تضجر، والضجر أصلها ما يسقط من تراب أو رماد فينفخ الإنسان ليزيله، فالصوت الحاصل هو (أف) ثم توسعوا في الكلمة حتى أصبحت تقال مكررة[٦]، والمعنى: اسم صوت يدل على التضجر والاستثقال، أي تبًّا وقبحًا[٧].

٩. ﴿وَلا تَنْهَرْهُما﴾ النَّهْرُ والانتهارُ: الزّجر بمغالظة، يقال: نَهَرَهُ وانتهره[٨]. والمعنى: تزجرهما، والنهر: الزجر بغلظة[٩].

١٠. ﴿قَوْلًا كَرِيماً﴾ وجاءت بعدة معان منها: هو كل قول يدخل السرور على الأبوين[١٠]. وقال عطاء: القول الكريم: أي القول اللين مثل: يا أبتاه، ويا أماه، من غير أن يسميهما أو يكنيهما[١١].

١١. ﴿الذُّلِّ﴾ يقال: ذَلَّ يَذِلُّ ذُلًّا.[١٢] والمعنى: ألن لهما جانبك الذليل، والمراد به التواضع والتذلل، أو

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (٨٧٨/١).
(٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام (١٢٦/١)، تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين (١٧/٣).
(٣) مفاتيح الغيب، للرازي ((٣٢٤/٢٠).
(٤) التسهيل، لابن جزي (٤٤٤/١).
(٥) المعجم الوسيط، مجموعة من الباحثين بإشراف الدكتور شوقي ضيف (٥٧٩/٢).
(٦) انظر: جامع البيان، للطبري (٤١٥/١٧).
(٧) التفسير المنير، للزحيلي (٥٠/١٥).
(٨) المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٢٦).
(٩) تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٧/ ٢٨).
(١٠) التفسير الواضح، محمود حجازي (٩/١٥).
(١١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٢٣/١٠).
(١٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٣٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حسن الرعاية والعناية[١]. وقال الطبري: "وكن لهما ذليلا رحمة منك بهما تطيعهما فيما أمراك به مما لم يكن لله معصية، ولا تخالفهما فيما أحبا".[٢]

١٢. ﴿**مِنَ الرَّحْمَةِ**﴾ الرَّحْمَةُ رقّة تقتضي الإحسان إلى الْمَرْحُومِ، وقد تستعمل تارة في الرّقّة المجرّدة، وتارة في الإحسان المجرّد عن الرّقّة، نحو: رَحِمَ الله فلانا. وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلّا الإحسان المجرّد دون الرّقّة، وعلى هذا روي أنّ الرَّحْمَةَ من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميّين رقّة وتعطّف[٣]. والمعنى: أي لرقتك عليهما وفرط رحمتك بهما.

١٣. ﴿**لِلْأَوَّابِينَ**﴾ الأَوْبُ: ضرب من الرجوع[٤]. والمعنى: للتوابين أو الرجاعين إلى طاعته، لما صدر منهم في حق الوالدين من بادرة، وهم لا يضمرون عقوقا[٥]. قال الطبري: "كان للأوابين بعد الزلة، والتائبين بعد الهفوة غفورا لهم"[٦]. وقال الماتريدي: " اختلف في الأواب: قَالَ بَعْضُهُمْ: الأواب: الرجَّاع التواب، والأواب: التائب مرة بعد مرة، وهو من: آب يئوب، أي: رجع، وهما واحد. وقَالَ بَعْضُهُمْ: الأواب: المطيع، وقيل: المسبح ونحوه"[٧].

ثالثاً: البلاغة

١. **(فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا)**: تشبيه تمثيلي، الفاء السببية. و(تقعد) يوحي بعدم الحركة وفقدان القدرة على ذلك، والقعود: كناية عن العجز والضعف، ويكون بأسوء حال[٨].

٢. **(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)**: جاءت كلمة (إحساناً) بلفظ التنكير، والتنكير يدل على التعظيم، و(إحساناً) مصدر مؤكد الفعل المحذوف وتقديره أن تحسنوا إحسانا، وفائدة التأكيد بالمصدر وقوع الأمر

---

(١) انظر: تفسير مجاهد (ص: ٤٣٠)، تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٢٨).
(٢) جامع البيان، للطبري (١٧/ ٤١٨).
(٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٤٧).
(٤) المفردات في غريب القرآن (ص: ٩٧).
(٥) انظر: تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٩٥)، تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٧/ ٣٢).
(٦) جامع البيان، للطبري (١٧/ ٤٢٢).
(٧) تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٧/ ٣٢).
(٨) دراسات في القرآن وعلومه، عصام زهد وآخرون (ص:٨٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حقيقة.[١]

٣. **(وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ)**: استعارة مكنية، شبّه الذل بطائر ذي جناح، ثم حذف الطائر، ورمز له بشيء من لوازمه، وهو الجناح، فهذه استعارة في الشفقة والرحمة بهما والتذلل لهما تذلل الرعية للأمير والخدم للسادة[٢]. قال ابن عطية: "أي اقطعهما جانب الذل منك ودمث لهما نفسك وخلقك، وينبغي بحكم هذه الآية أن يجعل الإنسان نفسه مع أبويه في خير ذلة في أقواله واستكانته ونظره"[٣].

رابعاً: التفسير والبيان

إن أول دعامة للمجتمع المسلم: توحيد الله وعدم الشرك به. وبعد بيان الركن الأعظم في العقيدة والإيمان وهو التوحيد، ذكر تعالى شعائر الإيمان ومظاهره، وهي ما يأتي:

١. **توحيد الله وعدم اتخاذ الشريك:**

﴿**لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا**﴾ بدأت هذه الآيات بالتركيز على قضية التوحيد والنهي عن الشرك، والمعنى: لا تجعل مع الله الذي خلقك ورزقك إلها آخر على أية صورة وبأى شكل فهو وحده الذي يجب أن يعبد، إنك إن اتخذت إلها آخر تكن مذموماً من الله والملائكة والناس أجمعين ومخذولا من الله حيث عبدت غيره ومن الشريك لأنه لا يملك نفعاً ولا ضراً، وقد قضى ربك، وحكم حكما لا نقض فيه ولا رجوع أن لا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له. إذ هو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير[٤].

٢. **الإحسان إلى الوالدين:**

﴿**وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً**﴾ قرن الله في كثير من الآيات الأمر بعبادته بالأمر ببر الوالدين والإحسان لهما إحسانا تاما في المعاملة لأنهما بعد الله الذي هو السبب الحقيقي لوجود الإنسان، كانا السبب الظاهري في وجود الأولاد وتربيتهم في جو مشحون بالحنان واللطف والعطف والإيثار، والمعنى: وأمر بالوالدين إحسانا، أو وأن تحسنوا إلى الوالدين وتبروهما، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿**أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ، إِلَيَّ**

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣٢٦)، الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٤٣).

(٣) المحرر الوجيز، لابن عطية (٣/ ٤٤٩).

(٤) التفسير الواضح (٢/ ٣٦٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْمَصِيرُ﴾ [لقمان ٣١/ ١٤] وذلك لشفقتهما على الولد، وإنعامهما عليه، وبذل أقصى الجهد في تربيته وصونه حتى يصبح رجلا سويا، فكان من الوفاء والمروءة رد شيء من الجميل والمعروف لهما، إما بالمعاملة الحسنة والأخلاق المرضية، وإما بالإمداد المادي إذا كانا بحاجة وكان الولد موسرا، لذا أبان تعالى بعض وجوه الإحسان إليهما [١].

٣. **القول الكريم مع الأبوين وعدم النهر أو التأفف:**

قال تعالى:﴿**إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ**﴾ أي إذا بلغ الوالدان أو أحدهما سن الكبر، وصارا عندك في آخر العمر بحال من الضعف والعجز، كما كنت عندهما في بدء حياتك، فعليك اتباع الواجبات الخمسة الآتية:

أ- **(فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ)** أي لا تسمعهما قولا سيئا فيه أدنى تبرّم، حتى ولا التأفف وهو التضجر والتألم الذي هو أدنى مراتب القول السيء، وذلك في أي حال، ولا سيما حال الضعف والكبر والعجز عن الكسب، لأن الحاجة إلى الإحسان حينئذ أشد وأولى وألزم، لذا خص حالة الكبر لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى البر، للضعف والكبر [٢]. روى مسلم عن أبي هريرة قال ﷺ : **(رغم أنفه، رغم أنفه، رغم أنفه، قيل من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة)**[٣].

ب- **(وَلا تَنْهَرْهُما)** أي ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح. والفرق بين النهي عن التأفف والنهي عن الانتهار: أن الأول للمنع من إظهار الضجر بالقليل أو الكثير، وأن الثاني للمنع من إظهار المخالفة في القول، بالرد أو التكذيب، فالتأفف: الكلام الرديء الخفي، والنهر: الزجر والغلظة [٤].

ت- **(وَقُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيماً)** أي وقل لهما قولا ليناً طيباً حسناً مقروناً بالتوقير والتعظيم والحياء والأدب الجم. ويلاحظ أنه تعالى قدم النهي عن المؤذي، ثم أمر بالقول الحسن والكلام الطيب لأن التخلي مقدم على التحلي، ومنع الأذى أولى من إحسان القول والفعل. قال عمر بن الخطاب ﷺ مفسرا القول الكريم: هو أن يقول له: يا أبتاه يا أماه، أي لا يدعوهما بأسمائهما، ولا يرفع الصوت أمامهما، ولا يحملق بنظره

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٢/ ٤٩)، لطائف الإشارات، للقشيري (٢/ ٣٤٣).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٧)، تفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٦٣١)، جامع البيان، للإيجي (٢/ ٣٨٤).

(٣) صحيح مسلم (٤/ ١٩٧٨)، كتاب البر والصلة، باب رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر فلم يدخل الجنة، حديث رقم: (٢٥٥١).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣٢٦)، تفسير ابن باديس (ص: ٦٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيهما.[1]

٤- التواضع مع الأبوين والدعاء لهما بالرحمة:

قال تعالى: **(وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ)** أي تواضع لهما بفعلك، والمقصود منه المبالغة في التواضع والإلانة الجانب، فإن خفض الجناح كناية عن فعل التواضع، وتشبيه بحال الطائر إذا ضم إليه فرخه، فيخفض له جناحه. والتواضع ينبغي أن يكون رحمة بهما وشفقة عليهما، لا لأجل امتثال الأمر وخوف العار والنقد فقط.[2] فهي الرحمة التي ترق وتلطف حتى وكأنهما الذي لا يرفع عيناً، ولا يرفض أمراً، وكأنما الذل جناح يخفضه إيذاناً بالسلام والاستسلام.[3]

ث- **(وَقُلْ: رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً)** أي اطلب لهما الرحمة من الله في حال كبرهما وعند وفاتهما. فلم يقتصر في تعليم البر بالوالدين على تعليم الأقوال، بل أضاف إليه تعليم الأفعال، وهو أن يدعو لهما بالرحمة، فيقول: ﴿**رَبِّ ارْحَمْهُما**﴾ ولفظ الرحمة جامع لكل الخيرات في الدين والدنيا. وقوله ﴿**كَما رَبَّيانِي صَغِيراً**﴾ أي أحسن إليهما كما أحسنا إلي في تربيتهما إياي، والتربية: هي التنمية، وخصها بالذكر ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية، فيزيده ذلك إشفاقا لهما وحنانا عليهما.[4]

٥- علم الله بما تكنه صدورُ الأبناء تجاه آبائهم:

ثم حذر الله تعالى من التهاون في بر الوالدين فقال: ﴿ **رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا** ﴾ أي أن العبرة بما في القلب وما تضمرونه في أنفسكم من الإخلاص في الطاعة وعدم الإخلاص فيها، فإن الله تعالى مطلع على ما في نفوسكم، بل هو أعلم بتلك الأحوال منكم بها لاختلاطها بالسهو والنسيان وعدم الإحاطة بالكل، فمن بدرت منه بادرة غير مقصودة، فلا يعاقبه الله عليها ما دامت نيته حسنة وهو من الصالحين، فإنه سبحانه غفور للتائبين الراجعين إلى الخير، النادمين على ما فرط منهم من غير قصد. والتائب من الذنب: هو الرجّاع من المعصية إلى الطاعة، مما يكره

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٤٥٦)، تيسير اللطيف المنان، لعبد الرحمن آل سعدي (٥٦/١).

(٢) انظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن، لعبد السلام راغب (ص: ١١٩)، الأساليب والإطلاقات العربية، للمنياوي (ص: ١٠٦)، من بلاغة القرآن، لأحمد البدوي (ص: ١٧٠).

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب (٢٢٢٢/٤).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣٢٧)، اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الدمشقي (١٢/ ٢٦١)، التفسير الوسيط، للطنطاوي (٨/ ٣٢٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله، إلى ما يحبه ويرضاه. والمقصود من الآية: التحذير من ترك الإخلاص.[١]

٦- **(فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا)** جاء هذا النص ليفتح باب التوبة والرحمة لمن يخطئ أو يقصر في حق الله تعالى، ويقصر في حق الوالدين، ثم يرجع فيتوب، فما دام القلب صالحاً، فإن باب التوبة مفتوح، والأوابون هم الذين كلما أخطأوا عادوا إلى ربهم مستغفرين.[٢]

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١. **توحيد الله:** التوحيد أساس الإيمان، والإشراك رأس الكفر والضلال [٣].

٢. **التنبية على منزلة الوالدين:** الإحسان إلى الوالدين فرض لازم واجب، وقد أمر الله سبحانه بعبادته وتوحيده، وجعل بر الوالدين مقرونا بذلك، كما قرن شكرهما بشكره، فقال: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْساناً وقال: أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ، إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ **[**الإسراء: ٢٣**]** [٤].

٣. **صور الإحسان إلى الوالدين:**

أ- **الإحسان إلى الوالدين بالقول:**عن طريق عدم رفع الصوت، فوق صوتهما، وأن يخاطب الأبناء الآباء بالقول اللين، والكلام الطيب، الذي يشعر بالحنان، كما يجب على الأبناء اختيار الألفاظ التي تدخل السرور على الآباء ﴿**يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ**﴾ [الصافات:١٠٢].[٥] من البرّ بالأبوين والإحسان إليهما ألا يتعرض لسبّهما ولا لعقوقهما فإن ذلك من الكبائر بلا خلاف.[٦]

ب- الإحسان إلى الوالدين بالفعل والمال: يجب على الأبناء أن يقوموا برعاية والديهم في جميع الأحوال، وخاصة في مرحلة الشيخوخة والكبر، وقد تمثل ذلك بقوله تعالى:﴿**إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا**﴾ فيجب على الأبناء أن يعملوا جاهدين على خدمة آبائهم، وذلك لأن كلمة عندك: تصور معنى الاحتماء والالتجاء وقت الضعف، وكذلك يجب عليهم أن يبذلوا ما في وسعهم لراحة آبائهم الراحة النفسية

---

(١) انظر: غرائب القرآن، للنيسابوري (٤/ ٣٤٢)، فتح البيان، للقنوجي (٧/ ٣٧٨)، مراح لبيد، للجاوي(٦٢٣/١).
(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (١٩٣/١٠).
(٣) انظر: روح البيان، لإسماعيل حقي (٦/ ٤٥٨)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ٦١).
(٤) انظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٢/ ٩١)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (١/ ٩١).
(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥٥/١٠).
(٦) انظر: أحكام القرآن، للجصاص (٥/ ١٩)، روح المعاني، للألوسي (٨/ ٧٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والجسدية والمادية، وذلك عن طريق الانفاق عليهما، وتوفير كل سبل الراحة[١].

ت- لا يختص برّ الوالدين بأن يكونا مسلمين، بل يجب برهما ولو كانا كافرين، ويحسن إليهما إذا كان لهما عهد، قال الله تعالى: ﴿**لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ**﴾ [الممتحنة ٦٠/ ٨][٢]. وفي صحيح البخاري عن أسماء قالت: **(قدمت أمّي وهي مشركة في عهد قريش ومدّتهم، إذ عاهدوا النبي -ﷺ-، مع أبيها، فاستفتيت النبي -ﷺ- فقلت: إن أمي قدمت، وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: نعم، صلي أمّك)**[٣].

ث- من الإحسان إلى الأبوين والبرّ بهما إذا لم يتعين الجهاد ألا يجاهد الولد إلا بإذنهما. روى مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال: **(أحيّ والداك) ؟ قال: نعم، قال: (ففيهما فجاهد)**[٤].[٥]

ج- من تمام برّ الوالدين: صلة أهل ودّهما، ففي صحيح مسلم عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: **(إن من أبرّ البرّ: صلة الرجل أهل ودّ أبيه، بعد أن يولّي**[٦]**)**.[٧]، وكذا الدعاء لهما، لقوله صلى الله عليه وسلم: **(إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)**[٨].

٤. صور عقوق الأبناء لآبائهم[٩]:

- **نهرهما وزجرهما** وذلك برفع الصوت؛ والإغلاظ عليهما بالقول ﴿**وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا**

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٤/٢٢٢١).

(٢) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٩/ ١١٩٢٧)، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه (ص: ١٣٦).

(٣) صحيح البخاري (٣/ ١٦٤)، كتاب: الهبة وفضلها، باب الهدية للمشركين، حديث رقم: ٢٦٢٠.

(٤) صحيح البخاري (٤/ ٥٩)، كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد بإذن الأبوين، حديث رقم: ٣٠٠٤.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (١٠/ ٧٦)، أحكام القرآن، للجصاص (٣/ ١٥٦)، التفسير الوسيط، للطنطاوي (٨/ ٣٣٠)،

(٦) صحيح مسلم (٤/ ١٩٧٩)، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة أصدقاء الأب والأم، حديث رقم: ٢٥٥٢.

(٧) انظر: السراج المنير، للشربيني (٢/ ٢٩٧)، التفسير المظهري (٥/ ٢٣١).

(٨) صحيح مسلم (٣/ ١٢٥٥)، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم: ١٦٣١

(٩) المادة العلمية مستقاة من المراجع التالية: أخلاقنا الاجتماعية ، د. مصطفى السباعي ، (ص: ١٦٦) ، وبر الوالدين ، لعبد الرءوف الحناوي (ص: ١٤٣) ، والسلوك الاجتماعي، لحسن أيوب، (ص: ٢٥٧ – ٢٥٩)، وبالوالدين إحسانا، لسعاد بنت محمد فرج، (ص: ٤٤ – ٤٨)، وبر الوالدين في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، لنظام سكجها، (ص ٣٥ – ٤١ و ٦٣ – ٦٥)، وبر الوالدين وحقوق الآباء والأبناء والأرحام، لأحمد عيسى عاشور (ص: ٣٣ – ٤٥)، والإعلام ببر الوالدين وصلة الأرحام، لإبراهيم الحازمي (ص: ٣٥ – ٤١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كَرِيمًا﴾، [الإسراء: ٢٣]. فضلا عن **إبكائهما وتحزينهما** سواء بالقول أو الفعل، أو بالتسبب في ذلك.

- **التأفف والتضجر من أوامرهما** وهذا مما أدبنا الله ﷻ بتركه؛ فكم من الناس من إذا أمر عليه والداه – صدر كلامه بكلمة "أف" ولو كان سيطيعهما، قال تعالى: ﴿**فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ**﴾ [الإسراء: ٢٣].

- **العبوس وتقطيب الجبين أمامهما** فبعض الناس تجده في المجالس بشوشا مبتسما، حسن الخلق، ينتقي من الكلام أطايبه، ومن الحديث أعذبه؛ فإذا ما دخل المنزل وجلس بحضرة الوالدين انقلب ليثا هصورا لا يلوي على شيء، فتبدلت حاله وذهبت وداعته وتولت سماحته، وحلت غلظته وفظاظته وبذاءته. قال معاوية بن إسحاق عن عروة بن الزبير قال: **(ما بر والده من شد الطرف إليه)** [1].
- **الأمر عليهما** كمن يأمر والدته بكنس المنزل، أو غسل الثياب، أو إعداد الطعام؛ فهذا العمل لا يليق خصوصا إذا كانت الأم عاجزة أو كبيرة أو مريضة. أما إذا قامت الأم بذلك بطوعها وبرغبة منها وهي نشطة غير عاجزة – فلا بأس في ذلك، مع مراعاة شكرها والدعاء لها.
- **انتقاد الطعام الذي تعده الوالدة** وهذا العمل فيه محذوران، أحدهما: عيب الطعام، وهذا لا يجوز؛ فرسول الله ﷺ ما عاب طعاما قط. والثاني: أن فيه قلة أدب مع الأم وتكديرا عليها.
- **ترك مساعدتهما في عمل المنزل:** سواء في الترتيب والتنظيم، أو في إعداد الطعام، أو غير ذلك. بل إن بعض الأبناء – هداهم الله – يعد ذلك نقصا في حقه وهضما لرجولته. وبعض البنات – هداهن الله – ترى أمها تعاني وتكابد العمل داخل المنزل فلا تعينها. بل إن بعضهن تقضي الأوقات الطويلة في محادثة زميلاتها عبر الهاتف، تاركة أمها تعاني الأمرين.
- **الإشاحة بالوجه عنهما إذا تحدثا:** وذلك بترك الإصغاء إليهما، أو المبادرة إلى مقاطعتهما أو تكذيبهما، أو مجادلتهما، والاشتداد في الخصومة والملاحاة معهما. فكم في هذا العمل من تحقير لشأن الوالدين، وكم فيه من إشعار لهما بقلة قدرهما.
- **قلة الاعتداد برأيهما:** فبعض الناس لا يستشير والديه ولا يستأذنهما في أي أمر من أموره، سواء في زواجه أو طلاقه، أو خروجه من المنزل والسكنى خارجه، أو ذهابه مع زملائه لمكان معين، أو نحو ذلك.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **ترك الاستئذان حال الدخول عليهما:** وهذا مما ينافي الأدب معهما، فربما كانا أو أحدهما في حالة لا يرضى أن يراه أحد عليها.
- **إثارة المشكلات أمامهما:** سواء مع الإخوان أو الزوجة، أو الأولاد أو غيرهم. فبعض الناس لا يطيب له معاتبة أحد من أهل البيت على خطأ ما إلا أمام والديه، ولا شك أن هذا الصنيع مما يقلقهما ويقض مضجعهما.
- **ذم الوالدين عند الناس والقدح فيهما، وذكر معايبهما:** فبعض الناس إذا أخفق في عمل ما – كأن يخفق في دراسته مثلا – ألقى باللائمة والتبعة على والديه، ويبدأ يسوغ إخفاقه ويلتمس المعاذير لنفسه بأن والديه أهملاه ولم يربياه كما ينبغي، فأفسدا عليه حياته وحطما مستقبله، إلى غير ذلك من ألوان القدح والعيب.
- **شتمهما ولعنهما:** إما مباشرة أو بالتسبب في ذلك؛ كأن يشتم الابن أبا أحد من الناس أو أمه، فيرد عليه بشتم أبيه وأمه. فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **(من الكبائر شتم الرجل والديه. قيل: وهل يشتم الرجل والديه ؟ ! قال: نعم ! يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه)** [1] .
- **إدخال المنكرات للمنزل:** كإدخال آلات اللهو والفساد للبيت، مما يتسبب في فساد الشخص نفسه، وربما تعدى ذلك إلى فساد إخوته وأهل بيته عموما، فيشقى الوالدان بفساد الأولاد، وانحراف الأسرة.
- **مزاولة المنكرات أمام الوالدين:** كشرب الدخان أمامهما، أو استماع آلات اللهو بحضرتهما، أو النوم عن الصلاة المكتوبة، ورفض الاستيقاظ لها إذا أوقظاه، وكذلك إدخال رفقة السوء للمنزل؛ فهذا كله دليل على التمادي في قلة الحياء مع الوالدين.
- **تشويه سمعة الوالدين:** وذلك باقتراف الأعمال السيئة والأفعال الدنيئة التي تخل بالشرف وتخرم المروءة، وربما قادت إلى السجن والفضيحة، فلا شك أن هذا من عقوق الوالدين؛ لأنه يجلب لهما الهم والغم والخزي والعار.
- **إيقاعهما في الحرج:** كحال من يستدين أموالا ثم لا يسددها، أو يقوم بالتفحيط، أو يسيء الأدب في

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، حديث رقم: (٥٩٧٣)، (٣/٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المدرسة؛ فتضطر الجهات المسئولة إلى إحضار الوالد في حالة فقدان الولد أو إساءته للأدب. وربما أوقف الوالد ريثما يسدد الولد دينه، أو يحضر ويسلم نفسه.

- **المكث طويلا خارج المنزل:** وهذا مما يقلق الوالدين ويزعجهما على الولد، ثم إنهما قد يحتاجان للخدمة، فإذا كان الولد خارج المنزل لم يجدا من يقوم على خدمتهما.
- **الإثقال عليهما بكثرة الطلبات:** فمن الناس من يثقل على والديه بكثرة طلباته، مع أن الوالدين قد يكونان قليلي ذات اليد، ومع ذلك ترى الولد يلح عليهما بشراء سيارة له، وبأن يزوجاه، ويوفرا له مسكنا جديدا، أو بأن يطلب منهما مالا كثيرا؛ كي يساير زملاءه وأترابه.
- **إيثار الزوجة على الوالدين:** فبعض الناس يقدم طاعة زوجته على طاعة والديه، ويؤثرها عليهما، فلو طلبت منه أن يطرد والديه لطردهما ولو كانا بلا مأوى. وترى بعض الأبناء يبالغ في إظهار المودة للزوجة أمام والديه، وتراه في الوقت نفسه يغلظ على والديه، ولا يرعى حقهما.
- **التخلي عنهما وقت الحاجة أو الكبر:** فبعض الأولاد إذا كبر وصار له عمل يتقاضى مقابله مالا تخلى عن والديه، واشتغل بخاصة نفسه.
- **التبرؤ منهما، والحياء من ذكرهما ونسبته إليهما:** وهذا من أقبح مظاهر العقوق، فبعض الأولاد ما إن يرتفع مستواه الاجتماعي، أو يترقى في الوظائف الكبيرة إلا ويتنكر لوالديه، ويتبرأ منهما، ويخجل من وجودهما في بيته بأزيائهما القديمة. وربما لو سئل عنهما لقال: هؤلاء خدم عندنا ! وبعضهم يرفض أن يذكر اسم والده في الولائم والمناسبات العامة؛ خجلا من ذلك ! وهذا العمل – بلا ريب – دليل على ضعة النفس، وصغر العقل، وحقارة الشأن، وضيق العطن.
- **التعدي عليهما بالضرب:** وهذا العمل لا يصدر إلا من غلاظ الأكباد وقساة القلوب الذين خلت قلوبهم من الرحمة والحياء، وخوت نفوسهم من أدنى مراتب المروءة والنخوة والشهامة.
- **إيداعهم دور العجزة والملاحظة:** وهذا الفعل غاية في البشاعة، ونهاية في القبح والشناعة، يقشعر لهوله البدن، ويقف لخطبه شعر الرأس، والذي يفعله لا خير فيه البتة.
- **هجرهما، وترك برهما ونصحهما إذا كانا متلبسين ببعض المعاصي:** وهذا خلل وخطل؛ فبر الوالدين واجب ولو كانا كافرين، فكيف إذا كانا مسلمين، وعندهما بعض التقصير؟!

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **البخل والتقتير عليهما:** فمن الناس من يبخل على والديه، ويقتر عليهما في النفقة. وربما اشتدت حاجتهما إلى المال، ومع ذلك لا يعبأ ولا يبالي بهما.
- **المنة وتعداد الأيادي على الوالدين:** فمن الناس من قد يبر والديه، ولكنه يفسد ذلك بالمن والأذى، وتعداد الأيادي، وذكر ذلك البر بمناسبة وبدون مناسبة.
- **السرقة من الوالدين:** وهذا الأمر جمع بين محذورين، السرقة والعقوق؛ فتجد من الناس من يحتاج للمال، فيقوده ذلك إلى السرقة من والديه إما لكبرهما، أو لغفلتهما. ومن صور السرقة أن يخدع أحد والديه، فيطلب منه أن يوقع على إعطائه كذا وكذا من المال أو الأرض أو نحو ذلك. وقد يستدين منهما، وهو مبيت النية على ألا يسدد.
- **الأنين وإظهار التوجع أمامهما:** وهذا الأمر من أخس صور العقوق؛ ذلك أن الوالدين وخصوصا الأم يقلقان لمصاب الولد، ويتألمان لألمه؛ بل ربما يتألمان أكثر منه.
- **التغرب عن الوالدين دون إذنهما، ودون الحاجة إلى ذلك :** فبعض الأبناء لا يدرك أثر بعده عن والديه، وما علم أن اغترابه عن والديه يسبب حسرتهما، وقلقهما عليه، وما علم أنه ربما مات والداه أو أحدهما وهو بعيد عنهما باختياره؛ فيخسر بذلك برهما، والقيام عليهما. أما إذا احتاج الابن إلى الغربة، واستأذن والديه فيها – فلا حرج عليه.
- **تمني زوالهما:** فبعض الأولاد يتمنى زوال والديه؛ ليرثهما إن كانا غنيين، أو يتخلص منهما إن كانا مريضين أو فقيرين، أو لينجو من مراقبتهما ووقوفهما في وجهه كي يتمادى في غيه وجهله.
- **قتلهما والتخلص منهما :** فقد يحصل أن يشقى الولد، فيقدم على قتل أحد والديه؛ إما لِسَوْرَةِ جهل أو ثورة غضب، أو أن يكون في حال سكر، أو طمعا في الميراث، أو غير ذلك.

٥. **عقوق الآباء للأبناء**[١]:

إنّ على كل أب وأمٍّ– قبل أن يشكو عقوق ولده له– أن يراجع نفسه هل يمارس العقوق تجاه ولده ام لا فكله سلف ودَيْن!! وعقوق الآباء للأبناء تأخذ أشكال كثيرة مثل:

أ– **عدم اختيار الأم الصالحة:** فعلى الأب أن يختار الزوجة الصالحة التي تلتزم على هذا المنهج القويم،

(١) المراجع السابقة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لذلك نجد أن الرسول –ﷺ– يحث على اختيار هذه الزوجة بقوله: "**فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ**"(١).

ب– **عدم اختيار الأسماء المحببة للمولود، وصنع العقيقة:** إذا أنعم الله تعالى على الإنسان بالمولود فعليه أن يسمعه الأذان، وأن يسميه بأفضل الأسماء، وأن يصنع له عقيقة في اليوم السابع، ، لأن كل إنسان مرتهن بعقيقته، قال –ﷺ–" **(كُلُّ غُلَامٍ مُرْتَهَنٌ بِعَقِيقَتِهِ، تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ، وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ، وَيُسَمَّى)**(٢)، وقال ﷺ: **(إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ، فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ)**(٣).

ت– **عدم النفقة على الأبناء:** إذ من حقهم النفقة عليهم، وهذه مسئولية مباشرة على الوالدين، بتوفير كل ما يحتاج الأبناء من غذاء وكسوة حتى يصلوا إلى سن الرشد، قال ﷺ: **(كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)**(٤).

ث– **عدم تربية الأبناء:** فقد اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بتربية الأبناء تربية صحيحة هادفة، ولذلك حرم التمييز بين الذكور منهم والإناث، لا من حيث المعلومات والتعلم، ولكن من حيث إعداد كل منهما لما يحسنه، فعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَأَلَتْ أُمِّي أَبِي بَعْضَ المَوْهِبَةِ لِي مِنْ مَالِهِ، ثُمَّ بَدَا لَهُ فَوَهَبَهَا لِي، فَقَالَتْ: لاَ أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخَذَ بِيَدِي وَأَنَا غُلاَمٌ، فَأَتَى بِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ أُمَّهُ بِنْتَ رَوَاحَةَ سَأَلَتْنِي بَعْضَ المَوْهِبَةِ لِهَذَا، قَالَ: **(أَلَكَ وَلَدٌ سِوَاهُ؟)**، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأُرَاهُ، قَالَ: **(لاَ تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْرٍ)**(٥). وفي قصة يوسف عليه السلام ما يدل على أنهم هموا بقتله ثم بإلقائه في البئر، وكان سبب هذا حب أبي يوسف له حباً يفوق حبه لبقية إخوته.

ج– **عدم الرحمة بهم:** يجب الرحمة بالأبناء، وعدم ضربهم ضرباً شديداً مبرحا، ودليل ذلك أن رسول الله ﷺ كان رحيماً، فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: **(مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ)**(٦).

---

(١) صحيح البخاري (٧/ ٨)، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، حديث رقم: ٥٠٩٠.

(٢) سنن ابن ماجه (٢/ ١٠٥٦)، كتاب الذبائح ، باب العقيقة، حديث رقم: (٣١٦٥)، وصححه الألباني.

(٣) مسند أحمد (٣٦/ ٢٣)، ح: ١٦٩٣، ويحسن بمجموع شواهده، كما قال المحقق.

(٤) صحيح البخاري (٢/ ٥)، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى، ح: ٨٩٣.

(٥) صحيح البخاري (٣/ ١٧١)، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور، حديث رقم: ٢٦٥٠.

(٦) صحيح البخاري (٨/ ٧)، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله، حديث رقم: ٥٩٩٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب السادس: حق ذوي القربى والاقتصاد في الإنفاق

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا *إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا *وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا * وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا *إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦ – ٣٠].

أولاً: المناسبة

بعد أن أبان الله تعالى حقيقة الإيمان وأن جوهره التوحيد ونفي الشركاء والأضداد، أتبعه بذكر شعائر الإيمان وشرائطه، ودعائم بنيان المجتمع الإسلامي، كصلة الرحم، والتصدق على المسكين وابن السبيل [١].

ثانياً: التحليل اللغوي

١. **﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾** أي: أعط[٢] قرابتك حقوقهم من البر والصلة وحسن المعاشرة[٣].

٢. **﴿وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾** التبذير: إنفاق المال في غير موضعه الموافق للشرع والحكمة[٤]. قال الطبري: "ولا تفرق يا محمد ما أعطاك الله من مال في معصيته تفريقاً. وأصل التبذير: التفريق في السرف"[٥].

٣. **﴿إِخْوانَ الشَّياطِينِ﴾** أي قرناءهم وعلى طريقتهم[٦]. قال الطبري: "إن المفرقين أموالهم في معاصي الله المنفقيها في غير طاعته أولياء الشياطين، وكذلك تقول العرب لكل ملازم سنة قوم وتابع أثرهم: هو أخوهم"[٧].

٤. **﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾** شديد الكفر لنعمه فكذلك أخوه المبذر[٨].

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، للطنطاوي (٨/ ٣٣١).

(٢) تاج العروس، للزبيدي (٤٠/ ٥٤٦).

(٣) انظر: تفسير الجلالين (ص: ٣٦٩).

(٤) انظر: الدر المصون، للسمين الحلبي (٧/ ٣٤٤)، تفسير الجلالين (ص: ٣٦٩).

(٥) جامع البيان، (١٧/ ٤٢٧).

(٦) انظر: لباب التأويل، للخازن (٣/ ١٢٨)، تفسير الجلالين (ص: ٣٦٩)، البحر المديد، لابن عجيبة(١٩٥/٣).

(٧) جامع البيان، للطبري (١٧/ ٤٣٠).

(٨) انظر: تفسير الجلالين (ص: ٣٦٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥. ﴿**وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ**﴾ أي وإن أعرضت عن المذكورين من ذي القربى والمسكين وابن السبيل، حياء من الرد، فلم تعطهم[١]. قال الطبري: " وإن تعرض يا محمد عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم حقوقهم إذا وجدت إليها السبيل بوجهك عند مسألتهم إياك، ما لا تجد إليه سبيلا حياء منهم ورحمة لهم" [٢].

٦. ﴿**ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا**﴾ أي لطلب رزق تنتظره يأتيك، فتعطيهم من[٣]هـ. قال الطبري: "انتظار رزق تنتظره من عند ربك، وترجو تيسير الله إياه لك، فلا تؤيسهم، ولكن قل لهم قولا ميسورا"[٤].

٧. ﴿**قَوْلًا مَيْسُوراً**﴾ : لينا سهلا، بأن تعدهم بالإعطاء عند مجيء الرزق.[٥] قال الطبري: "عدهم وعدا جميلا بأن تقول: سيرزق الله فأعطيكم، وما أشبه ذلك من القول اللين غير الغليظ.[٦]

٨. ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**﴾ أي لا تمسكها عن الإنفاق تماما، ولا تتوسع في الإنفاق، وهو تمثيل وكناية لمنع الإسراف. والمغلولة: المقيدة بالغل: وهو القيد الذي يوضع في اليدين والعنق، وهو تمثيل لمنع الشح وكناية عن البخل[٧].

٩. ﴿**فَتَقْعُدَ مَلُوماً**﴾ فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالبخل، فهو راجع للأول: البخل.[٨] قال الطبري: " فتقعد يلومك سائلوك إذا لم تعطهم حين سألوك، وتلومك نفسك على الإسراع في مالك وذهابه" [٩].

١٠. ﴿**مَحْسُوراً**﴾ الحسرة: شدَّة التَّلهُّف والحزن على شيء فات[١٠]. والمعنى: نادماً، أو منقطعاً لا شيء عندك، وهو راجع للثاني: الإسراف[١١].

---

(١) انظر: تفسير الجلالين (ص: ٣٦٩)، الدر المنثور، للسيوطي (٥/ ٢٧٢)، البحر المديد، لابن عجيبة(١٩٥/٣).
(٢) جامع البيان، (١٧/ ٤٣٠).
(٣) انظر: لباب التأويل، للخازن (٣/ ١٢٨)، تفسير الجلالين (ص: ٣٦٩).
(٤) جامع البيان، (١٧/ ٤٣٠).
(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٢٩)، تفسير الجلالين (ص: ٣٦٩).
(٦) جامع البيان، للطبري (١٧/ ٤٣٠).
(٧) انظر: الدر المنثور، للسيوطي (٥/ ٢٧٤)، البحر المديد، لابن عجيبة (٣/ ١٩٥).
(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٢٩)، تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٩٧)، تفسير ابن أبي حاتم(٢٣٢٦/٧)، تفسير الجلالين (ص: ٣٦٩).
(٩) جامع البيان، للطبري (١٧/ ٤٣٣).
(١٠) معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٤٩٣).
(١١) انظر: تفسير يحيى بن سلام (١/ ١٣١)، تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٧/ ٣٦)، بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٠٩)، تفسير الجلالين (ص: ٣٦٩)، الدر المنثور، للسيوطي (٥/ ٢٧٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١١. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يوسعه لمن يشاء، ويضيقه لمن يشاء.[١] قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن ربك يا محمد يبسط رزقه لمن يشاء من عباده، فيوسع عليه، ويقدر على من يشاء، يقول: ويقتر على من يشاء منهم، فيضيق عليه"[٢].

﴿إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾ عالما بسرهم وعلنهم، فيرزقهم على حسب مصالحهم[٣].

ثالثاً: البلاغة

١. ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ، وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ﴾ استعارة تمثيلية، مثّل للبخيل الذي حبس يده عن العطاء بمن شدّت يده إلى عنقه، بحيث لا يستطيع مدّها، وشبّه السرف ببسط الكف، حيث لا تمسك شيئاً[٤].

٢. ﴿فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾ لف ونشر مرتب، أعاد لفظ مَلُوماً إلى البخيل، ولفظ مَحْسُوراً إلى الإسراف. قال ابن عرفة: "هذا لف ونشر فاللوم راجع إلى البخل؛ لأن الإنسان يلام على عدم النفقة، ولم يقل مذموما ليتناول ذلك النهي عن البخل بالواجب، وبغيره، وقوله محسوراً راجع إلى النهي عن بسط اليد؛ لأنه إذا بالغ في بسطها يقل درهمه ورزقه ويتغير عليه فيبقى محسوراً.[٥]

٣. ﴿يَبْسُطُ وَيَقْدِرُ﴾ بينهما طباق. ومعنى يقدر: أي يضيق.

رابعاً: التفسير والبيان

اشتملت الآيات في المقطع السابق على العديد من المعاني والتوجيهات، وهي كالآتي:

١. إيتاء ذوي القربى والمساكين وابن السبيل

قال تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ لما ذكر تعالى بر الوالدين، عطف بذكر الإحسان إلى القرابة وصلة الأرحام، والمعنى: وأعط أيها الإنسان المكلف القريب والمسكين والمسافر المنقطع في الطريق إلى بلده حقه، من صلة الرحم والود، والزيارة وحسن المعاشرة، والنفقة إن كان محتاجا

---

(١) انظر: البحر المديد، لابن عجيبة (٣/ ١٩٦).

(٢) جامع البيان، للطبري (١٧/ ٤٣٥).

(٣) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي (٦/ ٩٧)، الهداية، لمكي بن أبي طالب (٦/ ٤٢٩٤)، لطائف الإشارات، للقشيري (٢/ ٣٤٥)، تفسير الجلالين (ص: ٣٦٩).

(٤) انظر: تفسير ابن عرفة (٣/ ٦٣).

(٥) تفسير ابن عرفة (٣/ ٦٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إليها، وإعانة المسكين ذي الحاجة، ومساعدة ابن السبيل بالمال الذي يكفيه زاده وراحلته إلى أن يبلغ مقصده.[١]

والخطاب للرسول ﷺ والمراد به أمته من بعده. جاء في الحديث **(أمك وأباك، ثم أدناك أدناك)**[٢] أو **(ثم الأقرب فالأقرب)**[٣]، وأخرج البخاري عن أنس عن النبي ﷺ قال: **(من أحبّ أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه)**[٤].[٥]

والأمر في رأي أبي حنيفة بالنسبة للأقارب المحارم كالأخت والأخ والوالدين للوجوب، وفي رأي الشافعي للندب، ولا تجب عند الجمهور إلا نفقة الأصول والفروع دون غيرهما من الأقارب، وعند الحنابلة: تجب لكل الأقارب حتى الحواشي. أما مساعدة المساكين وأبناء السبيل فهي من الصدقات المندوبة.[٦]

٢. النهي عن التبذير وتشبيه المبذرين بإخوان الشياطين:

قال تعالى: ﴿... **وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً**...﴾ لما أمر الله تعالى بالإنفاق والبذل نهى عن الإسراف وبيّن سياسة الإنفاق، أي لا تنفق المال إلا باعتدال وفي غير معصية وللمستحقين، بالوسط الذي لا إسراف فيه ولا تبذير، والتبذير لغة: إفساد المال وإنفاقه في السرف، والوسطية والاعتدال هي سياسة الإسلام المالية والاجتماعية والدينية، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا، وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً**﴾ [الفرقان ٦٧/٢٥].[٧] ثم نبّه الله تعالى على قبح التبذير بإضافته إلى أفعال الشياطين، فقال:﴿**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ**﴾ أي إن المبذرين المنفقين أموالهم في معاصي الله يشبهون في هذا الفعل القبيح الشياطين، فهم قرناء الشياطين في الدنيا والآخرة، وأشباههم في ذلك في الصفة والفعل، كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً، فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ [الزخرف٣٦/٤٣] وقال تعالى: ﴿**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْواجَهُمْ**﴾ [الصافات ٣٧/ ٢٢] أي قرناءهم من الشياطين [٨].

---

(١) انظر: الهداية، لمكي بن أبي طالب (٦/ ٤١٨٢)، النكت والعيون، الماوردي (٤/ ٣١٦)، تفسير السمعاني(٤/ ٢١٥).

(٢) صحيح مسلم كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين (٤/ ١٩٧٤)، حديث رقم: ٢٥٤٨.

(٣) مسند أحمد (٣٣/ ٢٣٠)، ح: ٢٠٠٢٨، وصححه شعيب الأرناؤوط.

(٤) صحيح البخاري (٣/ ٥٦)، كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق حديث رقم: ٢٠٦٧.

(٥) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي (٣/ ٢٠)، مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ١٠٣)، لباب التأويل، للخازن(١٢٨/٣).

(٦) التفسير المنير، للزحيلي (٥٨/١٥).

(٧) انظر: الفواتح الإلهية، للشيخ علوان (١/ ٤٥٠)، التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب (٨/ ٤٧٥)، ألف سؤال وجواب في القرآن، لقاسم عاشور (ص: ٣٩٩).

(٨) انظر: إيجاز البيان، للنيسابوري (٢/ ٤٩٨)، إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٥/ ١٦٨)، تفسير المراغي(١٥/ ٣٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **قولـه تعـالى ﴿وَكـانَ الـشَّيْطانُ لِرَبِّـهِ كَفُـوراً﴾** أي وكـان الشيطان لنعمـة ربـه جحودًا؛ لأنـه أنكر نعمة الله عليه، ولم يعمل بطاعته، بل أقبل على معصيته ومخالفته، فاستعمل نفسه في المعاصي والإفساد في الأرض، وإضلال الناس.(١) وكذلك من رزقه الله جاهًا أو مالًا، فصرفه إلى غير مرضاة الله، كان كفورا لنعمة الله؛ لأنه موافق للشيطان في الصفة والفعل. وفي صفة الشيطان أنه كفور لربه دلالة على كون المبذر أيضاً كفورًا لربه (٢).

٣. الوعد الجميل بالعطاء أو القول الميسور

قال تعالى:﴿**وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ**﴾ أي إن أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من التصريح بالرد بسبب الفقر والقلة، بعد أن سألوك، فقل لهم قولا سهلا لطيفا لينا، وعدهم وعدا بسهولة ولين بالصلة والعطاء إذا جاء رزق الله، واعتذر بعذر مقبول(٣). قال القنوجي: "وفي هذه الآية تأديب من الله سبحانه لعباده إذا سألهم سائل ما ليس عندهم كيف يقولون وبما يردون (٤).

٤. التوسط والاعتدال في الإنفاق

قال تعالى: ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ..**﴾ لما أمر الله تعالى بالإنفاق ذكر هنا أدب الإنفاق، والاقتصاد في العيش، بذم البخل، والنهي عن السرف، أي لا تمسك عن الإنفاق بحيث تبخل على نفسك وأهلك في وجوه صلة الرحم وسبيل الخيرات، ولا تسرف ولا تتوسع في الإنفاق توسعا مفرطا، فتعطي فوق طاقتك، وتنفق أكثر من دخلك، بحيث لا يبقى في يدك شيء.(٥) والخلاصة: إن أصول الإنفاق هو الاقتصاد في العيش، والتوسط في الإنفاق، دون بخل ولا سرف، فالبخل إفراط في الإمساك، والتبذير إفراط في الإنفاق، وهما مذمومان، وخير الأمور أوساطها، والفضيلة وسط بين رذيلتين. روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ،**

---

(١) انظر: جامع البيان، للإيجي (٢/ ٣٨٥)، تفسير المظهري (٥/ ٤٣٤)، اللباب، لابن عادل الدمشقي(١٢/٢٦٤).

(٢) انظر: غرائب القرآن، للنيسابوري (٤/ ٣٤٣)، مراح لبيد، للجاوي (١/ ٦٢٣).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ٨٤)، التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٥/ ٧٤٩).

(٤) فتح البيان، للقنوجي (٧/ ٣٨٢).

(٥) انظر: فتح البيان، للقنوجي (٧/ ٣٨٢)، فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٦٤)، مراح لبيد، للجاوي (١/ ٦٢٣)، صفوة التفاسير، للصابوني (٢/ ١٤٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)[1]. وروى أحمد عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ مرفوعاً: **(ثَلَاثٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنْ كُنْتُ لَحَالِفاً عَلَيْهِنَّ لَا يَنْقُصُ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ فَتَصَدَّقُوا...)**[2]. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ مرفوعاً: **(إياكم والشح، فإنه أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا)**[3].[4].

ثم أبان الله تعالى ربط الرزق بمشيئته وإرادته، ليدرك الناس أن تضييق الرزق أحيانا على بعضهم ليس لسوء حالهم عند الله، فقال: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ**﴾ أي إن ربك أيها الرسول هو الرزاق، القابض الباسط، المتصرف في خلقه بما يشاء، فيغني من يشاء، ويفقر من يشاء، لما له في ذلك من الحكمة، لذا قال: ﴿**إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً**﴾ أي أنه تعالى عالم بأن مصلحة كل إنسان في أن لا يعطيه إلا ذلك القدر، فهو خبير بصير بمن يستحق الغنى ويستحق الفقر، فالتفاوت في أرزاق العباد ليس لأجل البخل، بل لأجل رعاية المصالح، جاء في الحديث: **(إن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه، وإن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه)**[5]. وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجا، والفقر عقوبة [6].

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف

١. كما أمر الله بالإحسان إلى الوالدين ومراعاة حقهما، أمر أيضا بصلة الرحم، وبالتصدق على المسكين وابن السبيل. والقرآن يجعل لذي القربى والمسكين وابن السبيل حقا في الأعناق يوفى بالإنفاق. فليس هو تفضلا من أحد على أحد إنما هو الحق الذي فرضه الله، ووصله بعبادته وتوحيده. الحق الذي يؤديه المكلف فيبرىء ذمته، ويصل المودة بينه وبين من يعطيه، وإن هو إلا مؤد ما عليه لله [7].

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ١١٥) كتاب الزكاة، باب قوله تعالى فأما من أعطى واتقى،حديث رقم: ١٤٤٢.

(٢) مسند أحمد (٣/ ٢٠٨)، حديث رقم: ١٦٧٤، وحسنه لغيره شعيب الأرناؤوط.

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (١١/ ٢٦)، حديث رقم: ٦٤٨٧، وصححه شعيب الأرناؤوط.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ١٢٤)، الدر المنثور، للسيوطي (٥/ ٢٧٧)، السراج المنير، للشربيني (٢/ ٦٧٣).

(٥) ترتيب الأمالي الخميسية للشجري (٢/ ٢٨٠)، ح: ٢٤٤٦.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ٧١)، الصحيح المسبور، لحكمت ياسين (٣/ ٢٤٥)، صفوة التفاسير، للصابوني (٢/ ١٤٦).

(٧) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان (٧/ ٣٩)، أيسر التفاسير، للجزائري (٣/ ١٨٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢. ذو القربى هو ذو القرابة؛ لأن القربى مؤنث الأقرب، أي يعطى ذا القربى الأقرب فالأقرب حقه، وحق ذي القربى نوعان: حق العطاء إن كان فقيراً فإن عليه نفقته إذا احتاج، كما أنه يرثه إذا مات غنيًا، ولا يقتصر العطاء على المحارم، بل ذوو الأرحام جميعًا لهم حق في ماله إذا احتاجوا، والنوع الثاني من حقهم أن يصلهم بالمودة الواصلة فيزورهم ويعودهم، ويتعرف أحوالهم، ولو كانوا لَا يصلونه [١].

٣. قرر النبي ﷺ أن صلة الرحم تبارك في الرزق، وتبقي الأثر بعد الموت، قال ﷺ: **(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)**[٢].

٤. يحرّم الإسلام التبذير، والتبذير كما قال الشافعي رحمه الله: هو إنفاق المال في غير حقه، ولا تبذير في عمل الخير. وهذا قول الجمهور. أو هو أخذ المال من حقه ووضعه في غير حقه، وهو الإسراف، وهو حرام لقوله تعالى:﴿**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ**﴾ أي أنهم في حكمهم إذ المبذر ساع في إفساد كالشياطين، ومن ثم كان المبذرون إخوان الشياطين، لأنهم ينفقون في الباطل، وينفقون في الشر، وينفقون في المعصية. فهم رفقاء الشياطين وصحابهم [٣].

٥. من أنفق ماله في الشهوات زائدا على قدر الحاجات، وعرّضه بذلك للنفاد فهو مبذر، ومن أنفق درهما في حرام فهو مبذر، ويحجر عليه. ومن أنفق ربح ماله في شهواته، مع المحافظة على أصل رأس المال، فليس بمبذر [٤].

٦. الأخوة التي تعقد بين المبذرين والشياطين تكون من وجوه:

الوجه الأول: أن الإسراف يضيع الحقوق، والشياطين يحرضون على ذلك ويرضونه، ولهذا قيل: ما من مسرف إلا وراءه حق مضيع.

الوجه الثاني: أن التبذير إضاعة رزق اللَّه تعالى، في غير نفع، بل في ضرر مؤكد، وهذا يرضي الشيطان، ويقرب المبذر إليه.

الوجه الثالث: أن التبذير كفر للنعمة والشيطان يحث على المعاصي، والمعاصي كلها كفر للنعم [٥].

---

(١) انظر: زهرة التفاسير (٨/ ٤٣٦٦).

(٢) صحيح البخاري (٨/ ٥)، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة رحمه، حديث رقم: ٥٩٨٥.

(٣) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (٣/ ١٩٠)، السراج المنير، للشربيني (٢/ ٢٩٩).

(٤) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (٣/ ١٩٠)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٢٤٨).

(٥) انظر: زهرة التفاسير (٨/ ٤٣٦٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧. يشير النص القرآني إلى أن الضعاف لهم حق في المال، وهو حق السائل والمحروم وأي مال في سبيلهم لَا يعد تبذيرًا ولا إسرافًا، إنما التبذير والإسراف في غير هذه الحقوق التي يجب سدها، وإن الحق الذي يلي حق الأسرة في المال حق المساكين وأبناء السبيل والفقراء بشكل عام، سواء أكانوا مساكين أم كانوا متجملين لَا يسألون الناس إلحافاً[١].

٨. الأدب الرفيع هو رد ذوي القربى بلطف ووعدهم وعدا جميلا بالصلة عند اليسر، والاعتذار إليهم بما هو مقبول وفيه تطييب الخاطر، ولا يعرض الشخص عنهم إعراض مستهين، وهو في حال الغنى والقدرة، فيحرمهم حقهم. لقوله تعالى:﴿**وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ**﴾ أي إن أعرضت يا محمد عن إعطائهم لضيق يد، فأحسن القول، وابسط العذر، وادع لهم بسعة الرزق، وقل: إذا وجدت فعلت وأكرمت، فإن ذلك يعمل في مسرّة نفسه عمل المواساة[٢].

٩. فإذا لم يجد إنسان ما يؤدي به حق ذوي القربى والمساكين وابن السبيل واستحيا أن يواجههم، وتوجه إلى الله يرجو أن يرزقه ويرزقهم، فليعدهم إلى ميسرة، وليقل لهم قولاً ليناً، فلا يضيق بهم صدره، ولا يسكت ويدعهم فيحسوا بالضيق في سكوته، ففي القول الميسور عوض وأمل وتجمل[٣] .

١٠. الإعراض عن العطاء ألا يعطي، ولا يمنع بل يسكت كأنه المعرض، ولا يستحسن المنع؛ لأن المنع فيه إيئاس من العطاء، ولا يريد ذو المروءة ألا يلقى اليأس والرد القاطع المؤيس في حاجة طالب، ولكنه لَا يعطي عجزاً، أو لعدم استحقاق الطالب، والخطاب ﷺ، ومن وراء خطابه خطاب أمته، والآية تأديب كريم وتوجيه إلى ما يكون عندما لَا يكون مال يجب العطاء منه، أو عندما لَا يكون موجب للعطاء [٤].

١١. الإنفاق في الإسلام: هو التوسط والاعتدال من غير بخل ولا إسراف، ولا تضييع المنفق عياله في المستقبل، أو ألا يبقى من يأتي بعد ذلك لا شيء له، فإن الإسراف وإتلاف المال بغير حق يوقع المسرف في الحسرة والندامة والملامة، والملوم: الذي يلام على إتلاف ماله، أو يلومه من لا يعطيه[٥]. والتوازن هو القاعدة الكبرى في النهج الإسلامي، والغلو كالتفريط يخل بالتوازن. والتعبير هنا يجري على طريقة التصوير فيرسم البخل يدا مغلولة إلى العنق، ويرسم الإسراف يدا مبسوطة كل

---

(١) انظر: زهرة التفاسير (٨/ ٤٣٦٧).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣٢٩)، فتح البيان، للقنوجي (٧/ ٣٨٢)، التحرير والتنوير، لابن عاشور(١٥/ ٨٢).

(٣) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ٢٢٢٢).

(٤) انظر: زهرة التفاسير (٨/ ٤٣٦٨).

(٥) التفسير المنير، للزحيلي (١٥/٦٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البسط لا تمسك شيئًا، ويرسم نهاية البخل ونهاية الإسراف قعدة كقعدة الملوم المحسور. والحسير في اللغة الدابة تعجز عن السير فتقف ضعفا وعجزا. فكذلك البخيل يحسره بخله فيقف. وكذلك المسرف ينتهي به سرفه إلى وقفة الحسير. ملوما في الحالتين على البخل وعلى السرف، وخير الأمور الوسط [١].

١٢. التنفير من التبذير، والإسراف فى أي وجه من الوجوه، حتى فى مجال الخير والإحسان، وكفى بالتبذير نكرا أن يكون وجهه دائمًا مصروفًا فى وجوه الشرّ، وقلّ أن يظهر له وجه فى باب الإحسان، ومن هنا كان مكروها على أي حال، إذ كان الغالب عليه هذا المتّجه المنكر [٢].

١٣. إن اللَّه ﷻ هو المعطي، وهو مقدر الرزق، وإذا كان الأمر كذلك فلا محل للبخل؛ لأنه يعطي الرزق فربما يعطي خلفا لما ينفق ولا محل للإسراف؛ لأن الإسراف ينافي شكر النعمة [٣].

١٤. إن الله أعلم بمصالح عباده وبأحوالهم، فيبسط الرزق لمن يشاء عن خبرة وبصر، ويقدر الرزق لمن يشاء عن خبرة وبصر. ويأمر بالقصد والاعتدال، وينهى عن البخل والسرف، وهو الخبير البصير بالأقوم في جميع الأحوال وقد أنزل هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم في جميع الأحوال [٤].

١٥. إن الأرزاق بيد اللَّه يعطي من يشاء عن سعة، وهو له مختبر، فإن أنفقها في خير كان شكرا لها، واللَّه يقول: ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾[إبراهيم: ٧]، وإذا كان كله من اللَّه السعة والفقر، فإن ذا السعة لَا يغتر فيسرف، أو يبخل، والذي قدر عليه رزقه فليعلم أنه عطاء اللَّه أعطاه لحكمة أرادها، والشكر حينئذ هو الرضا بها، والصبر، وقد وصف اللَّه تعالى المؤمنين فقال تعالت كلماته: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا**﴾[الفرقان: ٦٧] [٥].

١٦. حكمة الله ﷻ، وواسع علمه، فربما يعطي ليظهر طغيان من أعطاه، أو شكره، ولذا ختم ﷻ الآية بقوله: ﴿**إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا**﴾، فالضمير إلى اللَّه العليم علم الخبير الذي أنشأ، علم من يرى ويبصر، فهو الذي قدر وأعطى، وهو الذي قدر وقلل، وللغني الشاكر فضله عند الله، وللفقير الصابر قدره [٦].

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٢٢٢٣/٤).

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن (٨/ ٤٧٦).

(٣) انظر: زهرة التفاسير (٨/ ٤٣٧١).

(٤) انظر: تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٧/ ٣٨)، المحرر الوجيز، لابن عطية (٣/ ٤٥١).

(٥) انظر: زهرة التفاسير (٨/ ٤٣٧١).

(٦) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٤٨٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد سورة الإسراء، من الآية (٣١-٦٠)

ويشتمل على ثمانية مطالب:

المطلب الأول: تحريم القتل والزنا وأكل مال اليتيم (٣١-٣٤).

المطلب الثاني: إيفاء الكيل والميزان والتثبت من المعلومات والتواضع (٣٥-٣٩).

المطلب الثالث: نسبة الولد لله والشريك لله تعالى (٤٠-٤٤).

المطلب الرابع: حماية النبي عليه الصلاة والسلام من الأذى (٤٥-٤٨).

المطلب الخامس: إنكار المشركين البعث (٤٩-٥٢).

المطلب السادس: الأسلوب الأفضل في الجدال (٥٣-٥٥).

المطلب السابع: عبدة البشر والأوثان والملائكة (٥٦-٥٨).

المطلب الثامن: طلب الآيات التعجيزية (٥٩-٦٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: تحريم القتل والزنا وأكل مال اليتيم ووجوب الإيفاء بالعهد.

قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا * وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا * وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾. [سورة الإسراء: ٣١-٣٤].

أولاً: المناسبة

١- قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ...**﴾

بعد أن بين الله -ﷻ-في الآية الأولى أنه هو المتكفل بأرزاق العباد، نهي عن قتل الأولاد خشية الفقر، وبين أن امتناع الأولاد من البر بالآباء يوجب خراب العالم؛ لأن الآباء إذا علموا ذلك قلت رغبتهم في تربية الأولاد، فيلزم خراب العالم من الوجه الذي قررناه، فثبت أن عمارة العالم إنما تحصل إذا حصلت المبرة بين الآباء والأولاد من الجانبين(١).

٢- قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا...**﴾

بعد أن نهى تعالى عن قتل الأولاد نهى عن التسبب في إيجاده من الطريق غير المشروعة، فنهى عن قربان الزنا واستلزم ذلك النهي عن الزنا، الذي يفضي إلى ما يفضي إليه قتل الأولاد من اختلاط الأنساب وعدم استقرارها، نهى عن قتل الأنفس المعصومة على العموم(٢).

٣- قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ...**﴾

بعد أن نهى-ﷻ- عن قتل الأولاد وعن إيجادهم من الطريق غير المشروعة نهى عن قتل النفس فانتقل من الخاص إلى العام، والظاهر أن هذه كلها منهيات مستقلة ليست مندرجة تحت قوله: وقضى ربك(٣).

٤- قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ...**﴾

بعد أن نهى الله -ﷻ- عن إتلاف الأنفس نهى عن إتلاف الأموال؛ لأن المال أخو الروح، وأحق الناس بالنهى عن إتلاف ماله هو اليتيم لضعفه وكمال عجزه، ولذلك لما كان اليتيم ضعيفاً عن أن يدفع عن ماله لصغره نص على النهي عن قربان ماله(٤).

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣٣٠)، البحر المحيط، لأبي حيان (٤٣/٧)، تفسير القرآن العظيم(٥/ ٦٦).

(٢) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان (٧/ ٤٣)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود (٥/ ١٧٠)، فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٦٥)، تفسير المراغي ، للمراغي (١٥/ ٤٢).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣٣٣)، لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (١٢٩/٣)، البحر المحيط، لأبي حيان (٧/ ٤٤).

(٤) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان (٧/ ٤٦)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١١/ ٤١١)، تفسير المراغي، للمراغي (١٥/ ٤٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: أسباب النزول

١- ورد في سبب نزول قوله تعالي: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ...**﴾

- روى الطبري في تفسيره عن قتادة -ﷺ - : كان أهل الجاهلية يقتلون البنات خشية الفاقة، فوعظهم الله في ذلك وأعلمه أن رزقهم ورزق أولادهم على الله فقال لهم: ﴿**نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا**﴾[١].

٢- روى الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: لما نزلت: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ..** ﴾ عزلوا أموال اليتامى، حتى جعل الطعام يفسد واللحم ينتن، فذكروا ذلك للنبي -ﷺ-، فنزلت: ﴿**وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ**﴾ [سورة البقرة:٢٢٠]، قال: فخالطوهم[٢].

٣- ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ...**﴾

روى البيهقي بسنده عن زيد بن أسلم: أن الناس، في الجاهلية إذا قتل الرجل من القوم رجلاً لم يرضوا حتى يقتلوا به رجلا شريفا، إذا كان قاتلهم غير شريف لم يقتلوا قاتلهم وقتلوا غيره، فوعظوا في ذلك بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ...**﴾ [٣].

ثالثاً: المعنى اللغوي

١- ﴿**خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ**﴾

الإملاق: الفقر وعدم الملك، أملق الرجل أي لم يبق له إلا الملقات، وهي الحجارة العظام الملس. الواحدة ملقة. وأملق إذا افتقر، وأملق الدهر ما بيده[٤].

٢- ﴿**خِطْئًا كَبِيرًا**﴾

خطئًا: إن تعمد الإثم قيل خطئ يخطأ خطئاً، وأما الخطأ بفتح الخاء فانه اسم وضع موضع المصدر، وهو الخطأ غير المتعمد، ويقال: قد خطئت، إذا أثمت فأنا أخطأ خطئاً. وأنا خاطيء. خِطئاً: بالكسر فمعناه إثماً كثيراً، يقال قد خطئ الرجل يخطأ خِطئًا: أثِمَ يَأثَمُ إثماً[٥].

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري (١٧/ ٤٣٦)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٨).

(٢) مسند الإمام أحمد: ح(٢٩٩٩)، ٥/١٤٠، والنسائي: ك(الوصايا)، ب(ما للوصي من مال اليتيم إذا قام عليه)، ح(٣٦٦٩)، ٦/٢٥٦. صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وضعفه شعب الأرناؤوط.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي: ك(جامع أبواب تحريم القتل)، ب(باب إيجاب القصاص على القاتل دون غيره)، ح(١٥٨٨٩)، (٨/ ٤٧).

(٤) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري (٩/ ١٤٩)، لسان العرب، لابن منظور (١٠/ ٣٤٨)، فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٦٥).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٣٦)، تهذيب اللغة، للأزهري (٧/ ٢٠٧)، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي (ص: ٢٤٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- ﴿سُلْطَاناً﴾

قال سعيد بن جبير كل سلطان في القرآن فهو حجة[١].

٤- ﴿فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ﴾

والإسراف في القتل قد اختلف فيه. فقال أكثر الناس: الإسراف أن يقتل الولي غير قاتل صاحبه.

وقيل: الإسراف أن يقتل هو القاتل دون السلطان، وكانت العرب إذا قتل منها السيد وكان قاتله خسيسا لم يرضوا بأن يقتل قاتله وربما لم يرضوا أن يقتل واحد بواحد حتى تقتل جماعة بواحد[٢].

٥- ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾

وأشُده أن يبلغَ النكاح، وقيل: أشُده أن يأتي له ثماني عشرة سنة. وبُلوغُ أشده هو الاحتلام، وأن يكون مع ذلك غير ذي عاهة في عقل وَأنْ يكون حازماً في ماله. وقيل: يتناهى في الثبات إلى حد الرجال[٣].

رابعاً: الجانب البلاغي

١- في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾

تعليل للنهي المذكور بإبطال موجبه في زعمهم أي نحن نرزقهم لا أنتم فلا تخافوا الفقر بناء على علمكم بعجزهم عن تحصيل رزقهم، وتقديم ضمير الأولاد على ضمير المخاطبين على عكس ما وقع في سورة الأنعام﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[سورة الأنعام: ١٥١]، للإشعار بأصالتهم في إفاضة الرزق، وعارض هذه النكتة هناك تقدم ما يستدعي الاعتناء بشأن المخاطبين من الآيات كذا قيل[٤].

٢- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً﴾

تعليل آخر ببيان أن المنهي عنه في نفسه منكر عظيم لما فيه من قطع التناسل وقطع النوع، والخطأ كالإثم لفظاً ومعنى وفعلهما من باب علم[٥].

٣- في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾

ولا تقربوا الزنى أبلغ من القول: لا تأتوه، أو لا تزنوا؛ لأنه نهيٌ عن مقدمات الزنا أو أي طريق تؤدي إليه[٦].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٣٧)، إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٧١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٣٧)، غريب القرآن (١/ ٢١٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٣٨) غريب القرآن لابن قتيبة ت أحمد صقر (ص: ٢٥٤).

(٤) انظر: الكشاف، للزمخشري (٢/ ٦٦٤)، فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٦٥)، روح المعاني، للألوسي (٨/ ٦٥).

(٥) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٦٥)، روح المعاني، للألوسي (٨/ ٦٥).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٥٣/١٠)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ٦٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً**﴾

فعلة ظاهرة القبح زائدته وَساءَ سَبِيلًا أي وبئس السبيل سبيلاً لما فيه من اختلال أمر الأنساب وهيجان الفتن[١]. أي متجاوزة الحد في القبح[٢].

٥- في قوله تعالى: ﴿**فَلا يُسْرِفْ**﴾ مبالغة ليست في الأمر، ووجهُ التعليل ظاهرٌ[٣].

خامساً: التفسير والبيان

هذا قبس من نور الذكر الحكيم، يرسل فيملأ القلوب إيماناً واعترافاً بأن ذلك القرآن من عند الله لا من عند محمد-ﷺ-.

إن انحراف العقيدة وفسادها ينشيء آثاره في حياة الجماعة الواقعية، ولا يقتصر على فساد الاعتقاد والطقوس التعبدية. وتصحيح العقيدة ينشيء آثاره في صحة المشاعر وسلامتها، وفي سلامة الحياة الاجتماعية واستقامتها.

وهذا المثل من وأد البنات مثل بارز على آثار العقيدة في واقع الجماعة الإنسانية. وشاهد على أن الحياة لا يمكن إلا أن تتأثر بالعقيدة، وأن العقيدة لا يمكن أن تعيش في معزل عن الحياة، ثم نقف هنا لحظة أمام مثل من دقائق التعبير القرآني العجيبة.

نعم ذلك بعض ما أوحى إلى ذلك النبي من الحكمة والموعظة الحسنة. وهذه الآيات تدلنا على أن محمد بن عبد الله ذلك الإنسان الذي نشأ في بيئة جاهلية بكل معاني الكلمة، بيئة، كل همها فتك وقتل وتخريب وإغارة وزنا وخمر، ووأد البنات مخافة الفقر أو العار لا يمكن أن يكون من عنده هذا النور، وهذا السمو في الخلق إذ فاقد الشيء لا يعطيه.

أهذه البيئة تخرج مثل ذلك النبي الذي يدعو في هذه الآيات إلى كل خير وبر، وينهى عن كل إثم وشر؟!! ﴿**ذلِكَ مِمَّا أَوْحى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ**﴾ ولكنها المعجزة الباقية على أن هذا القرآن من عند الله لا من محمد وإلا فمن علمه ذلك؟

ومن عرفه الأسس والدعائم التي تبنى مجتمعا صالحاً طيباً، فلو اجتمع فلاسفة الأخلاق في القرن العشرين ليبنوا مجتمعاً صالحاً أتراهم يوصون بهذه الدعائم؟!! هذه الآيات بدئت بالنهى عن الشرك ثم بالأمر بالإحسان إلى الوالدين إلى آخر ما فيها من معان سامية ثم اختتمت كذلك بإثبات أن ذلك وحى من عند الله بالنهى عن الشرك، وبيان الجور في حكمهم أن لله البنات ولهم البنين، وفي النهاية الكلام على القرآن الكريم.

---

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٦٥)، روح المعاني، للألوسي (٨/ ٦٦).

(٢) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٥/١٧٠).

(٣) انظر: الكشاف، للزمخشري (٢/ ٦٦٤)، روح المعاني، للألوسي (٨/ ٦٨)، إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٥/ ١٧٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا النسق القرآني يرشدنا إلى خطر الشرك بالله وأن هذه الأوامر والنواهي مما يتطلبه الدين ويحث عليه، وتبين لنا أن القرآن الكريم قد صرفه الله على أحسن وجه وأكمله ليذكروا، ولكن ما يزيدهم ذلك إلا نفوراً واستكباراً[١].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- تحريم وأد البنات:

إن في الدين الإسلامي حيوية ومرونة ومسايرة، لكل زمان ومكان، ففي النظام الإسلامي العديد من الحلول لجميع المشكلات التي تواجه حياة الإنسان، فالإسلام قد حرم وأد البنات، وحفظ جنس الإناث وأبقى على هذا المخلوق البريء حياته قال تعالى: ﴿**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ**﴾ [سورة التكوير: ٨].

٢- المبلغة في تحريم الزنا:

إن الزنا من أعظم الذنوب بعد الشرك بالله، كيف لا وقد قرنه الله بالشرك وقتل النفس، لأن فيه اختلاطاً للأنساب، وانتهاكاً لحرمات المسلمين، وكذلك فهو يشعل العداوة والبغضاء بين الناس من إفساد كل منهم امرأة صاحبه، أو ابنته، أو أخته، وفي ذلك خراب للعالم.

٣- بيان خطورة الزنا

الزنى عادة تتنافى مع مبادئ الإنسانية الأولى؛ لأن فيه هتكاً للأعراض، واختلاطاً للأنساب، وقضاءً على الحرمات، وتقويضاً لدعائم المجتمع، وما شاع الزنى في قوم إلا ابتلاهم الله بالأمراض والأوجاع، وسلط عليهم الفقر والذل والهوان، ولقد صدق الرسول-ﷺ- حيث يقول: **(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)**[٢]. وقال تعالى في الذين يصنعون الفاحشة: ﴿**الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلَّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلَّا زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾[سورة النور آية ٣]، ولا غرابة إذ يقول الله فيه ﴿**إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَساءَ سَبِيلًا**﴾[٣].

٤- قضية الرزق مكفولة

إياكم أنْ تُدخِلوا مسألة الرزق في حسابكم؛ لأنكم لم تخلقوا أنفسكم، ولم تخلقوا أولادكم ولا ذريتكم. بل الخالق سبحانه هو الذي خلقكم وخلقهم، وهو الذي استدعاكم واستدعاهم إلى الوجود، وما دام هو سبحانه الذي خلق، وهو الذي استدعى إلى الوجود فهو المتكفّل برزق الجميع، فإياك أنْ تتعدَّى اختصاصك، وتُدخِل أنفك في هذه المسألة، وخاصة إذا كانت تتعلق بالأولاد[٤].

---

(١) التفسير الواضح، محمود حجازي (٢/ ٣٧١)، وانظر: التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ٦٩-٧٧)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٢٣).

(٢) صحيح البخاري: ك(الحدود)، باب (إثم الزناة)، ح(٦٨١٠)، (٨/ ١٦٤).

(٣) انظر: التفسير الواضح، لحجازي (٢/ ٣٧١).

(٤) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٤٨٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- النهي عن التفرقة بين الذكور والإناث

نهى الإسلامُ عن التفرقة بين الذكور والإناث بحجة أن الذكور يكونون عوناً وعدةً في معترك الحياة وأن الإناث مصدرٌ للعار والفقر والعوز والحاجة، كما كان الحال عند أهل الجاهلية قال تعالى: ﴿**لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا**﴾[سورة النساء: ١١].

٦- الرد على من يتهمون القرآن بالتناقض

أعداء الدين الذين يُثقِّبون في القرآن عن مأْخذ يروْنَ تعارضاً أو تكراراً بين هذه الآية التي معنا وبين آية أخرى تقول: ﴿**وَلَا تقتلوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...**﴾ [سورة الأنعام: ١٥١].

الفقر إذن لم يَأْتِ بعد، بل هو مُحْتمل الحدوث في مستقبل الأيام، فالرزق موجود وميسور، فالذي يقتل أولاده في هذه الحالة غير مشغول برزقه، بل مشغول برزق أولاده في المستقبل.

إذا استقبلتم كلام الله استقبالاً سليماً فلن تجدوا فيه تعارضاً ولا تكراراً، فليست الأولى أبلغَ من الثانية، ولا الثانية أبلغَ من الأولى، بل كل آية بليغة في موضوعها؛ لأن الآيتين وإنْ تشابهتَا في لنظرة العَجْلَى لكنْ بينهما فَرْق في المعنى كبير فالأول: الفقر غير موجود؛ لأن الخشية من الشيء دليل أنه لم يحدث، ولكنه مُتوقَّع في المستقبل، وصاحبه ليس مشغولاً برزقه هو، بل برزق مَنْ يأتي من أولاده. أما التعبير الثاني: ﴿**مِّنْ إِمْلَاقٍ...**﴾، فالفقر موجود وحاصل فعلاً"[(١)].

٧- تحريم القتل

قال تعالى:﴿**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾، لقد خلق الله الإنسانَ بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، فالإنسان بنيان الله في أرضه، له حياته التي وهبها الله إياها، وقد حرم الله الاعتداءَ على حياة الإنسان إلا بحقها، يقول الطبري: "وحقها أن لا تقتل إلا بكفر بعد إسلام، أو زنا بعد إحصان، أو قود نفس، وإن كانت كافرة لم يتقدّم كفرها إسلام، فأن لا يكون تقدم قتلها لها عهد وأمان"[(٢)].

٨- تحريم أكل مال اليتيم والتشنيع على آكله

قال تعالى:﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾، أغلى الأشياء بعد النفوس الأموال، فالمسلم معصوم دمه وماله وعرضه، ولا يجوز الاقتراب من ماله، فكيف إذا كان ذلك المسلمُ يتيماً ضعيفاً، فجزاءُ من أكل مال اليتيم الخسران والنيران والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾[سورة النساء: آية ١٠]، وقد سمي الله في الآية أخذ المال على كل وجوهه أكلاً؛ لأن المقصود من المال في الأغلب هو الأكل، وبه أكثر إتلاف

---

(١) الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٤٩٢).

(٢) جامع البيان، للطبري (١٧/ ٤٣٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأشياء، وخص البطون بالذكر لتبيين نقصهم، والتشنيع عليهم بضد مكارم الأخلاق، وسمى المأكول نارا بما يئول إليه[١].

يقول الشيخ حجازي: "يربى الإسلام نفوسنا تربية إسلامية عالية، ويغرس فينا المثل العالية، وها هو ذا يحرم علينا أكل مال اليتيم؛ لأنه ضعيف مسكين لا حول له ولا قوة، نهانا عن أن نقترب من مال اليتيم إلا بالطريقة الحسنى تعود على اليتيم بالفائدة فليس الاعتداء على ماله بأي شكل حتى يبلغ أشده، ويكتمل عقله ورشده فينطبق عليه القانون العام الذي يشمل جميع المسلمين"[٢].

٩- وجوب الوفاء بالعهد والتأكيد على أهميته

الوفاء بالعهود والمواثيق من أعظم الأمور التي دعا إليها الإسلام، وأكد ضرورة الوفاء بها؛ ورتب على نقضها والإخلال بها صنوف الذم والعقاب. قال تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾، وأكد الإسلام على الوفاء بالعهد وشدد وتكرر الحديث عن الوفاء بالعهد في صور شتى في القرآن؛ لأن هذا الوفاء مناط الاستقامة والثقة والنظافة في ضمير الفرد وفي حياة الجماعة. وذلك في عهد الله وعهد الناس على السواء. عهد الفرد وعهد الجماعة وعهد الدولة. عهد الحاكم وعهد المحكوم. والوفاء بالعهود لم تبلغه البشرية إلا في ظل الإسلام[٣].

١٠- التحذير من الطعن بالنسب

"النظام التكافليّ الذي جعله الحق سبحانه عماداً تقوم عليه الحياة الأسرية سرعان ما ينهار من أساسه إذا ما دَبَّ الشكُّ إلى قلب الأب في نسبة هذا الولد إليه، فتتحوّل حياته إلى جحيم لا يُطَاق، وصراع داخلي مرير لا يستطيع مواجهته أو النطق به؛ لأنه طَعْن في ذاته هو. ليحفظ على الناس أنسابهم، ويطمئن كل أب إلى نسبة أبنائه إليه، فيحنو عليهم ويرعاهم، ويستعذب ألم الحياة ومتاعبها في سبيل راحتهم"[٤].

١١- اليتم نعمة ونقمة

"اليتيم إما أن يكون قوة بانية في الجماعات أو قوة هادمة، فإن روعي حق رعاية، وحوفظ عليه بالصيانة والتربية والتنشئة نشأة صالحة يحس بأن من حوله يرعاه، ويكلؤه ويحميه نشأ محباً رحيماً بغيره؛ لأنه عاش برحمة غيره، وإن نشأ في بيت لا يؤنسه ولا يكرمه، ولا يعطيه محبة ورفقة نشأ عدوا للجماعة، وكان فيه ما يسمى عقدة النفس، أو مركب النقص[٥].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٥/ ٥٣).

(٢) التفسير الواضح، (٢/ ٣٧٢).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٢٦).

(٤) الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٤٩٧).

(٥) زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٣٧٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٢- إن المرأة إذا عرفت بالزنا وشهرت به استقذرها كل ذى طبع سليم، فلا تحدث ألفة بينها وبين زوجها، ولا يتم السكن والازدواج الذي جعله الله مودة ورحمة بين الناس بقوله: ﴿**وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ [سورة الروم: ٢١]"(١).

١٣- "إنه ليس المقصد من المرأة مجرد قضاء الشهوة، بل أن تصير شريكة للرجل فى ترتيب المنزل وإعداد مهامه من مطعوم ومشروب وملبوس، وأن تكون حافظة له، قائمة بشؤون الأولاد والخدم، وهذه المهامّ لا تتم على وجه الكمال إلا إذا كانت مختصة برجل واحد، منقطعة له دون غيره من الناس"(٢).

١٤- "إن في الزنا قتلاً من نواحي شتى. إنه قتل ابتداء لأنه إراقة لمادة الحياة في غير موضعها. يتبعه غالبا الرغبة في التخلص من آثاره بقتل الجنين قبل أن يتخلق أو بعد أن يتخلق، قبل مولده أو بعد مولده فإذا ترك الجنين للحياة ترك في الغالب لحياة شريرة، أو حياة مهينة، فهي حياة مضيعة في المجتمع على نحو من الأنحاء.. وهو قتل في صورة أخرى. قتل للجماعة التي يفشو فيها. فتضيع الأنساب وتختلط الدماء، وتذهب الثقة في العرض والولد، وتتحلل الجماعة وتتفكك روابطها، فتنتهي إلى ما يشبه الموت بين الجماعات"(٣).

١٥- "إذا أبيح القتل زال هذا النوع من الوجود ففتك القوى بالضعيف، وحدث الاضطراب فى المجتمع، فلا يستقيم للناس حال ولا ينتظم لهم معاش ﴿**وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً**﴾ أي ومن قتل مظلوماً بغير حق يوجب قتله فقد جعلنا لمن يلى أمره من وارث أو سلطان عند عدم الوارث تسلطا واستيلاء على القاتل، بمؤاخذته بأحد أمرين: إما القصاص منه، وإما الدية لقوله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلى**﴾[سورة البقرة: ١٧٨]"(٤).

١٦- جزاء الفاحشة في الأمم السابقة

"ما من أمة فشت فيها الفاحشة إلا صارت إلى انحلال، منذ التاريخ القديم إلى العصر الحديث. وقد يغر بعضهم أن أوربا وأمريكا تملكان زمام القوة المادية اليوم مع فشو هذه الفاحشة فيهما. ولكن آثار هذا الانحلال في الأمم القديمة منها كفر نسا ظاهرة لا شك فيها. أما في الأمم الفتية كالولايات المتحدة، فإن فعلها لم تظهر بعد آثاره بسبب حداثة هذا الشعب واتساع موارده كالشاب الذي يسرف في شهواته فلا يظهر أثر الإسراف في بنيته وهو شاب ولكنه سرعان ما يتحطم عند ما يدلف إلى الكهولة فلا يقوى على احتمال آثار السن، كما يقوى عليها المعتدلون من أنداده! والقرآن يحذر من مجرد مقاربة الزنا. وهي

---

(١) تفسير المراغي (١٥/ ٤٢).

(٢) تفسير المراغي (١٥/ ٤٢).

(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٢٤).

(٤) تفسير المراغي (١٥/ ٤٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مبالغة في التحرز. لأن الزنا تدفع إليه شهوة عنيفة. فالتحرز من المقاربة أضمن. فعند المقاربة من أسبابه لا يكون هناك ضمان"[١].

١٧- ﴿**فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ**﴾ "أي فلا يتجاوز الحد المشروع فيه بأن يقتل اثنين مثلاً بإزاء واحد، كما كانوا يفعلون فى الجاهلية، إذ كانوا يقتلون القاتل ويقتلون معه غيره إذ كان رجلاً شريفاً، وأحيانا لا يرضون بقتل القاتل بل يقتلون بدله رجلاً شريفاً"[٢].

١٨- "الإسلام دين الحياة ودين السلام، فقتل النفس عنده كبيرة تلي الشرك بالله، فالله واهب الحياة، وليس لأحد غير الله أن يسلبها إلا بإذنه وفي الحدود التي يرسمها. وكل نفس هي حرم لا يمس، وحرام إلا بالحق، وهذا الحق الذي يبيح قتل النفس محدد لا غموض فيه، وليس متروكا للرأي ولا متأثرا بالهوى. وقد جاء في صحيح البخاري[٣] أن رسول الله- ﷺ- قال: **(لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والزاني المحصن، والتارك لدينه المفارق للجماعة)**"[٤].

١٩- "في تولية صاحب الدم على القصاص من القاتل، وتجنيد سلطان الشرع وسلطان الحاكم لنصرته تلبية للفطرة البشرية، وتهدئة للغليان الذي تستشعره نفس الولي. الغليان الذي قد يجرفه ويدفعه إلى الضرب يمينا وشمالا في حمى الغضب والانفعال على غير هدى. فأما حين يحس أن الله قد ولاه على دم القاتل، وأن الحاكم مجند لنصرته على القصاص، فإن ثائرته تهدأ ونفسه تسكن ويقف عند حد القصاص العادل الهادئ"[٥].

٢٠- العفو عن القاتل ليس فرضاً

"الإنسان إنسان فلا يطالب بغير ما ركب في فطرته من الرغبة العميقة في القصاص. لذلك يعترف الإسلام بهذه الفطرة ويلبيها في الحدود المأمونة، ولا يتجاهلها فيفرض التسامح فرضاً. إنما هو يدعو إلى التسامح ويؤثره ويحبب فيه، ويأجر عليه. ولكن بعد أن يعطي الحق. فلولي الدم أن يقتص أو يصفح. وشعور ولي الدم بأنه قادر على كليهما قد يجنح به إلى الصفح والتسامح، أما شعوره بأنه مرغم على الصفح فقد يهيج نفسه ويدفع به إلى الغلو والجماح! وبعد أن ينتهي السياق من حرمة العرض وحرمة النفس، يتحدث عن حرمة مال اليتيم، وحرمة العهد"[٦].

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٢٤).

(٢) تفسير المراغي (١٥/ ٤٣).

(٣) صحيح البخاري: ك(الديات)، ب(قوله تعالى أن النفس بالنفس) ، ح(٦٨٧٨)، (٥/٩).

(٤) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٢٤).

(٥) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٢٥).

(٦) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٢٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢١- أكد الإسلام على الوفاء بالعهد وشدد؛ لأن هذا الوفاء مناط الاستقامة والثقة والنظافة في ضمير الفرد وفي حياة الجماعة. وقد تكرر الحديث عن الوفاء بالعهد في صور شتى في القرآن والحديث سواء في ذلك عهد الله وعهد الناس. عهد الفرد وعهد الجماعة وعهد الدولة. عهد الحاكم وعهد المحكوم. وبلغ الإسلام في واقعه التاريخي شأواً بعيداً في الوفاء بالعهود لم تبلغه البشرية إلا في ظل الإسلام(١).

المطلب الثاني: إيفاء الكيل والميزان والتثبت من المعلومات والتواضع.

قال تعالى: ﴿ **وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا* وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا * وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا * ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا** ﴾. [الإسراء: ٣٥-٣٩].

أولاً: المناسبة

- قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ...**﴾

بعد أن أمر الله تعالى بالوفاء بالعهود والعقود والشروط الصحيحة، أمر بثلاثة أشياء أخرى، هي الوفاء بالحق، والصدق في القول، والتواضع وترك التكبر. أمر الله تعالى في هذه الآية أهل التجارة والوزن والكيل أن يعطوا الحق في كيلهم ووزنهم، فيجب إتمام الكيل وإتمام الوزن، من غير نقص، وأخذ الحق بالعدل دون جور أو زيادة، فإذا كال التاجر أو وزن لغيره، ثم أمر الله تعالى بالتواضع وحرّم الكبر والخيلاء أو التبختر في المشي(٢).

ثانياً: أسباب النزول

-﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ..**﴾

عن السدي -رحمه الله- في قوله: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ قال: هذا في الفرية، يوم نزلت الآية لم يكن فيها حد إنما كان يسأل عنه يوم القيامة ثم يغفر له حتى نزلت هذه الآية آية الفرية جلد ثمانين(٣).

ثالثاً: المعنى اللغوي

١- ﴿ **فِي الْأَرْضِ مَرَحًا**﴾ **المرح:** الزبيدي قال: هو شدة الفرح، وقيل: التكبر في المشي، وقيل: تجاوز الإنسان قدره، وقيل: الخيلاء في المشي، وقيل: البطر والأشر، وقيل: النشاط. والظاهر أن المراد به هنا

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٢٦).

(٢) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان (٤٦/٧)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١١/ ٤١٢)، التفسير الوسيط، للزحيلي (٢/ ١٣٤٧).

(٣) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (٥/ ٢٨٦)، تفسير القرآن، لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخيلاء والفخر، قال الزجاج[١] في تفسير الآية: "لا تمش في الأرض مختالاً فخوراً، وذكر الأرض مع أن المشي لا يكون إلا عليها أو على ما هو معتمد عليها تأكيداً وتقريراً"[٢].

٢- ﴿ **وَلَا تَقْفُ** ﴾ **القفو**: قال أبو عبيد[٣]: "الأصل في القفو والتقافي البهتان يرمي به الرجل صاحبه"، وقال ابن الأعرابي[٤]: "يقال قفوت فلاناً اتبعت أثره، وقفوته أقفوه رميته بأمر قبيح". والمعنى: أي لا تتبع ما لا تعلم[٥].

٣- ﴿ **مَلُومًا** ﴾ **اللوم**: كثرة اللوم. وقال الفراء[٦]: "من العرب من يقول المليم بمعنى: الملوم. ومن قال مليم بناه على ليم". أبو عبيدة[٧]: "لمت الرجل، وألمته"[٨].

---

(١) **الزجاج**: هو إبراهيم بن السرىّ بن سهل أبو إسحاق الزّجّاج النحوىّ، صاحب كتاب معانى القرآن، كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، وله مؤلّفات حسان فى الأدب، تعلم النحو على يد المبرّد، وصنف مصنفات = كثيرة؛ منها كتاب المعاني في القرآن، وكتاب الفرق بين المؤنث والمذكر، وغير ذلك. انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة (١/ ١٩٤)، تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (٦: ٨٩)، شذرات الذهب، لابن العماد (٢: ٢٥٩ – ٢٦٠).

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٥٩١)، تاج العروس، للزبيدي (٧/ ١١٣)، فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٧١).

(٣) **القاسم بن سلّام أبو عبيد**: اللغوىّ الفقيه المحدّث، كان أبوه عبداً رومياً لرجل من أهل هراة. وكان أبو عبيد إمام أهل عصره في كلّ فن من العلم، وولي قضاء طرسوس أيام ثابت بن نصر بن مالك ولم يزل معه ومع ولده. ومات سنة ثلاث عشرين ومائتين أو أربع وعشرين أيام المعتصم بمكة. انظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي (٥/ ٢١٩٨) إنباه الرواة على أنباه النحاة، لأبو الحسن القفطي (٣/ ١٢).

(٤) **ابن الأعرابي**: هو أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي، فإنه كان مولى لبني هاشم، وكان من أكابر أئمة اللغة المشار إليهم في معرفتها. وكان عالماً ثقة، وكان ربيباً للمفضل الضبي، وسمع منه الدواوين وصححها، وأخذ عن الكسائي كتاب "النوادر" وأخذ عن أبي معاوية الضرير وغيرهما. انظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص: ١١٩).

(٥) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري (٩/ ٢٤٥)، لسان العرب، لابن منظور (١٥/ ١٩٤)، تاج العروس، للزبيدي (٣٩/ ٣٢٧).

(٦) **أبو زكريا الفراء**: يحيى بن زياد الفراء؛ فإنه كان مولى لبني أسد، من أهل الكوفة، وأخذ عن أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي، وكان إماماً ثقة. ويحكى عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، أنه قال: لولا الفراء لما كانت اللغة؛ لأنه خلصها وضبطها، ولولا الفراء لسقطت العربية؛ لأنها كانت تتلزع ويدعيها كل من أراد، ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، للأنباري (ص: ٨١).

(٧) **أبو عبيدة**: معمر بن المثنى أبو عبيدة البصري مولى بني تيم، تيم قريش لا تيم الرباب: كان من أعلم الناس باللغة وأنساب العرب وأخبارها، وهو أول من صنف غريب الحديث. أخذ عن يونس بن حبيب وأبي عمرو بن العلاء، وأسند الحديث إلى هشام بن عروة الامام الحجة. معجم الأدباء (٦/ ٢٧٠٤)، بغية الوعاة (٢/٢٩٤).

(٨) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري (١٥/ ٢٨٦)، لسان العرب، لابن منظور (١٢/ ٥٥٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرق بين المذموم والملوم أما كونه مذموماً فمعناه، أن يذكر له أن الفعل الذي أقدم عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموماً ثم يقال له: لم فعلت هذا الفعل القبيح وما الذي حملك عليه، وهذا هو اللوم. والملوم: فهو الذي يلام سواء أتى بما يستحق أن يلام عليه أم لا[١].

٤- ﴿ **مَدْحُورًا**﴾ **الدحر**: (دحر) الدال والحاء والراء أصل واحد، وهو الطرد والإبعاد. يقال: دحرت الرجل إذا طردته ونحيته عن المكان، قال الليث[٢]: "الدحر: تبعيدك الشيء عن الشيء، يقال: اللهم ادحر عنا الشيطان أي اطرده ونحه"[٣].

رابعاً: الجانب البلاغي

١- في قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ**﴾ تعليل للنهي وفيه تهكم بالمختال أي إنك لن تقدر أن تجعل فيها خرقا بدوسك وشدة وطأتك. لن تخرق الأرض بمشيك عليها تكبرا، خرقها: قطعها. قال النحاس[٤]: "وهذا أبين كأنه مأخوذ من الخرق"[٥].

٢- في قوله تعالى: ﴿**مَكْرُوهاً**﴾ قيل بدل من سَيِّئُهُ والمطابقة بين البدل والمبدل منه غير معتبرة، مكروها صفة لسيئة على المعنى، فإنها بمعنى سيئاً، أو هو بدل من سيئة وقيل: هو خبر ثان لكان حملاً على لفظ كل، ورجح أبو علي الفارسي[٦] البدل[٧].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣٤٤)، لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ١٣١)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٤٧١).

(٢) **الليث بن نصر** بن سيّار الخراسانىّ: اللغوىّ النحوىّ صاحب الخليل بن أحمد، أخذ عنه النوعين، وأملى عليه- فيما قيل- ترتيب كتاب العين فى اللغة، وسدّد فيه أماكن. انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي (٣/ ٤٢).

(٣) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ٣٣١)، المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص: ٣٠٨)، تهذيب اللغة، للأزهري (٤/ ٢٣٥).

(٤) **النحاس**: أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس أبو جعفر، من أهل مصر، رحل إلى بغداد فأخذ عن المبرد والأخفش علي بن سليمان ونفطويه والزجاج وغيرهم، ثم عاد إلى مصر فأقام بها إلى أن مات بها فيما ذكره أبو بكر الزبيدي في كتابه في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة. وأبو جعفر هذا صاحب الفضل الشائع، والعلم المتعارف الذائع، يستغني بشهرته عن الاطناب في صفته. انظر: معجم الأدباء، للحموي (١/ ٤٦٨)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، للأنباري (ص: ٢١٨).

(٥) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٧١)، روح المعاني، للألوسي (٨/ ٧٣).

(٦) **أبو علي الفارسي**: هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي؛ ولد بمدينة فسا واشتغل ببغداد، ودخل إليها سنة سبع وثلثمائة، وكان إمام وقته في علم النحو، ودار البلاد، وأقام بحلب عند سيف الدولة بن حمدان مدة، وصنف له كتاب الإيضاح، والتكملة في النحو، وقصته فيه مشهورة. انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكّان (٢/ ٨٠)، سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٣/ ٢٩)، الأعلام، للزركلي (٢/ ١٧٩).

(٧) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٧١)، روح المعاني، للألوسي (٨/ ٧٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- في قوله تعالى: ﴿ **كُلُّ أُولَئِكَ**﴾ إشارة إلى الأعضاء الثلاثة، وأجريت مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن أحوالها شاهدة على أصحابها. وقال الزجاج: "إن العرب تعبر عما يعقل وعما لا يعقل بأولئك، كل واحد منها كان مسئولاً عنه، فمسئول: مسند إلى الجار والمجرور"[١].

٤- في قوله تعالى: ﴿ **مَرَحًا**﴾ **المرح:** مصدر وقع حالاً، أي: ذا مرح، وفي وضع المصدر موضع الصفة نوع تأكيد[٢].

خامساً: التفسير والبيان

"أمر الله تعالى في هذه الآيات أهل التجارة والوزن والكيل أن يعطوا الحق في كيلهم ووزنهم، فيجب إتمام الكيل وإتمام الوزن، من غير نقص، وأخذ الحق بالعدل دون جور أو زيادة، فإذا كال التاجر أو وزن لغيره، فلا ينقص المكيال والميزان، وإذا كال الإنسان لنفسه أو وزن فلا يزيد في الكيل أو الوزن، ولا مانع حينئذ من النقص عن الحق.

ثم أمر الله تعالى بالتثبيت من المعلومات والأخبار والأحاديث، ونهى أن يقول الإنسان شيئا غير صحيح أو غير ثابت، أو يتتبع شيئا معتمدا على مجرد التخمين وسوء الظن، فهذا عيب في السلوك، وتشوية للحقائق، وإضرار بالآخرين عن غير حق، وإهدار لقدسية العلم والمعرفة والحقيقة.

ومن أجل كل ذلك وصحة المعلومات والمعارف، جعل الله تعالى مفاتيح العلوم والمعارف من السمع والبصر والقلب، يسأل عنها صاحبها يوم القيامة، وتسأل عنه، فإذا سمع الإنسان حراماً أو أبصره أو قرره في قلبه، كان مسئولاً عنه معاقباً عليه.

ثم أمر الله تعالى بالتواضع وحرّم الكبر والخيلاء أو التبختر في المشي، فمن مشى متكبراً متعاظما، فإنه لن يستطيع خرق الأرض أو نقبها بقدمه، ومن تطاول على الناس لن يصل بتطاوله وتمايله وتفاخره إلى قمم الجبال، وهذا تهكم بالمتكبر والمختال.

كل ما تقدم من الخصال المكروهة القبيحة المفهومة من أضداد الأوامر، واقتراف النواهي، كان قبيحه وخبيثه مكروهاً ومبغوضاً عند ربك، ومنهياً عنه، ومعاقباً عليه.

---

(١) انظر: الكشاف، للزمخشري (٢/ ٦٦٧)، فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٧٠).
(٢) انظر: الكشاف، للزمخشري (٢/ ٦٦٧)، فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٧١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكل ذلك الذي أمرناك به يا محمد من الأخلاق الحميدة، ونهيناك عنه من الخصال الرذيلة، هو مما أوحينا إليك من الأفعال والأصول المحكمة التي تقتضيها حكمة الله تبارك وتعالى في عباده، وخلقه لهم محاسن الأخلاق. وقوله تعالى: مِنَ الْحِكْمَةِ هي قوانين المعاني المحكمة والأفعال الفاضلة.

ولا تتخذ أيها النبي وكل من سمع من البشر إلها آخر شريكاً مع الله، فتلقى في جهنم، ملوما من نفسك وربّك والخلق قاطبة في الآخرة، مطرودا مبعدا من رحمة الله تعالى ومن كل خير، والمدحور: المهان المبعد. وهذا غاية الإذلال والإهانة"[1].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- وجوب الوفاء في الكيل والوزن

لقد حثنا الإسلام على العديد من الأخلاق والمعاملات الحسنة؛ منها الوفاء في الكيل والميزان؛ لأنهما من تمس التعامل اليومي بين الناس، فإذا حدث خلل ضاعت حقوق الناس وانتشرت السرقة وعمت الفوضى، فالهدف من هذا الخلق هو الارتقاء من مقام الإسلام إلى مقام الإيمان والإسلام قال تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ**﴾.

٢- في قوله تعالى: ﴿ **وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ**﴾ "أمرنا الله أن نزن بالميزان العدل دون شيء من الجور أو الحيف، لأن جميع الناس محتاجون إلى المعاوضات والبيع والشراء، ومن ثم بالغ الشارع فى المنع من التطفيف والنقصان، سعيا فى إبقاء الأموال لأربابها"[2].

٣- النهي عن تتبّع العورات ومسؤولية الإنسان عن جوارحه

يحذر القرآن من تتبع العورات والقول بمجرد الحدس؛ فالمسلم مسؤول عن جوارحه؛ السمع والقلب والبصر، فالواجب عليه أن يتأكد ولا يقول إلا عن بصيرة وعلم، ويتثبت من الأخبار، فلا يتكلم إلا عن علم ولا يفعل إلا عن علم، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾ [الإسراء: ٣٦].

٣- الحدس هو الخاطر النفساني الذي لا دليل عليه وليس غلبة الظن، ويندرج تحته الطعن في أنساب الناس وهي من صفات أهل الجاهلية، فكانوا يتهمون النساء بالرجل ويلحقون بعض الأولاد بغير آبائهم، وكذلك سوء الظن بالشبه البعيد أو اختلاف اللون عن الأب والأم[3].

---

(١) التفسير الواضح، لحجازي (٢/ ٣٧٠ وما بعدها)، وانظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (٢/ ١٣٤٧-١٣٤٩).
(٢) تفسير المراغي، للمراغي (١٥/ ٤٥).
(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ١٠٠)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الشيخ الشعراوي: "عليك أن تعرف أيها المسلم أنك مسئول عن السمع والبصر والقلب وستسأل عن ذلك يوم القيامة، لذلك لا يصح أن تتوانى عن الأخذ بأحسن العلم ليحسن قولك وفعلك. وبذلك لا يكون هناك خوف عليك في الدنيا أو الآخرة؛ لأنك آمنت وأصلحت، وأيضاً لا حزن يمسك في الدنيا ولا في الآخرة"[١].

٤- منهج التثبت من الأقوال

هو المنهج الكامل المتكامل الذي لا يأخذ العقل وحده بالتحرج في أحكامه، والتثبت في استقرائه إنما يصل ذلك التحرج بالقلب في خواطره وتصوراته، وفي مشاعره وأحكامه، فلا يقول اللسان كلمة ولا يروي حادثة ولا ينقل رواية، ولا يحكم العقل حكماً ولا يبرم الإنسان أمراً إلا وقد تثبت من كل جزئية ومن كل ملابسة ومن كل نتيجة، فلم يبق هنالك شك ولا شبهة في صحتها[٢].

٥- النهى عن الكبر والخيلاء

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧] من أخلاق الإسلام التي تدل على طهارة النفس وسلامة قلب المسلم من الكبر والخيلاء هو التواضع، الذي يعتبر ركناً مهماً في شخصية المسلم وسلوكه؛ لأن التواضع دعوة للمحبة والترابط، وكذلك هو وسيلة لتحرير القلب من الكراهية والحسد، قال النبي محمد -ﷺ-: **(ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)**[٣] وهي وسيلة لنيل رضا الله -ﷻ-، أمّا الذي يسلك مسلك المتكبّرين، فقد باء بشؤم العاقبة، يقول الله -ﷻ:﴿**فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**﴾ [سورة الزمر: الآية ٧٢].

٦- "أمر الله المسلمَ بالتواضع وعدم التكبر فقال:﴿ **وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً**﴾؛ لأنه مخلوق ضعيف محصور بين حجارة وتراب، فلا تفعل أيها الإنسان فعل القوى المقتدر. ولا يخفى ما في الآية من التقريع والتهكم والزجر لمن اعتاد ذلك"[٤].

---

(١) الخواطر، للشعراوي (٦/ ٣٦٣١).

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٢٧).

(٣) رواه مسلم: ك(البر والصلة والآداب)، ب(باب استحباب العفو والتواضع)، ح (٦٢٥٨٨)، ٤/٢٠٠١.

(٤) تفسير المراغي، للمراغي (١٥/ ٤٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧- الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك

نزلت الرسالات السماوية إلى الأمم والشعوب لتوحيد الله -ﷻ-، فذلك هو الهدف الأعظم لنزولها، ليكون الناس عباداً لله، وهي دعوة الأنبياء والرسل من آدم -عليه السلام- قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾[سورة الأنبياء : ٢٥]. فإذا أردنا سعادة الدارين، فلنحقّق التوحيد أوّلاً؛ لأنّه أصل الأصول، وغاية الخلق، وحذر الله من الشرك وعاقبته وتوجه الخطاب بصيغة المفرد ليحس كل واحد أنه أمر خاص به، صادر إليه؛ لأن الاعتقاد مسألة شخصية ومسؤولية فردية، والعاقبة تنتظر كل فريد على حدة، فالذي يحيد عنه يقعد مذموماً بفعلته ومخذولاً لا ناصر له[١].

٨- إن انحراف العقيدة وفسادها ينشىء آثاره في حياة الجماعة الواقعية، ولا يقتصر على فساد الاعتقاد والطقوس التعبدية. وتصحيح العقيدة ينشىء آثاره في صحة المشاعر وسلامتها، وفي سلامة الحياة الاجتماعية واستقامتها[٢].

٩- أمرنا الله تعالى بإتمام الكيل للناس إذا كلنا لهم أو كالوا لنا.

١٠- "إن الأمور التي يكلف بها كل فرد بصفته الفردية جاء الأمر أو النهي فيها بصيغة المفرد أما الأمور التي تناط بالجماعة فقد جاء الأمر أو النهي فيها بصيغة الجمع، ففي الإحسان للوالدين وإيتاء ذي القربى والمسكين وابن السبيل، وعدم التبذير، والتوسط في الإنفاق بين البخل والسرف، وفي التثبت من الحق والنهي عن الخيلاء والكبر.. كان الأمر أو النهي بصيغة المفرد لما لها من صبغة فردية. وفي النهي عن قتل الأولاد وعن الزنا وعن قتل النفس، والأمر برعاية مال اليتيم والوفاء بالعهد، وإيفاء الكيل والميزان كان الأمر أو النهي بصيغة الجمع لما لها من صبغة جماعية"[٣].

١١- في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ**﴾ بيانٌ أن الأمانة العقلية القلبية التي يعلن القرآن تبعتها الكبرى، ويجعل الإنسان مسؤولاً عن سمعه وبصره وفؤاده، أمام واهب السمع والبصر والفؤاد.

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٢٠).
(٢) المرجع السابق (٤/ ٢٢٢٣).
(٣) المرجع السابق (٤/ ٢٢٢٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٢- إنها أمانة الجوارح والحواس والعقل والقلب. أمانة يسأل عنها صاحبها، وتسأل عنها الجوارح والحواس والعقل والقلب جميعا. أمانة يرتعش الوجدان لدقتها وجسامتها كلما نطق اللسان بكلمة، وكلما روى الإنسان رواية، وكلما أصدر حكما على شخص أو أمر أو حادثة[١].

المطلب الثالث: نسبة الولد والشريك لله والتأكيد على تسبيح الخلائق له سبحانه.

قال تعالى: ﴿ **أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا * قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا * سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا * تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا** ﴾ [سورة الإسراء ٤٠-٤٤].

أولاً: المناسبة

١- قوله تعالى:﴿ **أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ...**﴾

بعد أن أمر الله الناسَ بالتوحيد ونهى عن الشرك أتبعه بذكر من أثبت الولد له- تعالى- خصوصاً إذا كان الولد أنثى!! أيكرمكم ربكم فيخصكم بالبنين ويتخذ من الملائكة إناثاً له؟

أيعقل هذا إنكم لتقولون قولاً عظيم إثمه كبير جرمه ﴿**تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزى**﴾ فإنكم تكرهون البنات وتحبون الذكور فكيف تقسمون الأولاد هكذا الذكور لكم والإناث لله[٢].

٢- قوله تعالى:﴿ **قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ...**﴾

لما أخبر أن هذا التصريف يزيدهم نفوراً علمنا أنه ما أراد الإيمان منهم، دل على التوحيد الذي أمر به في قوله: ﴿**وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ**﴾ فقال: ﴿ **قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ**﴾ أي كما يقول المشركون من إثبات آلهة من دونه أو كما تقولون أيها المشركون[٣].

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٢٧).

(٢) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٧/ ٥٢)، التفسير الواضح، لحجازي (٢/ ٣٧٤)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ٨٢).

(٣) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري (٤/ ٣٥٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: أسباب النزول

- نزل قوله تعالى ﴿ **قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ...**﴾ في مشركي العرب حين قالوا: الملائكة بنات الرحمن[١].

ثالثاً: المعنى اللغوي

١- ﴿**أَفَأَصْفَاكُمْ**﴾

أصفى فلانًا الودَّ، أصفى لفلانٍ الودَّ: أخلصه له وصدقه المودّةَ، وأصفاه بالشَّيء:خصَّه وآثره به من المجاز: أصفيته المودة. وأصفيته بالبر: آثرته واختصصته، وأصفى عياله بشيء يسير: أرضاهم به. والمعنى: كانت الكفرة من العرب تزعم أن الملائكة بنات الله، فوبخوا، وقيل لهم: ﴿**أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ**﴾، أي أختار لكم ربكم صفوة الشيء وأخذ من الملائكة غير الصفوة[٢].

٢-﴿**لَابْتَغَوْا**﴾

أي لتقربوا إلى ذي العرش، كما قال: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**﴾. وقال بعضهم: ﴿**لَابْتَغَوْا**﴾ أي لكانوا مضادين له يطلبون الانفراد بالربوبية[٣].

رابعاً: الجانب البلاغي

١- في قوله تعالى: ﴿**أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ**﴾ لونان بلاغيان:

أ- تفريع على مقدر يدل على تقديره المفرع عليه. والتقدير: أفضلكم الله فأعطاكم البنين وجعل لنفسه البنات[٤].

ب- الاستفهام إنكار وتهكم، الاستفهام هنا إنكاري بمعنى النفي مع التوبيخ[٥].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، لمقاتل (٢/ ٥٣١)، زاد المسير في علم التفسير، لابن القيم (٣/ ٢٦).

(٢) انظر: أساس البلاغة، للزمخشري (١/ ٥٥١)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٤١)، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٣٠٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٤١).

(٤) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٧٢)، روح المعاني، للألوسي (٨/ ٧٨)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ١٠٧).

(٥) انظر: الكشاف، للزمخشري (٢/ ٦٦٨)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ١٠٧)، زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٣٨٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا..**﴾ كناية عن التبيين بمختلف البيان، وقيل صرفنا أي: حَوَّلْنا الشيء من حال إلى حال، ومنها قوله تعالى: ﴿**وَتَصْرِيفِ الرياح...** ﴾[سورة البقرة: ١٦٤] يعني تغييرها من حال إلى حال، أي: صرف مسألة ادعاء اتخاذ الله الأبناء في القرآن، وعالجها في كثير من المسائل؛ لأنه أمر مهم عالجه القرآن علاجاتٍ متعددة في مقامات مختلفة من سُوره، فتكرر ذِكْر هذه المسألة(١).

٣- في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ...**﴾

في هذا المقطع فن التنكيت وأنه قصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون غيره مما يسدّ مسدّه لنكتة في المذكور ترجح مجيئه على سواه فقد خصّ سبحانه تفقهون دون تعلمون لما في الفقه من الزيادة على العلم لأنه التصرف في المعلوم بعد علمه واستنباط الأحكام منه والمراد الذي يقتضيه معنى الكلام التفقه في معرفة التسبيح من الحيوان البهيم والبنات والجماد(٢).

خامساً: التفسير والبيان

قل لهم يا محمد: لو كان مع الله -ﷻ- آلهة وشركاء كما تقولون أيها المشركون إذن لابتغوا إلى صاحب العرش سبيلا ولطلبوا طريقاً لمقاتلة الله ولتنازعوا على الألوهية. ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾[سورة الأنبياء: آية ٢٢].

ثم بين- سبحانه- مظهراً من مظاهر جلال ملكه وعظيم سلطانه وكامل وحدانيته فقال: تسبح له السموات السبع ومن فيها والأرضون السبع ومن فيهن وليس هناك في الوجود شيء إلا يسبح بحمده تسبيحاً بلسان الحال ولكنكم أيها المشركون لا تفقهون تسبيحهم كل ما في الكون من إنسان وحيوان وشجر ونبات وجماد وأجرام يدل دلالة قوية على وجود الصانع القادر الواحد المختار فكل شيء يسبح بحمد الله وشكره.

ولكن الذين لا يعرفون لغة الكائنات ودلالة الموجودات لا يفقهون ذلك بل لا يفهمون أصلاً. ومع ذلك إنه هو الحليم بعباده الغفور الذي يغفر السيئات ويقبل التوبة من عباده ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ**﴾[سورة الأنفال: آية ٣٨](٣).

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ١٠٩)، الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٥٥٣).

(٢) انظر: معالم التنزيل، للبغوي في تفسير القرآن، للبغوي (٣/ ١٣٦)، فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٧٤)، إعراب القرآن وبيانه، للدرويش (٥/ ٤٤٩).

(٣) التفسير الواضح، لحجازي (٢/ ٣٧٥-٣٧٩)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ٨٢ وما بعدها).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

حمل هذا المقطعُ من سورة الإسراء العديدَ من المقاصد والأهداف:

١- نفي نسبة الولد والشريك لله تعالى: قال تعالى: ﴿**أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا**﴾ نسبة الولد لله واتخاذ الشريك مع الله لا يجوز؛ فالله لم يلد ولم يولد، ولم تكن له صاحبة، وكذلك لا شريك له ملكه، وذلك لأن الله ليس له شريك في أي نوع من الشركة، يعني: ما شاركه أحد في خلق المخلوقات، في خلق السماوات أو الخلق أو العباد ولا شاركه في رزقهم وإنعامه عليهم، ولا شاركه مخلوق في حفظهم ومراقبتهم إلا بإذنه، ولا شاركه أحد في التصرف فيهم كما يشاء، وإذا كان كذلك، فلا يجوز أن يشاركه أحد في العبادة، أو في استحقاق العبادة، فمن أعظم الافتراء على الله نسبةُ الولد والشريك لله، فالفرق شاسع بين الإنسان المخلوق العاجز المحتاج إلى الولد والزوجة والشريك، وبين الإله القادر المستغني عن الولد والزوجة والشريك[١].

٢- اهتمام القرآن بتقرير التوحيد

إذا تأملنا القرآن وجدنا أنه بيّن التوحيد بياناً شافياً، فالتوحيد أصل الملة الحنيفية، والاهتمام به اهتمام بذلك الأصل، فلا تخلو سورة من سور القرآن إلا وتناولت التوحيد بالبيان والنهي عن ضده.

سلك القرآن في تقرير عقيدة التوحيد العديد من الطرق والوسائل والأساليب؛ لأنه لا يحتاج أكثر من التذكر والرجوع إلى الفطرة، وكذلك الرجوع إلى الآيات الكونية، وقد جارى القرآن ادعاءات الكفار في نسبة البنات لله ليكشف زيفهم وتهافت عقيدتهم ﴿ **قُلْ: لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقُولُونَ، إِذاً لَابْتَغَوْا إِلى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا**﴾[٢].

٤- الأصنام لا تملك شيئاً

في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ: لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقُولُونَ**﴾، لا معنى أن يسجد للإنسان لصنم من حجارة، وأن يحتاج إليه ويعلق عليه مصيره، لو نظر المشركون إلى معبوداتهم أسيرة المكان والزمان،

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (٢/ ١٣٤٩).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٣٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحكمها الطبيعة، ليس لها امتياز على البشر، فالمشركون هم من جعلوا لها امتيازاً بتصورهم الخاطئ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[سورة الأعراف: ٩٤].

٥- **إبطال عبادة الأوثان:** كل الوجود خاضع لله تعالى ولو كان هناك آلهة كما يقول الكفار لابتغوا سبيلاً إلى العرش يعبدوه، فدعوى الكافرين باطلة، حيث أتى الله ببرهان التوحيد من دعواهم هم[١].

٦- في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ بيان أن التصريف في اللغة عبارة عن صرف الشيء من جهة إلى جهة، نحو تصريف الرياح وتصريف الأمور هذا هو الأصل في اللغة، ثم جعل لفظ التصريف كناية عن التبيين، لأن من حاول بيان شيء فإنه يصرف كلامه من نوع إلى نوع آخر ومن مثال إلى مثال آخر ليكمل الإيضاح ويقوي البيان، يدل على أنه تعالى إنما أنزل هذا القرآن، وإنما أكثر فيه من ذكر الدلائل لأنه تعالى أراد منهم فهمها والإيمان بها [٢].

٧- **إثبات خضوع جميع الكائنات لله وتسبيحهم له**

إن جميع الكون بسمائه وطبقات النجوم وبروجها، والأرض والأفلاك، والشجر والدواب، والبحر والبر، والإنس والجن، كله خاضع لله، مطيع لأمره، كل الكائنات منقادة لله وخاضعة لسلطانه، لا تعصيه، هذا النظام الدقيق ينزه خالقه عن النقص والعيب.

والتسبيح هو بمعنى الخضوع الكامل للّه تعالى، لَا يخرج شيء مما في الوجود أو أحد عن طاعته سبحانه، لذلك يجب علينا عبادته تعالى.

واعلم أن هذا الكون بكل ما فيه من مخلوقات هي تحت عرش الله، يتوجه كله إلى الله، يسبح له، وتنفض روحاً حية تسبح الله. فإذا الكون كله حركة وحياة، كل حصاة وكل حجر، كل حبة وكل ورقة، كل زهرة وكل ثمرة، كل نبتة وكل شجرة، كل حشرة وكل زاحفة، كل حيوان وكل إنسان، كل دابة على الأرض وكل سابحة في الماء والهواء، ومعها سكان السماء، كلها تسبح الله وتتوجه إليه في علاه[٣].

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٣٨٩).
(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣٤٥).
(٣) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٣٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فـ"التسبيح: هو حيثية الإيمان بالله؛ لأنك لا تؤمن بشيء في شيء إلاَّ أنْ تثق أن مَنْ آمنت به فوقك في ذلك الشيء، فأنت لا تُوكِّل أحداً بعمل إلا إذا أيقنتَ أنه أقدر منك وأحكم وأعلم.

فإذا كنت قد آمنت بإله واحد، فحيثية ذلك الإيمان أن هذا الإله الواحد فوق كل المألوهين جميعاً، وليس لأحد شبه به، وإن اشترك معه في مُطْلَق الصفات، فالله غنيّ وأنت غِنَي، لكن غنى الله ذاتيّ وغِنَاك موهوب، يمكن أنْ يُسلب منك في أي وقت.

وكذلك في صفة الوجود، فالله تعالى موجود وأنت موجود، لكن وجوده تعالى لا عن عدم، بل هو وجود ذاتي ووجودك موهوب سينتهي في أي وقت.

إذن: فتسبيح الله هو حيثية الإيمان به كإله، وإلا لو أشبهناه في شيء أو أشبهنا في شيء ما استحق أن يكون إلهاً"[1].

٨- لغة التسبيح الضرورية:

كل شيء في الوجود عَلِم كيف يُصلّي لله، وكيف يُسبِّح لله، وفي القرآن آياتٌ تدل بمقالها ورمزيتها على أن كل عَالَم في الوجود له لغة يتفاهم بها في ذاته، وقد يتسامى الجنس الأعلى ليفهم عن الجنس الأدنى لُغته، فكيف نستبعد وجود هذه اللغة لمجرد أننا لا نفهمها؟

وها هم الناس أنفسهم ولهم في الأداء القوليّ لغة يتفاهمون بها، ومع ذلك تختلف بينهم اللغات، ولا يفهم بعضهم بعضاً، فإذا ما تكلم الإنجليزي مع أنه يتكلم بألفاظ العربي ومع ذلك لا يفهمه؛ لأنه ما تعلَّم هذه اللغة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ...**﴾ [سورة البقرة: آية ١٥][2].

٩- التسبيح لغات شتى:

التسبيح الذي يَعتمِد على اللغة ليس كل إنسان قادرًا على فهمه، فلكلٍّ من المخلوقات لغتُه، ولا يفهمها إلا من خَصَّه اللهُ من عباده المقرَّبين كداود وسليمان- عليهما السلام-: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [سورة ص: ١٦].

---

(١) الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٥٥٨).

(٢) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٥٦١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعْض العلماء يقول: إن التسبيح باللغة يكُون من الأحياء النامية كالحيوان والنبات، وأما تَسْبيح غيرها كالجَماد فهو بمعنى الدلالة على وجود الله ووجوب عبادته، وقال بعضٌ آخر: قد يكون تسبيح الجمادات بلغة خاصة كما جاء في إكرام الله لداود بقوله: ﴿**إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ**﴾[سورة النمل:١٦-١٧].

١٠- تنفرد الذات الإلهية بالعبادة والاتجاه والقدرة والتصرف والحكم في هذا الوجود، ظاهره وخافيه، دنياه وآخرته ويبدو الوجود كله متجها إلى خالقه في تسبيحة مديدة شاملة تشترك فيها الأحياء والأشياء[١].

١١- حين تشف الروح وتصفو فتتسمع لكل متحرك أو ساكن وهو ينبض بالروح، ويتوجه بالتسبيح، فإنها تتهيأ للاتصال بالملأ الأعلى، وتدرك من أسرار هذا الوجود ما لا يدركه الغافلون، الذين تحول صفاقة الطين بين قلوبهم وبين الحياة الخفية السارية في ضمير هذا الوجود، النابضة في كل متحرك وساكن، وفي كل شيء في هذا الوجود[٢].

١٢- في قوله تعالى: ﴿**وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾ بيان أن الله تعالى أودع علماً في الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي أن يوكل علمه إليه. ولكن لا تفقهون تسبيحهم، أي لا تعلمون تسبيح ما عدا من يسبح بلغاتكم وألسنتكم، إنه كان حليماً غفوراً[٣].

المطلب الرابع: حماية النبي عليه الصلاة والسلام من الأذى عند قراءة القرآن.

قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا * وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا * انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا**﴾. [سورة الإسراء: ٤٥-٤٨].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٢٩).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٣١).

(٣) انظر: معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ١٣٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً: المناسبة

- قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ...**﴾

بعد أن تكلم الله تعالى في المسائل الإلهية، وجادل المشركين بضرب الأمثال لهم، تكلم في هذه الآية فيما يتعلق بتقرير النبوة، والنعي عليهم بعدم فهمهم للقرآن ونفورهم منه وهزئهم به، وإيذائهم النبي -ﷺ-، واتهامهم له بأنه كاهن أو ساحر أو مجنون أو شاعر(١).

ثانياً: أسباب النزول

١- في نزول قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ...**﴾ هناك روايات:

أ- روى ابن عباس: أن أبا سفيان والنضر بن الحرث وأبا جهل وغيرهم كانوا يجالسون النبي -ﷺ- ويستمعون إلى حديثه، فقال النضر يوماً: ما أدري ما يقول محمد غير أني أرى شفتيه تتحرك بشيء. وقال أبو سفيان: إني لأرى بعض ما يقوله حقاً، وقال أبو جهل: هو مجنون. وقال أبو لهب هو كاهن. وقال حويطب بن عبد العزى(٢) هو شاعر، فنزلت هذه الآية(٣).

ب- عن ابن عباس نزلت في امرأة أبي لهب، دخلت منزل أبي بكر وبيدها فهر(٤) والرسول ﷺ عنده، فقالت: هجاني صاحبك، قال: ما هو بشاعر، قالت: قال في جيدها حبل من مسد، وما يدريه ما في جيدي؟ فقال لأبي بكر: «سلها هل ترى غيرك فإن ملكاً لم يزل يسترني عنها» فسألها فقالت: أتهزأ بي ما أرى غيرك؟ فانصرفت ولم تر الرسول ﷺ (٥).

---

(١) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري (٤/ ٣٥٤)، فتح القدير، للشوكاني، (٣/ ٢٧٥)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ٨٩).

(٢) **حويطب بن عبد العزى**: بن أبي قيس ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري يكنى أبا محمد، وقيل: أبو الأصبغ وهو من مسلمة الفتح، ومن المؤلفة قلوبهم، وشهد حنينا مع النبي ﷺ فأعطاه النبي ﷺ مائة من الإبل، يجتمع هو وسهيل بن عمرو في عبد ود. وهو أحد النفر الذين أمرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بتجديد أنصاب الحرم، وممن دفن عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، ومات حويطب بالمدينة آخر خلافة معاوية. أسد الغابة (٢/ ٩٨).

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري (٤/ ٣٥٤).

(٤) فهر: الفهر، بالكسر: الحجر مطلقا. وقيل: قدر ما يدق به الجوز ونحوه أو قدر ما يملأ الكف. قال الفراء: يذكر ويؤنث، وقال الليث: عامة العرب تؤنث الفهر وتصغيرها فهيرة. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٣/ ٣٥٣)، لسان العرب، لابن منظور (٦٦/٥).

(٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (٥/ ٢٩٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ج- قال ابن حيان: "وقيل: نزلت في قوم من بني عبد الدار كانوا يؤذونه في الليل إذا صلى وجهر بالقراءة، فحال الله بينهم وبين أذاه"[١].

د- روى الحاكم في المستدرك عن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنها-، قالت: لما نزلت ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾ [سورة المسد: ١] أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول: مذمما أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا، والنبي -ﷺ- جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله، قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك. فقال رسول الله -ﷺ-: **(إنها لن تراني)** وقرأ قرآناً فاعتصم به كما قال: وقرأ ﴿ **وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا**﴾ [سورة الإسراء: ٤٥] فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله -ﷺ- فقالت: يا أبا بكر، إني أخبرت أن صاحبك هجاني. فقال: لا ورب هذا البيت ما هجاك. فولت وهي تقول: قد علمت قريش أني بنت سيدها[٢].

والذي يرجّحه الباحثُ هو أنها نزلت في أم جميل بنت حرب كما في رواية الحاكم التي صححها في مستدركه.

٢- في سبب نزول قوله تعالى: ﴿**نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَسْتَمِعُونَ بِهِ**﴾

أمر رسول الله -ﷺ-عليّا -رضي الله عنه- أن يتخذ طعاماً ويدعو إليه أشراف قريش من المشركين، ففعل ذلك، ودخل عليهم رسول الله -ﷺ- فقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى التوحيد، وكانوا يستمعون ويقولون فيما بينهم: هو ساحر، هو مسحور، فنزلت هذه الآية: ﴿**نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَسْتَمِعُونَ بِهِ**﴾[٣].

٣- قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً**﴾

دخل ملأ قريش على أبي طالب يزورونه، فدخل رسول الله -ﷺ- فقرأ ومر بالتوحيد، ثم قال: **(يا معشر قريش قولوا لا إله إلا الله تملكون بها العرب وتدين لكم العجم)** فولوا ونفروا فنزلت هذه الآية[٤].

---

(١) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٧/ ٥٥).

(٢) المستدرك على الصحيحين: ك(التفسير)، ب(من تفسير سورة بني إسرائيل)، ح(٣٣٧٦)،(٢/ ٣٩٣). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي (ص: ٦٣٦)،

(٤) انظر: تفسير مقاتل، لمقاتل (٢/ ٥٣٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: المعنى اللغوي

١- ﴿**نُفُورًا**﴾ **النفر**: التفرق، وجمع نافر، والغلبة. يقال: نفر ينفر نفوراً ونفاراً إذا فر وذهب، قال أبو عبيد: "هو من (نفار) الشيء من الشيء وهو تجافيه عنه وتباعده". والمعنى: إذا سمعوا ذكر الله دون ذكر آلهتهم نفروا عن المجلس، هربوا نفوراً، أو نفروا نفوراً[١].

٢- ﴿**أَكِنَّةً**﴾

جمع كِنَان. مثل غِطاء وأغطية. أي في أغطية أي ليست تعي ما تقول، يقال: كنت الشيء في كنه: إذا جعلته فيه، وأكننته أخفيته، : أي وقد جعلنا على قلوبهم أغطية كراهة أن يفقهوا القرآن، أو لئلا يفقهوه[٢].

٣- ﴿**وَقْرًا**﴾

الوَقْرُ: الثِّقَلُ في الأُذن، من قول الله -ﷻ-: ﴿**وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ**﴾ [سورة فصلت: الآية ٥]، ويقال منه: قد وُقِرَتْ أُذنُه فهي موقورة، ويقال: اللهم قِرْ أُذُنَه، ويقال أيضاً: قد وَقِرَت أُذنُه تَوْقَرُ وَقْرًا[٣].

رابعاً: الجانب البلاغي

- في قوله تعالى: ﴿**نَحْنُ أَعْلَمُ...**﴾

أفعل التفضيل ليس على بابه؛ لأنه لَا مفاضلة بين علم الله تعالى وعلم أحد من خلقه، وإنما المراد به أقصى العلم الذي ليس فوقه علم، **(بِمَا يسْتَمِعونَ بِهِ)** " ما " هنا دالة على الحال، (به) الضمير عائد على لفظ " ما "، ويكون المعنى أعلم بالحال التي يكونون متلبسين بها عند سماعهم هذا القرآن الكريم[٤].

خامساً: التفسير والبيان

وإذا قرأت يا محمد القرآن كله أو أي آية منه جعلنا بينك وبين هؤلاء المشركين الذين لا يعنون بالآخرة حجاباً حاجزاً وستراً ساتراً بحيث لا يبصرون ببصائرهم نور القرآن وهدايته وجعلنا على قلوبهم أكنة

---

(١) انظر: مختار الصحاح، للرازي (ص: ٣١٦)، لسان العرب، لابن منظور (٥/ ٢٢٤)، القاموس المحيط، للفيروزآبادي (ص: ٤٨٥).

(٢) انظر: غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٢٥٥)، غريب القرآن، للسجستاني (ص: ٥٧).

(٣) انظر: إصلاح المنطق، لابن السكيت (ص: ١١)، اللباب في قواعد اللغة، للسراج (ص: ٢٣٢).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣٥٤)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ٩٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأغطية تحول دون تفهم معاني القرآن وتدبر آياته وأمثاله وجعلنا في آذانهم صمما حتى لا يسمعوا سماع قبول وتدبر.

وهذا تمثيل وتصوير لموقفهم من القرآن وصاحبه وذلك أن حالهم وما نشأوا فيه وبيئتهم وحبهم للرياسة الكاذبة، وتغلغل الحسد في قلوبهم، كل ذلك كان بمثابة غطاء فحين ينفى القرآن عنهم حواس السمع والبصر والفؤاد إنما يقصد الحواس الروحية حواس البصيرة القلبية، وعند ذلك يفهم السر في إعراضهم وكفرهم إذ الحواس معطلة وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده جمحوا ونفروا نفورا ناشئا من أن عقلهم قاصر عن إدراك غير المحسوس المشاهد، وعقولهم غير مستعدة لإدراك السر الإلهى الأعظم مجردا عن المادة.

نحن أعلم يا محمد بما يستمعون به، وبهم حين يستمعون إليك، وسنجازيهم على استهزائهم وكفرهم وقت سماع القرآن إن ربك عليم بما في الصدور. وربك أعلم بما يتناجون به في خلواتهم، والشيطان معهم إذ يقول هؤلاء الظالمون الذين ظلموا أنفسهم وغيرهم، إن تتبعون إلا رجلا قد سحر فاختلط عقله، وزال اعتداله وطاش حكمه.

انظر يا من يتأتى منك النظر كيف ضربوا لك يا محمد الأمثال؟ فقالوا كاهن، ساحر، وشاعر، ومجنون، فهم قد ضلوا في جميع ذلك عن سواء السبيل فلا يستطيعون طريقا إلى الهدى والحق[1].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- حرص النبي ﷺ على تبليغ القرآن

لقد كان هم النبي -ﷺ- هو الدعوة إلى الله وهذا الشيء الذي يهيمن على مشاعره، ويبذل كل الطاقة في محاولة الوصول إلى قلوب الناس، ولم يكن يفكر في أمر حماية النفس وسلامتها من التعرض للضرر؛ لأنه كان يعتبره شيئا ثانويًا لا يأخذ له الرسول -ﷺ- أي اعتبار إذا تعارض مع الإقدام على تبليغ الدعوة.

٢- حماية النبي ﷺ من الأذى

حمى الله -ﷻ- نبيَّه محمداً -ﷺ- من الأذى والمكر خلال تبليغه الدعوة إلى الله، ولم يستطيعوا أن ينالوا منه ولا من دعوته حتى بلغت دعوتُه مشارقَ الأرض ومغاربَها، حيث تعددت ألوان أذاهم ووصل ذلك الأذى لحياته الشخصية، ولكن الله حماه وأنقذه في مواطن كثيرة حتى كتب النجاح لدعوته.

(١) انظر: التفسير الواضح، لحجازي (٢/ ٣٧٥-٣٧٩)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ٨٢ وما بعدها).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- إثبات علو علم الله تعالى

من الصفات التي يجب أن نثبتها لله -ﷻ- صفة العلم، وقد دل على ذلك الآيات والأحاديث، وكذلك أجمع الصحابة على إثباتها، والعقل شاهد على اتصافه سبحانه بهذه الصفة، فالله يعلم علماً ليس فوقه علم، في الحال التي يكونون عليها إنهم حين يستمعون للرسول تكون قلوبهم مصروفة عنك، إذ يقول أولئك الظالمون ﴿**إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا**﴾ يحتاج لأن يطبب من الخبال الذي أوجد السحر في نفسه[١].

٤- إثبات تأثُّر الكفار بالقرآن

لقد نزل القرآن الكريم كتابَ هداية للناس جميعاً، ونزل بلسانٍ عربي مبين، معجز في لفظه وبلاغته، وكان العرب يتأثرون بالكلام المعجز البليغ، فكيف إذا كان هذا الكلام هو كلام الله، فلقد تأثر كفار قريش بالقرآن الكريم.

٥- **ضرب الكفار للأمثال:** في قوله تعالى: ﴿**انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ**﴾ أي انظر يا محمد، كيف ضربوا لك الأمثال، الأشباه، فقالوا شاعر وساحر وكاهن ومجنون، فضلوا، فحاروا وحادوا، فلا يستطيعون سبيلاً أي: وصولاً إلى طريق الحق[٢]،إنما أنت رسول، فضلوا ولم يهتدوا، وحاروا فلم يجدوا طريقاً يسلكونه؛ لا إلى الهدى، ولا إلى تعليل موقفهم المريب [٣].

٦- في قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ**﴾ بيان أن الله تعالى جعل قلوب الكافرين في الأكنة لئلا يفقهوه وجعل في آذانهم وقراً ومعلوم أنهم كانوا عقلاء سامعين فاهمين، فعلمنا أن المراد منعهم عن الإيمان ومنعهم عن سماع القرآن بحيث لا يقفون على أسراره ولا يفهمون دقائقه وحقائقه[٤].

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٣٩٥).

(٢) معالم التنزيل، للبغوي في تفسير القرآن، للبغوي (٣/ ١٣٧)، وانظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، (٥٢٧/٢)، لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (١٣٢/٣).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٣٢).

(٤) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣٥٠)، وانظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (١٧/ ٤٥٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧- في قوله تعالى: ﴿**وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا**﴾ بيان لنفور المشركين من كلمة التوحيد، التي تهدد وضعهم الاجتماعي، القائم على أوهام الوثنية وتقاليد الجاهلية، فكبراء قريش أذكى من أن يخفى عليهم ما في عقائدهم ضلال وتهافت، وما في الإسلام من تماسك(١).

٨- لقد كانت الفطرة تدفع المشركين إلى الاستماع والتأثر، والكبرياء يدفعهم عن التسليم والإذعان فيطلقون التهم على الرسول-ﷺ- يعتذرون بها عن المكابرة والعناد: ﴿**إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ: إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً**﴾(٢).

٩- ﴿**وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا**﴾ الآية تصور حال الفارين عند وقت قراءته ومروره بتوحيد الله، والمعنى إذا جاءت مواضع التوحيد فر الكفار إنكارا له واستبشاعا لرفض آلهتهم واطراحها(٣).

١١- ﴿ **وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ**﴾ أي قلت: لا إله إلا الله وأنت تتلو القرآن. وقال أبو الجوزاء أوس بن عبد الله: ليس شي أطرد للشياطين من القلب من قول لا إله إلا الله(٤).

١٢- ﴿**فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا**﴾ أي حيلة في صد الناس عنك. وقيل: ضلوا عن الحق فلا يجدون سبيلاً، أي إلى الهدى. وقيل: مخرجاً، لتناقض كلامهم في قولهم: مجنون، ساحر، شاعر(٥).

المطلب الخامس: إنكار المشركين للبعث وإثبات الله له.

قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا * يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا**﴾. [الإسراء:٤٩-٥٢].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٣٢).

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٧/ ٥٦)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ١١٨).

(٤)انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٢٧١).

(٥)انظر: المرجع السابق نفس الصفحة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً: المناسبة

قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا...**﴾

بعد أن فرغ الله –سبحانه– من حكاية شبه القوم في النبوات حكى شبهتهم في أمر المعاد، فقال: ﴿**وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا** ﴾ والاستفهام للاستنكار والاستبعاد. وتقرير الشبهة أن الإنسان إذا مات جفت عظامه وتناثرت وتفرقت في جوانب العالم، واختلطت بسائطها بأمثالها من العناصر، فكيف يعقل بعد ذلك اجتماعها بأعيانها، ثم عود الحياة إلى ذلك المجموع؟ فأجاب سبحانه عنهم بأن إعادة بدن الميت إلى حال الحياة أمر ممكن، ولو فرضتم أن بدنه قد صار أبعد شيء من الحياة ومن رطوبة الحي كالحجارة والحديد، فهو كقول القائل: أتطمع في وأنا ابن فلان، فيقول: كن ابن السلطان أو ابن من شئت، فسأطلب منك حقي[1].

ثانياً: أسباب النزول

– قوله تعالى: ﴿**أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا** ﴾ روايتان:

أ– عروة بن الزبير –رضي الله عنه– قال: لما أنزل الله على رسوله –ﷺ– إن الناس يحاسبون بأعمالهم، ومبعوثون يوم القيامة، أنكروا ذلك إنكارا شديدا فعمد أبي بن خلف إلى عظم حائل قد نخر ففته، ثم ذراه في الريح ثم قال: يا محمد، إذا بليت عظامنا إنا لمبعوثون خلقا جديدا؟ فوجد رسول الله –ﷺ–من استقباله إياه بالتكذيب والأذى في وجهه وجدا شديدا، فأنزل الله على رسوله –ﷺ– قل يحييها الذي أنشأها أول مرة[2].

ب– نزل قوله تعالى: ﴿**أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا** ﴾ في أبي بن خلف، وأبي الأشدين اسمه أسيد بن كلدة ابن خلف الجمحي، ومنبه ونبيه ابني الحجاج يقول الله– ﷻ– بَلْ نبعثهم[3].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢٠/ ٣٥٢)، فتح القدير، الشوكاني (٣/ ٢٧٨)، التفسير المنير، الزحيلي (١٥/ ٩٣).
(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (٧٦/٧)، تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (٣٢٠٣/١٠).
(٣) مقاتل بن سليمان (٤٤٩/٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: المعنى اللغوي

١- ﴿وَرُفَاتًا﴾

الرفات: ما تكسر وبلي من كل شيء كالفتات والحطام والرضاض، قاله أبو عبيد والكسائي[١] وغيره:" تقول منه: رفت الشيء رفتا، أي: حطم فهو مرفوت". وقيل الرفات: الغبار، وقيل: التراب، والرفات من الأشياء: ما مَرَّ عليه الزمانُ حتى بلغ غايةَ البِلَى، وقربه مِنْ حالة التُّرَابَ[٢].

٢- ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾

النغض: مصدر نغض ينغض نغضاً، وأنغض إنغاضاً، وهو كثرة الحركة والاضطراب ومن ذلك: نغضت ثنيته، إذا تركت. والنغض: غرضوف الكتف. والنغضان: تنغض الرأس والأسنان في ارتجاف، نغضت أي رجفت، والمعنى: يحركونها كما يحرك اليائسُ من الشيء المستبعدُ له رأسَه[٣].

٣- ﴿ **يَوْمَ يَدْعُوكُمْ** ﴾ أي يدعوكم وأنتم عظام ورفات، يناديكم من القبور على لسان إسرافيل، فتحيون وتمثلون للحساب[٤].

٤- ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ أي تجيبون الداعي، هو تصوير لسرعة الإحياء والإحضار وسرعة الانبعاث والحضور للحساب بحيث يحصل ذلك كحصول استماع الدعوة واستجابتها[٥].

رابعاً: الجانب البلاغي

١- في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ كُونُوا حِجَارَةً...** ﴾ نوعان من فنون البلاغة[٦]:

---

(١) **الكسائي:** علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي: إمام في اللغة والنحو والقراءة. من أهل الكوفة. ولد في إحدى قراها. وتعلم بها. وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالريّ، عن سبعين عاماً. انظر: الأعلام، للزركلي (٤/ ٢٨٣) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (١١/ ٤٠٢).

(٢) انظر: فتح القدير، الشوكاني (٣/ ٢٧٨)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي (٣/ ٤٧٨).

(٣) انظر: إيضاح شواهد الإيضاح، لأبي الحسن القيسي (٢/ ٧٦٥)، العين، للفراهيدي (٤/ ٣٦٧)، مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٤٥٤).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ١٢٩)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ٩٣).

(٥) المرجعان السابقان.

(٦) إعراب القرآن وبيانه، للدرويش (٥/ ٤٥٥-٤٥٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ- أولهما فن يسمى التمكين وبعضهم يسميه الإرصاد وحقيقته أن يمهد المتكلم لقافيته أو سجعة فقرته تمهيداً تأتي القافية فيه متمكنة في مكانها مستقرة في قرارها غير نافرة ولا قلقة فإن السامع يعلم انه أراد حجارة أو حديداً بجاذب من قلبه ووحي من هاجسه دون أن يسمع بقية الآية.

ب- الثاني هو التخيير وهو أن يؤتى بقطعة من الكلام أو بيت من الشعر جملة وقد عطف بعضها على بعض بأداة التخيير وان يتضمن صحة التقسيم فيستوعب كلامه أقسام المعنى الذي أخذ المتكلم فيه فانظر إلى التخيير في هاتين الآيتين وصحة التقسيم وحسن الترتيب في الانتقال، على طريق البلاغة، من الأدنى إلى الأعلى حتى بلغ سبحانه النهاية في أوجز إشارة وأعذب عبارة حيث قال بعد الانتقال من الحجارة: ﴿**أَوْ حَدِيدًا**﴾ فانتقل من الحجارة إلى ما هو أصلب منها وأقوى ثم قال بعد ذلك: ﴿**أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُم**﴾ غير حاصر لهم في صنف من الأصناف.

٢- في قوله تعالى: ﴿ **أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا**﴾ كرر الاستفهام الدال على الاستنكار والاستبعاد تأكيداً وتقريراً، والعامل في إذا هو ما دل عليه لمبعوثون، لا هو نفسه، لأن ما بعد إن والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها، والتقدير: أإذا كنا عظاماً ورفاتاً نبعث أإنا لمبعوثون، وانتصاب خلقاً على المصدرية من غير لفظه، أو على الحال، أي: مخلوقين، وجديدا صفة له[١].

٣- في قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَدْعُوكُمْ** ﴾ مجاز في الإحياء والتسخير لحضور الحساب[٢].

٤- قوله تعالى: ﴿**بِحَمْدِهِ**﴾ حال منهم، أي حامدين الله تعالى على كمال قدرته، أو منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه[٣].

خامساً: التفسير والبيان

نظر المشركون بعقلهم القاصر، وقلبهم الأعمى إلى نظرية البعث وإعادة الحياة للحساب والثواب والعقاب فقالوا: إذا مات الإنسان جفت عظامه وتناثرت وتفرقت أجزاؤه في جوانب العالم، واختلطت عناصر الجسم بغيرها، وهب أن إنسانا ابتلعه حوت في البحر وتحول جسمه إلى غذاء له مثلا فكيف يعقل بعد ذلك كله اجتماع أجزاء الجسم ثم عودة الحياة إليها؟!! وقالوا: أإذا كنا عظاما نخرة ورفاتاً مفتتة

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٧٨)، فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب القِنّوجي (٧/ ٤٠٣).
(٢) انظر: الكشاف، للزمخشري (٢/ ٦٧٢)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ١٢٩).
(٣) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٧/ ٥٧)، زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٣٩٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نبعث؟! ونكون خلقا جديدا له حس وحركة وفيه حياة وإدراك؟!! إن هذا لشيء عجيب! فيرد الله عليهم إن إعادة الحياة إلى الجسم أمر ممكن، بل هو أهون على الله من خلقه أول مرة- وهو أهون بالنسبة إلى إدراكنا وحكمنا وإلا فخلق الجبال والناس جميعا عند الله كخلق ذرة واحدة- ولو فرضتم أيها المشركون أن بدن الميت قد صار أبعد شيء عن الحياة بأن صار حجراً أو حديداً أو خلقاً آخر مما يكبر في صدوركم وعقولكم كالسماء والأرض فالله قادر على إحيائه وبعثه من جديد.

فسيقولون: من يعيدنا؟ قل لهم: الذي فطركم وخلقكم أول مرة قادر على إعادتكم وإحيائكم للبعث والجزاء فسينغضون إليك رءوسهم، ويحركونها تعجباً، ويقولون: متى هذا؟ وفي أى وقت يكون؟ قل لهم: عسى أن يكون قريباً فكل آت قريب، ﴿**إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً**﴾ [سورة المعارج: الآيتان ٦ و ٧]. [(١)].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- الرد على إنكار المشركين للبعث:

أنكر المشركون والدهريون[(٢)] قضيةَ البعث منذ أول البعثة، وتعجبوا كيف سيعود الموتى ويحيون من قبورهم ويحاسبهم الله على أعمالهم، وكيف سيقوم الناسُ من قبورهم، فكانوا يعتقدون أن الحياةَ فقط هي الحياة الدنيا، ولا حياةَ آخرة.

٢- اهتمام القرآن بتقرير العقيدة:

إذا تأملنا القرآن الكريم، وسيرة الرسول-ﷺ- في الدعوة، نصل إلى حقيقة واضحة كل الوضوح. وهي: أن غالب آيات القرآن الكريم جاءت في تقرير عقيدة التوحيد، توحيد الإلوهية والربوبية والأسماء والصفات، والدعوة إلى إخلاص العبادة والدين لله وحده لا شريك له، وتثبيت أصول الاعتقاد (الإيمان والإسلام).والدعوة إلى العقيدة تأصيلاً وتصحيحاً شملت الجزء الأكبر من جهد الرسول-ﷺ- ووقته في عهد النبوة.

---

(١) انظر: التفسير الواضح، لحجازي (٢/ ٣٧٥-٣٧٩)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ٨٢ وما بعدها).

(٢) **الدهريون:** هم من يقولون لا إله وإن هذه الأشياء وُجدت بلا خالق وإن المادة لا فناءَ لها، وهم يغيرون الدهر أي الزمن هو السبب الأول في الوجود وهم قريبون من الشيوعية. انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢٦٩/٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- مناقشة قضية البعث:

يقول سيد قطب: "قضية البعث مثار جدل طويل بين الرسول- ﷺ- والمشركين، واشتمل القرآن الكريم على الكثير من هذا الجدل. مع بساطة هذه القضية ووضوحها عند من يتصور طبيعة الحياة والموت، وطبيعة البعث والحشر. ولقد عرضها القرآن الكريم في هذا الضوء مرات. ولكن القوم لم يكونوا يتصورونها بهذا الوضوح وبتلك البساطة فكان يصعب عليهم تصور البعث بعد البلى والفناء المسلط على الأجسام: ﴿**وَقَالُوا: أَإِذا كُنَّا عِظاماً وَرُفاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً**﴾ [سورة الإسراء: آية ٤٩].

ذلك أنهم لم يكونوا يتدبرون أنهم لم يكونوا أحياء أصلاً ثم كانوا، وأن النشأة الآخرة ليست أعسر من النشأة الأولى. وأنه لا شيء أما القدرة الإلهية أعسر من شيء، وأداة الخلق واحدة في كل شيء: ﴿**كُنْ فَيَكُونُ**﴾ فيستوي إذن أن يكون الشيء سهلاً وأن يكون صعباً في نظر الناس، متى توجهت الإرادة الإلهية إليه"[(١)].

٤- قدرة الله على أن يعيد بعث الإنسان من جديد، كما بدأ أول خلقٍ يعيده، لم يتصور المشركون أن هذا سهلٌ ويسير، كانوا ينكرون قضية البعث بالكلية، كانوا يفكرون بعقولهم القاصرة، ولكن قضايا العقيدة لا يمكن أن نتصورها بالعقل، بل هي اعتقاد وتسليم جازم وإيمان بالله.

٤- قوله تعالى: ﴿**قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا**﴾ فيه بيان للتحدي فالمشركون لا يملكون أن يكونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر ولكنه. وفيه كذلك ظل التوبيخ والتقريع، فالحجارة والحديد جماد لا يحس ولا يتأثر، وفي هذا إيماء من بعيد إلى ما في تصورهم من جمود وتحجر! ﴿**فَسَيَقُولُونَ: مَنْ يُعِيدُنَا**﴾، أي: من يردنا إلى الحياة إن كنا رفاتاً وعظاماً، أو خلقاً آخر أشد إيغالاً في الموت والخمود؟ ﴿**قُلِ: الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾. وهو رد يرجع المشكلة إلى تصور بسيط واضح مريح. فالذي أنشأهم إنشاء قادر على أن يردهم أحياء[(٢)].

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٣٣).

(٢) في ظلال القرآن، ، لسيد قطب (٤/ ٢٢٣٣)، وانظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٢/ ٢٦١)، والبحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٧/ ٦٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- الخلق في قوله تعالى: ﴿**أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ**﴾ قيل السماء والأرض والجبال. وقال مجاهد وعكرمة وأكثر المفسرين: إنه الموت، فإنه ليس في نفس ابن آدم شيء أكبر من الموت، أي: ولو كنتم الموت بعينه لأميتكم ولأبعثكم[١].

٦- إزالة الشبهات من عقول القوم وبيان كمال قدرة الله على جمع جزئيات الإنسان وإعادة خلقه، ومتى سلّمنا بهذا زالت هذه الشبهات التي يقول بها المشركون.

المطلب السادس: الحث على القول الحسن والتحذير من نزغ الشيطان.

قال تعالى: ﴿**قُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا * رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا * وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**﴾. [سورة الإسراء: ٥٣-٥٥].

أولاً: المناسبة

١- ﴿ **وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا...**﴾.

بعد أن أقام سبحانه الحجج على إبطال الشرك، فقال: ﴿**قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا**﴾ [الإسراء: ٤٢]، وذكر الأدلة على صحة البعث والجزاء فقال: ﴿**قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ أمر رسوله أن يأمر عباده المؤمنين بأن يحاجوا مخالفيهم، ويجادلوهم باللين، ولا يغلظوا لهم فى القول، ولا يشتموهم ولا يسبوهم، فإن الكلمة الطيبة تجذب النفوس، وتميل بها إلى الاقتناع، كما يعلم ذلك الذين تولوا النصح والإرشاد، من الوعاظ والساسة والزعماء فى كل أمة[٢].

٢- ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ ...**﴾

لما كان قد فهم من هذا السياق تفضيل بعض الأشياء على بعض حتى تصير قابلة الروح الحياة بدءاً وإعادة، بعد أن فهم من أول السورة وآخر التي قبلها اختصاص بعض الأنبياء بفضائل من روح العلم

---

(١) معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ١٣٨).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣٥٥)، تفسير المراغي، للمراغي (١٥/ ٥٨)، التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٥/ ١٣١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والحكمة لم يحزها غيره، صرح بهذا هنا فقال تعالى عطفاً على ما أرشد إليه سياق الإخبار بالأعلمية، ملتفتاً إلى مقام العظمة الداعي إليه الحال، وهو الوصف بالأعلمية[١].

ثانياً: أسباب النزول

١- في نزول قوله تعالى: ﴿ **وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا...**﴾ روايات:

أ- الآية نزلت في عمر بن الخطاب، وذلك أن رجلاً من العرب شتمه، وسبه عمر وهم بقتله، فكادت تثير فتنة فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ **وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا...**﴾[٢].

ب- وقيل: نزلت لما قال المسلمون: ائذن لنا يا رسول الله في قتالهم فقد طال إيذاؤهم إيانا، فقال:" لم أومر بعد بالقتال" فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا...**﴾ ، قاله الكلبي[٣].

ج- يقال: نزلت الآية في شأن أبي بكر سبّه رجل عند رسول الله -ﷺ-، فأمر الله بالكف عنه[٤].

د- قال ابن عباس-رضي الله عنهما-: «كان أصحاب رسول الله -ﷺ - يؤذيهم المشركون بمكة بالقول، فشكوا إلى رسول الله -ﷺ-، فنزل ﴿**وَقُلْ لِعِبادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾، أي يجيبوا بجواب حسن، برد السلام بلا فحش»[٥].

ويرى الباحثُ أن الروايات متقاربة في المعنى وسبب النزول، حيث إن قول ابن عباس يجمع بين الروايات في سبب نزولها، وهو الراجح والله أعلم.

ثالثاً: المعنى اللغوي

١- ﴿ **يَنْزَغُ**﴾

نزَغ بين القوم: أفْسَد بينهم وحمل بعضَهم على بعض، سعى بينهم بالوقيعة "نزغ بين صديقين- زوجين، ينزغ بَينهم: يفْسد ويهيج. والمعنى: ينزغ أي: بالفساد وإلقاء العداوة والإغراء. قال اليزيدي[٦]:"

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣٥٦)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١١/ ٤٤٣).

(٢) انظر: أسباب النزول، للواحدي (ص: ٢٨٨).

(٣) انظر: التفسير الوسيط، للواحدي (٣/ ١١٢)، معالم التنزيل، للبغوي في تفسير القرآن، للبغوي (٣/ ١٣٨)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٢٧٧).

(٤) بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣١٦).

(٥) انظر: معالم التنزيل، للبغوي في تفسير القرآن، للبغوي (٣/ ١٣٨)، بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣١٥).

(٦) **اليزيدي**: شيخ القراء، أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، البصري، النحوي، وعرف: باليزيدي؛ لاتصاله بالأمير يزيد بن منصور؛ خال المهدي، يؤدب ولده. وهو من أهل البصرة، سكن بغداد، وكان من أهل الأدب والعلم =

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقال: نزغ بيننا، أي: أفسد". وقال غيره: النزغ: الإغراء إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً أي: متظاهراً بالعداوة مكاشفاً بها[1].

٢- ﴿زَبُورًا﴾

الزَّبْرُ: الكتابة. وزبر الكتاب يزْبُرُه ويزْبِرُه زَبْراً: كتبه، وزَبّرت الكتاب إذا أتقنت كتابته. والزبر: الكتاب، والجمع زبور، والزبور: الكتاب المزبور، والجمع زبر[2].

رابعاً: الجانب البلاغي

١- قوله تعالى: ﴿ **وَقُلْ**﴾ وقل خطاب للرسول ﷺ، وهو أمر، ومعمول القول محذوف تقديره قولوا التي هي أحسن وانجزم يقولوا على أنه جواب للأمر الذي هو قل، قاله الأخفش[3].[4].

٢- وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ**﴾ عَلى بَعْضٍ إشارة إلى تفضيل رسول الله -ﷺ- وقوله **وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً** دلالة على وجه تفضيله، وهو أنه خاتم الأنبياء، وأن أمته خير الأمم، لأنّ ذلك مكتوب في زبور داود[5].

خامساً: التفسير والبيان

يأمر الله تعالى رسوله بأن يبلّغ عباد الله المؤمنين: أن يقولوا في مخاطبات المخالفين من المشركين وغيرهم أثناء حوارهم الكلام الأحسن. والتي هي أحسن: هي المحاورة الحسنة، والكلمة الطيبة: وهي التي لا تختلط بالشتم والسب والأذى، كما جاء في آيات أخرى، مثل: ﴿**ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ**

=بالقرآن، واللغة، شاعرا مجيداً. انظر: سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي (٩/ ٥٦٢)، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (٤/ ٦٥١).

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٨٠)، معاني القرآن، للنحاس (٤/ ١٦٥)، غريب القرآن، للسجستاني (ص: ٥١٢).

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٣١٥)، تاج العروس، للزبيدي (١١/ ٣٩٩)، المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (٩/ ٣٣).

(٣) **الأخفش**: هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعيّ، مولى مجاشع، إمام النحو، أخذ النحو عن سيبويه- وكان أكبر منه- وصحب الخليل أولاً، وكان معلّماً لولد الكسائيّ. انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة (٢/ ٣٦)، سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي (١٠/ ٢٠٦).

(٤) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٧/ ٦٦)، الجدول في إعراب القرآن، لمحمود صافي (١٥/ ٧٤).

(٥) الكشاف، للزمخشري (٢/ ٦٧٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة العنكبوت: آية ٤٦] ومثل: **﴿وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾**[سورة النحل: آية ١٢٥] والآية هي ما بين العباد المؤمنين وكفار مكة وأمثالهم.

فيكون المطلوب إلانة القول، وحسن الأدب، وخفض الجناح لأن الشيطان يؤجج نيران النزاع، ويثير الفتنة والشر، ويوقع الخصام، ويغري بالمقاتلة، فلا يتحقق المطلوب، وتخيب المساعي، وتقع العداوة، وهو المراد بنزغ الشيطان للإنسان، وسبب ذلك: أن الشيطان عدو ظاهر العداوة للإنسان، منذ القديم. ومعنى النزغ: حركة الشيطان بسرعة، ليوجب فساداً.

وعلة الأمر باتباع الطريق الأحسن والمحاورة الحسنة في منهاج الدعوة الذي رسمه الله: هو أن ربكم أيها الناس أعلم بمن يستحق منكم الهداية والتوفيق للإيمان ومن لا يستحق، فإن شاء رحمكم فأنقذكم من الضلالة، ووفقكم للطاعة والإنابة إليه، وإن شاء عذبكم، فلا يهديكم للإيمان، فتموتوا على الشرك. فكأن الله -ﷻ- أمر المؤمنين ألا يخاشنوا الكفار في الدين، ثم قال للكفار: إنه أعلم بهم، ورجّاهم وخوّفهم. ومعنى: **﴿إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾** إن يرد الله يرحمكم بالتوبة من الكفر. وهذه الآية تقوّي أن الآية التي قبلها هي ما بين العباد المؤمنين وكفار مكة.

ثم قال الله لنبيه: فإنما عليك البلاغ، ولست بوكيل على إيمانهم، ولا بد، وإنك غير موكل بأمرهم، وليس لك السلطة في حسابهم على أعمالهم، وإنما عليك الإنذار والتبشير فقط، وترك النتائج لله تعالى، فتلطف في دعوتهم، ولا تغلظ عليهم، ودارهم.

وقال الله أيضا لنبيه: وربك أعلم بجميع من في السماوات والأرض، وهو الذي فضّل بعض الأنبياء على بعض، بحسب علمه فيهم، والتفضيل بحسب المزايا والكتب والخصائص، كاتخاذ إبراهيم -عليه السلام-خليلاً، وموسى -عليه السلام- كليما، ومحمد -ﷺ- خاتم النبيين، وآتى الله داود -عليه السلام-كتاب الزبور. وهذا بالمعنى المراد تعريض بقريش، أي لا تنكروا أمر محمد، وأنه أوتي قرآنا، فقد فضّل النبيون، وكان لكل نبي فضيلة، فموسى أعطي التكليم، وعيسى: الإحياء، وإبراهيم: الخلّة (خليل الله) ، ومحمد القرآن وختم النبوات، وداود: أوتي الزبور، فالله أعلم حيث يجعل رسالاته. ونظير الآية: **﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ﴾** [سورة البقرة: آية ٢٥٣].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله تعالى: ﴿**وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً**﴾ تنبيه على فضل الزبور وشرفه. وفي الآية إشارة إلى تفضيل رسول الله -ﷺ-على جميع الأنبياء والمرسلين بالقرآن الكريم، وبالإسراء والمعراج، ثم بعده إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عليهم -عليهم السلام-.

ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء، وأن الخمسة أولي العزم منهم أفضلهم: وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد -عليهم الصلاة والسلام-. ومزية هؤلاء الرسل: أنهم أصحاب رسالات كبري ومزايا عظيمة. وقوله سبحانه: ﴿**وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ**﴾ لا يقتضي حصر علم الله بهذا، وإنما يعلم الله بذلك وبغيره، وتكون الباء في (بمن) متعلقة بفعل تقديره: علم بمن في السماوات، لأنه لو علّق ب (أعلم) لاقتضى أنه ليس بأعلم بغير ذلك. ونظير هذا قولك: زيد أعلم بالنحو، لا يدل هذا على أنه ليس أعلم بغير النحو من العلوم[1].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

احتوى هذا المقطع من سورة الإسراء على العديد من المقاصد والأهداف، نوردها فيما يأتي:

١- الدعوة إلى القول الحسن

الجدال هو أحد الطرق التي تستخدم في الدعوة إلى الله وذلك لإقناع المدعو، وإزالة الشبهة، وإقامة الحجج والبراهين على صحة الدعوة، وإثبات بطلان ما سواها من الدعوات، والجدال لا يكون إلا عند الحاجة؛ كوجود المعارض بالشبهة والصاد بالباطل عن سبيل الله، أما الحكمة والموعظة الحسنة فمشروعيتها قائمة دائمة. قال تعالى: ﴿**وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾. فالكلمة الطيبة دعوة والمسلمون أصحاب رسالة سامية وأصحاب دعوة حق ورحمة للعالمين، لابد أن يسعوا الناس بأخلاقهم الطيبة، وأقوالهم الحسنة، ومعاملاتهم اللطيفة؛ لأن الداعية الناجح هو الذي يكون متصفاً بالحلم والعلم واللين واللطف، قال تعالى: ﴿**فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا**﴾[سورة طه: من الآية ٤٤]؛ لأن الكلمة الطيبة لها جاذبية وسحر يؤثران في القلوب، فإذا انضم إلى ذلك الفكر الصحيح، والعقل السديد، والرأي الحكيم، كان في ذلك الإقناع للمخاطب وانضم لقافلة الإسلام[2].

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (٢/ ١٣٥٨-١٣٦٠)، التفسير الواضح، لحجازي (٢/ ٣٧٨).

(٢) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (٢/ ١٣٥٧-١٣٥٨)، التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٥/ ١٣٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله تعالى: ﴿**يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ يشمل العبارة والفعل الذي هو أحسن، فالقول والفعل لابد أن يكون حسناً؛ لأنهم مُؤتمرون بك مُصدِّقون لكَ. والتي ﴿**هِيَ أَحْسَنُ**﴾ ومعنى: الأحسن الأعلى الذي تتشقَّق منه كُل أَحْسَنيات الحياة، والأحسن هو الإيمان بالله بشهادة أن لا إله إلا الله، هذه أحسن الأشياء وأولها، لذلك كان -ﷺ- يقول: **(خَيْرُ ما قُلْتُه أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله)**[1].

لأن من داخلها ينبتُ كل حسن، فهي الأحسن والكبيرة؛ لأنك ما دُمْتَ تؤمن بالله فلن تتلقّى إلا عنه، ولن تخاف إلا منه، ولن ترجوَ إلا هو، وهكذا يحسُن أمرك كلُّه في الدنيا والآخرة[2].

٢- التحذير من نزغ الشيطان: في قوله تعالى:﴿**إِنَّ الشيطان يَنزَغُ بَيْنَهُمْ...**﴾ تحذير من الشيطان ونزعه، وتلاحظ أن نَزْغ الشيطان لا يقتصر على المتخاصمين والمتجادلين حول مبدأ ديني عقدي؛ بل ينزغ بين الإخوة والأهل والأحبة، ألم يَقُل يوسف: ﴿**مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشيطان بَيْنِي وَبَيْنَ إِخوتي**﴾[سورة يوسف: ١٠٠].[3].

٣- رحمة العباد وتعذيبهم وَفق مشيئة الله: في قوله تعالى:﴿**إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ**﴾ إشارة إلى إطلاق المشيئة الإلهية، فالله -ﷻ- إنْ شاء يرحمنا بفضله، وإنْ شاء يُعذِّبنا بعدله؛ لأن الحق سبحانه لو عاملنا بميزان عدله ما نجا منّا أحد، ولو أحصى أحدنا ماله وما عليه لوجد نفسه واقعاً تحت طائلة المسائلة والعقاب، والحق تبارك وتعالى لا يُيئس العُصَاة من فضله، ولا يملي لهم بعدله؛ بل يجعلهم بين هذه وهذه ليكونوا دائماً بين الخوف والرجاء[4].

٤- علم الله بمن في السماوات والأرض: في قوله تعالى:﴿**وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ إثبات المبالغة في العلم، فالله أعلم فما دونه يمكن أنْ يتصفَ بالعلم، فنقول: فلان العالم، ولكن الله أعلم؛ لأن الله تعالى لا يمنع عباده أن تفكر عقولهم وتطمح إلى معرفة شيء من أسرار الكون. فالله -ﷻ- لا يقتصر علمه عليك يا محمد وعلى أمتك، وقد سُبِقت الآية بقوله تعالى: ﴿**رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ...**﴾ ولكن علمه

---

(١) سنن الترمذي: ك(أبواب الدعوات)، ح(٣٥٨٥)، ٥/٥٧٢. حسّنه الألباني.
(٢) انظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٤٠١)، الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٦١٠).
(٣) انظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (٩/١٥).
(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣٥٥)، الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٦١٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سبحانه يسَع السماوات والأرض عِلْماً مُطْلقاً لا يغيب عنه مثقال ذرة، وبمقتضى هذا العلم يُقسِّم الله الأرزاق ويُوزِّع المواهب بين العباد، كُلّ على حسب حاله، وعلى قَدْر ما يُصلحه(١).

٥- تفضيل بعض النبيين على بعض: في قوله تعالى:﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النبيين على بَعْضٍ**﴾ إثبات تفضيل الأنبياء، وهذا لله وحده، فالله -ﷻ- هو الذي يُفضّل بعض النبيين على بعض، وليس لنا نحن أن نُفضّل إلا مَنْ فضَّله الله؛ لأنه سبحانه هو الذي يملك أن يُجازي على حَسْب الفضل، أما نحن فلا نملك أنْ نجازي على قَدْر الفضل(٢).

٦- ذكر الله داود -عليه السلام- في قوله تعالى:﴿**وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**﴾ بالذات لأن داود -عليه السلام- أُوتِي مع الكتاب المُلْك، فكان نبياً ملكاً، فكأن الحق سبحانه يشير إلى أن تفضيل داود لا من حيث أنه مِلك؛ بل من حيث هو نبي صاحب كتاب(٣).

٧- في قوله تعالى:﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ**﴾ بيانٌ أن مهمة الشيطان أن ينزغ بين المؤمنين، ويفرق بينهم ويوغر الصدور، ويبث البغضاء والشحناء، ليضعف المسلمين ويشق عصاهم ويوقعهم في الموبقات والمعاصي، ويبعدهم عن الله وعن منهجه، فكان التحذير المستمر في القرآن الكريم من الشيطان وألاعيبه.

٨- في قوله تعالى:﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا**﴾ بيانٌ أن عداوة الشيطان للإنسان منذ وقت خلق آدم- عليه السلام- وأنه يسوّل للمسلمين أن يغلظوا على الكفار بوهمهم أن ذلك نصر للدين ليوقعهم في الفتنة، فإن أعظم كيد الشيطان أن يوقع المؤمن في الشر وهو يوهمه أنه يعمل خيراً(٤).

٩- في قوله تعالى:﴿ **رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ**﴾ كنّى الله عن الرحمة والعذاب بالاهتداء والضلال، بقرينة مقارنته لقوله: ﴿**رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ**﴾ الذي هو كالمقدمة، ولإظهار أنه لا يسأل عما يفعل؛ لأنه أعلم بما يليق بأحوال مخلوقاته، فلما ناط الرحمة بأسبابها والعذاب بأسبابه، بحكمته وعدله، علم أن معنى مشيئته الرحمة أو التعذيب هو مشيئة إيجاد أسبابهما(٥).

---

(١) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ١٣٣)، الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٦١٩).
(٢) انظر: معالم التنزيل، للبغوي في تفسير القرآن، للبغوي (٣/ ١٣٩)، الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٦٢٠).
(٣) انظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٤/ ١٩٦٥)، الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٦٢١).
(٤) انظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٥/ ١٣٣)، الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٦١٤).
(٥) انظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٥/ ١٣٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠- في قوله تعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا** ﴾ بيانٌ أن مهمة النبي -ﷺ- محصورة في التبليغ والتبشير والإنذار، تبشير من أطاعه بالجنة، وإنذار من عصاه بالنار، وليس أمر المشركين موكولاً إليه لجبرهم على الإسلام، ومنعهم من الكفر[١].

١١- أنزل الله تعالى الزبور على داود -عليه السلام-، والزبور: كتاب ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود، وإنما هو دعاء وتحميد وتمجيد، والقصد من الإشارة إليه في الآية محاجة اليهود، وإعلامهم أنه كما آتينا داود الزبور، فلا تنكروا أن يؤتي محمد -ﷺ- القرآن الكريم[٢].

المطلب السابع: عبدة البشر والأوثان والملائكة.

قال تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا * وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا**﴾. [سورة الإسراء: ٥٦-٥٨].

أولاً: المناسبة

- قوله تعالى: ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ...**﴾

هذه الآيات عود على بدء في تسفيه آراء المشركين الذين كانوا يعبدون الملائكة والجن والمسيح وعزيراً-عليهما السلام-، إذ رد عليهم بأن من تدعونهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة، ويخافون عذابه، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرًا، فادعوني وحدي؛ لأني أنا المالك لنفعكم وضرهم دونهم ثم بين أن قرى الكافرين صائرة إما إلى الفناء والهلاك بعذاب الاستئصال، وإما بعذاب دون ذلك من قتل كبرائها وتسليط

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣٥٦)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٠٢).
(٢) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣١٦)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٠٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسلمين عليهم بالسبي واغتنام الأموال وأخذ الجزية ثم أردف ذلك ببيان أنه ما منعه من إرسال الآيات التي طلب مثلها الأولون[١].

ثانياً: أسباب النزول

- في سبب نزول قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ...**﴾ روايتان:

أ- روى الإمام البخاري عن عبد الله بن مسعود-ﷺ-: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن، فأسلم الجنيون، ولم يعلم بذلك النفر من العرب. قال الله: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ**﴾، يعني: الجنيين الذين يعبدهم هؤلاء، ﴿ **يبتغون إلى ربهم الوسيلة..**﴾ إلى آخر الآية[٢].

ب- قال ابن عباس-رضي الله عنهما-: في عزير والمسيح وأمه-عليهم السلام-، وعنه أيضاً وعن ابن مسعود وابن زيد والحسن-ﷺ-: في عبدة الملائكة، وعن ابن عباس-رضي الله عنهما-: في عبدة الشمس والقمر والكواكب وعزير والمسيح وأمه-عليهم السلام-[٣].

والذي يراه راجحاً هي رواية عبد الله بن مسعود في صحيح البخاري، وذلك لصحة الحديث بها.

ثالثاً: المعنى اللغوي

١- ﴿ **الْوَسِيلَةَ**﴾ الوسيلة والسؤال، والسؤل والطلبة، في معنى واحد. الوسيلة قال عطاء: "أي القربة". قال أبو إسحاق: "الوسيلة والسؤال والطلبة واحد". والتقدير: يبتغون الوسيلة إلى ربهم ينظرون. أيهم أقرب فيتوسلون: والفرق بين هؤلاء وبين من توسل بعبادة المسيح -عليه السلام- وغيره أن هؤلاء توسلوا وهم موحدون وأولئك توسلوا بعبادة غير الله -عز وجل- وهم كافرون[٤].

٢- ﴿ **مَحْذُورًا**﴾ (**الْمَحْذُور**) مَا يتقى ويحترز مِنْهُ، وهو الأمر المخوف، والمعنى: أي إن عذاب ربّك كان مخوّفاً لا أمان لأحد منه، فينبغي أن يحذره ويخاف من وقوعه وحصوله العباد من الملائكة والأنبياء

---

(١) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (٤/ ٣٥٩)، تفسير المراغي، للمراغي (١٥/ ٦٢-٦٣)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٣٦).

(٢) صحيح البخاري: ك(تفسير القرآن)، ب(قوله: أولئك الذين يدعون)، ح(٤٧١٥)، ٨٦/٦.

(٣) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣١٧)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (٥/ ٣٠٥).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٤٦)، إعراب القرآن، للنحاس (٢/ ٢٧٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وغيرهم، فكيف أنتم، وإذا كان ذلك شأن من يعبدونهم، فأولى بالمشركين ثم أولى أن يعبدوا اللَّه وحده لَا يشركون به شيئاً[١].

٣- ﴿ **مهلكوها**﴾ أي: مخربوها ومهلكو أهلها ﴿**أو معذبوها عذاباً شديداً**﴾ بأنواع العذاب إذا كفروا وعصوا وقال مقاتل[٢] وغيره: "مهلكوها في حق المؤمنين بالإماتة ومعذبوها في حق الكفار بأنواع العذاب"[٣].

٤- ﴿**تَحْوِيلًا**﴾ قال الليث: "حال الشيء بين الشيئين يحول حولاً وتحويلاً. وحال الشيء نفسه يحول حؤولاً بمعنيين: يكون تغيراً ويكون تحويلاً". قال: والحائل المتغير اللون، والمعنى: أي لن يحوّلوكم من الضيق والشدة إلى السعة والخصب[٤].

٥-﴿**مَسْطُورًا**﴾ سطر الكتاب يسطره سطراً وسطره واستطره. وفي التنزيل: وكل صغير وكبير مستطر، وسطر يسطر سطرا: كتب، واستطر مثله، ومسطور أي: مثبتاً محفوظاً، وجمع السّطر أَسْطُرٌ، وسُطُورٌ، وأَسْطَارٌ. والمعني: مكتوباً. يقال: سطر؛ أي كتب[٥].

رابعاً: الجانب البلاغي

- في قوله تعالى:﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ** ﴾

في الكلام حذف دل عليه ما بعده، والتقدير: قل ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهتكم من دون الله فليكشفوا عنكم الضر وليحولوكم من الضيق والشدة إلى السعة ودل على هذا فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً أي لن يحولوكم من الضيق والشدة إلى السعة والخصب[٦].

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (١/ ١٦٢)، زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٤٠٦)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٠٩).

(٢) **مقاتل**: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير، الأزدي بالولاء الخراساني المروزي، أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة ودخل بغداد وحدث بها، وكان مشهوراً بتفسير كتاب الله العزيز، وله التفسير المشهور، من أعلام المفسرين. دخل بغداد فحدّث بها. وتوفي بالبصرة . انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكّان (٥/ ٢٥٥)، الأعلام، للزركلي (٧/ ٢٨١).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٥٣٧/٢)، معالم التنزيل، للبغوي في تفسير القرآن، للبغوي (٥/ ١٠١)، إعراب القرآن، للنحاس (٢/ ٢٧٦).

(٤) انظر: تهذيب اللغة، للهروي (٥/ ١٥٧)، إعراب القرآن، للنحاس (٢/ ٢٧٥).

(٥) انظر: غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٢٥٧)، معاني القرآن، للنحاس (٤/ ١٦٦)، المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص: ٤٠٩).

(٦) انظر: روح المعاني (٨/ ٩٣)، إعراب القرآن، للنحاس (٢/ ٢٧٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامساً: التفسير والبيان

قل لهؤلاء المشركين الذين يعبدون من دون الله شركاء، وزعموا أنهم آلهة من دونه قل لهم: ادعو الذين زعمتم أنهم من دون الله شركاء فهل يجيبونكم؟ إنهم لا يستجيبون فهم لا يملكون كشف الضر عنكم، ولا تحويله من مكان إلى مكان، بل لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، أولئك الذين عبدتموهم من دون الله كعزير والمسيح يدعون ربهم يبتغون الوسيلة إليه والقربى منه بالطاعة، ويخصونه بالعبادات وهم أقرب إلى الله وأولى به لأنهم عباده الأطهار المخلصون من ملائكة وأنبياء وهم يرجون رحمته، ويخافون عذابه، إن عذاب ربك كان محذوراً، إذ هو حقيق بأن يحذره العباد من الملائكة والأنبياء وغيرهم فكيف أنتم؟! ثم بين -ﷻ- مآل الدنيا وأهلها فقال: وما من قرية كانت من قرى الكفار إلا نحن مهلكوها بالموت أو معذبوها عذابا شديداً يستأصلهم، وهذا الحكم عام ثابت، كان ذلك في الكتاب مسطوراً[1].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- الرد على عبدة البشر والأوثان والملائكة

كشف القرآن الكريم زيف عبادة المشركين لآلهتهم وبطلانها، وكذلك الكفار الذين عبدوا البشر والأوثان والملائكة واعتقدوا أنهم ينفعونهم، فقال: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا**﴾، فقد كان العربُ في الجاهلية يعبدون الأصنامَ ويعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، أولئك يبتغون الوسيلة إليه والقربى منه بالطاعة.

٢- مناقشة المشركين في عقائدهم

يعتبر القرآن الكريم وثيقة عقائدية ناقش أهل الملل والأديان التي عاصرت نزوله في عقائدهم، وأجاب على تساؤلاتهم، وفند أقوالهم، وقد كان الطريق الذي سلكه القرآن في تثبيت دعائم العقيدة، والمنهج الذي اتبعه في تثبيت عقيدة الإسلام، فهو هذه الردود الكثيرة على شبهات الضالين فقد ناقش القرآن الكفار من مشركي العرب في عقائدهم ورد على شبهاتهم، وكذلك ناقش النصارى واليهود، والملاحدة، في عقائدهم ورد عليهم وأبطل دعاويهم وادعاءاتهم سواء فيما يختص بصفات الله سبحانه وتعالى أو ما يختص بملائكته، أو رسله.

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٤٠٤)، التفسير الواضح، لحجازي (٢/ ٣٨١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- مجيء القرآن بالتوحيد:

جاء القرآن بدعوة التوحيد الخالص، وسلك إلى تقرير هذه العقيدة وإيضاحها العديد من الطرق، والأساليب متنوعة، والوسائل متعددة ﴿**لِيَذَّكَّرُوا**﴾ فالتوحيد لا يحتاج إلى أكثر من التذكر والرجوع إلى الفطرة ومنطقها، وإلى الآيات الكونية ودلالتها، ولكن الكفار يزيدون نفوراً كلما سمعوا هذا القرآن. نفوراً من العقيدة التي جاء بها، ونفوراً من القرآن ذاته خيفة أن يغلبهم على عقائدهم الباطلة التي يستمسكون بها. عقائد الشرك والوهم والترهات.

وقد جاراهم القرآن في ادعاءاتهم في حكاية البنات ونسبتها إلى الله ليكشف عما فيها من تفكك وتهافت، فهو يجاريهم في حكاية الآلهة المدعاة، ليقرر أن هذه الآلهة لو وجدت فإنها ستحاول أن تتقرب إلى الله، وأن تجد لها وسيلة إليه وسبيلاً: ﴿**قُلْ: لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ، إِذاً لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا**﴾[(١)].

٤- لا يقدر أحد على أن يكشف الضر أو يحوله إلا الله وحده، فهو المتصرف في أقدار عباده. ويقرر لهم أن من يدعونهم آلهة من الملائكة أو الجن أو الإنس، لا تقدر أن تكشف الضر أو تحوله، إن هم إلا خلق من خلق الله، يحاولون أن يجدوا طريقهم إلى الله ويتسابقون إلى رضاه، ويخافون عذابه الذي يحذره من يعلم حقيقته ويخشاه ﴿**قُلِ: ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَايَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا**﴾[(٢)].

٥- في قوله تعالى:﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ**﴾ "تقرير أن الله وحده هو المتصرف في مصائر العباد، إن شاء رحمهم وإن شاء عذبهم وأن الآلهة التي يدعونها من دونه لا تملك كشف الضر عنهم ولا تحويله إلى سواهم"[(٣)].

٦- في قوله تعالى:﴿ **وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ بيان المصير النهائي للبشر جميعاً- كما قدره الله في علمه وقضائه- وهو انتهاء القرى جميعها إلى الموت والهلاك قبل يوم القيامة،

---

(١) التفسير الواضح، لحجازي (٢/ ٣٨١)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٣٠).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٣٥).

(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٣٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أو وقوع العذاب ببعضها إن ارتكبت ما يستحق العذاب، فلا يبقى حي إلا ويلاقي نهايته على أي الوجهين: الهلاك حتف أنفه أو الهلاك بالعذاب[1].

٧- في قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ**﴾ بيان أولئك الذين يعتبرونهم الكفار آلهة ويتخذونهم شركاء لله، هؤلاء أيضاً عبيد لله، يتقربون إليه ويتوسَّلون إليه، فالمسيح الذي أشركتموه مع الله، وكذلك الملائكة هم عباد لله: ﴿**لَّن يَسْتَنكِفَ المسيح أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلَّهِ وَلاَ الملائكة المقربون**﴾[سورة النساء: ١٧٢].[2].

٨- في قوله تعالى:﴿**إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً**﴾ أي: يجب الحذر منه وتجنُّب أسبابه؛ لأن العذاب إذا كان من الله فلا فِكاكَ منه ولا مهرب، وأيضاً فالعذاب يتناسب مع قدرة المعذِّب ضعفاً وشدة، فإذا نُسِب العذاب إلى الله فلا شكَّ أنه أليم شديد، لا طاقة لأحد به، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾[سورة هود: ١٠٢].[3].

٩- المقصود بقوله تعالى: ﴿ **أَوْ مُعَذِّبُوهَا**﴾ أي: عذاباً دون استئصال. التعذيب مرحلة أولى، فإنْ أتى بالنتيجة المطلوبة وأعاد الناس إلى الصواب فبها ونِعْمتْ وتنتهي المسألة، فإنْ لم يقتنعوا وأصرُّوا ولم يرتدعوا وعاندوا يأتي الإهلاك[4].

١٠- باستقراء تاريخ الأمم السابقة نلاحظ ما حاق بهم من سُنّة إهلاك الظالمين، فقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط نزل بهم عذاب الله الذي لا يُرَدُّ عن القوم الكافرين، ولكنه كان عذاب استئصال؛ لأن الأنبياء في هذا الوقت لم يكونوا مُطَالَبين بحمل السلاح لنشر دعوتهم، فكان عليهم البلاغ، والحق -ﷻ- هو الذي يتولّى تأديب المخالفين[5].

---

(١) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٢/ ٢٦٣)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٣٦).
(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣٥٧)، الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٦٢٣).
(٣) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري (٤/ ٣٦٠)، الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٦٢٤).
(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣٥٨)، الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٦٢٦).
(٥) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٦٢٧)، التفسير الحديث، دروزة عزت (٣/ ٣٩٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثامن: طلب الآيات التعجيزية.

قال تعالى: ﴿ **وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا *وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا**﴾ [الإسراء: ٥٩-٦٠].

أولاً: المناسبة

- قوله تعالى:﴿ **وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ...**﴾

لما ذكر الله تعالى الدليلَ على فساد قول المشركين وأتبعه بالوعيد أتبعه بذكر مسألة النبوة، وذلك لأن كفار قريش اقترحوا من رسول الله ﷺ إظهار معجزات عظيمة قاهرة كما حكى الله عنهم أنهم قالوا: ﴿**لولا يأتينا بآية**﴾[سورة طه: ١٣٣]، وقالوا: ﴿**كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ**﴾[سورة الأنبياء: ٥]، وقال آخرون: المراد ما طلبوه بقولهم: ﴿**لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا**﴾ [سورة الإسراء: ٩٠].[(١)].

ثانياً: أسباب النزول

- ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ **وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ**﴾

روى الإمام النسائي بسنده عن ابن عباس-رضي الله عنهما-: **(أن أهل مكة سألوا أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعون، اقترحوا ذلك على الرسول -ﷺ- فأوحى الله إليه أن شئت أن أفعل ذلك لهم فإن تأخروا عاجلتهم بالعقوبة، وإن شئت استأنيت بهم عسى أن أجتبي منهم مؤمنين فقال: «بل تستأني بهم يا رب)**. فنزلت[(٢)].

ثالثاً: المعنى اللغوي

١- ﴿ **الرُّؤْيَا**﴾ الجمهور، على أنها رؤيا يقظة، وهي ليلة المعراج، وقيل: هي رؤيا منام، من قوله سبحانه: ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ**﴾. أنها رؤيا بيت المقدس حين أسري به، وذلك أنه ارتد

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/ ٣٥٩)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١١/ ٤٥٤)، فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٨٢).

(٢) السنن الكبري: ك(التفسير)، ب(قوله وما منعنا أن نرسل بالآيات)، ح(١١٢٢٦)، ١٥١/١٠. قال الحاكم:"هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي، انظر: المستدرك (٢/ ٣٩٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعضهم حين أعلمهم قصة الإسراء به، وازداد المؤمنون المخلصون إيماناً. وجاء في التفسير أنه يرو رأى في منامه قوماً يرقون المنابر فساءه ذلك، فأعلم – ﷺ – أنه عطاء في الدنيا(١).

٢- ﴿ **الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ**﴾ قيل في التفسير الملعون أكلها، وهي شجرة الزقوم التي ذكرها الله في القرآن فقال: ﴿**إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ** ﴾[سورة الدخان: ٤٣-٤٤]، وقال: ﴿**فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ**﴾[سورة الصافات: ٦٦]. وقال: ﴿**إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ**﴾[سورة الصافات: ٦٤] فافتتن بها المشركون، فقال أبو جهل: ما نعرف الزقوم إلا أكل التمر بالزبد فتزقموا. وقال بعض المشركين: النار تأكل الشجر فكيف ينبت فيها الشجر(٢).

٣- ﴿ **بِالْآيَاتِ**﴾ الآيات: جمع آية، وهي الأمر العجيب الذي يلفت النظر ويسترعى الانتباه، وهذه الآيات إما أن تكون آيات كونية نستدل بها على قدرة المدبِّر الأعلى سبحانه مثل المذكورة في قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ...**﴾سورة فصلت: ٣٧. والآية العلامة، وقد تكون الآيات بمعنى المعجزة التي تثبت صِدْق الرسول في البلاغ عن ربه تعالى، وقد تكون الآيات بمعنى آيات القرآن الكريم، والتي يسمونها حاملة الأحكام. فالآيات إذن ثلاثة: كونية، ومعجزات، وآيات القرآن(٣).

٤- ﴿ **طُغْيَانًا**﴾ كفراً ومجاوزة من الحد فيه. متجاوزاً للحد، متمادياً غاية التمادي، فما يفيدهم إرسال الآيات إلا الزيادة في الكفر، فعند ذلك نفعل بهم ما فعلناه بمن قبلهم من الكفار، وهو عذاب الاستئصال، ولكنا قد قضينا بتأخير العقوبة. الطغيان: تجاوز الحدّ في الفجور والضلال(٤).

٥- ﴿**المبصرة**﴾ البينة كما تقول: "الموضحة" و"المبينة"، قال مجاهد: "أي آية والمعنى ذات إبصار يبصر بها ويتبين بها صدق صالح –عليه السلام–"(٥).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٤٨)، غرائب التفسير وعجائب التأويل، برهان الدين (١/ ٦٣١)، فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٨٤).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (٤٨٤/١٧)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١٧/٧)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (٣١٠/٥).

(٣) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (١/ ١٦٨)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١/ ٤٢١)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٢٨١)، الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٦٣٥).

(٤) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٨٤)، غرائب التفسير وعجائب التأويل، برهان الدين (١/ ٦٣٢). التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٠٥).

(٥) انظر: معانى القرآن، للأخفش (٢/ ٤٢٥)، معاني القرآن، للنحاس (٤/ ١٦٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً: الجانب البلاغي

١- في قوله تعالى: ﴿ **مَنَعَنَا**﴾ وجهان بلاغيان:

أ- المنع هنا هو الترك، وهو لازم لمنع، فأطلق الملزوم، وأريد لازمه وما أحد بمانع رب البرية[١].

ب- استعير المنع للترك أي ما تركنا إرسال الآيات المقترحة إلا لتكذيب الأولين بها، وتكذيب الأولين ليس علة في إرسال الآيات لقريش، فالمعنى إلا اتباعهم طريقة تكذيب الأولين بها، فتكذيب الأولين فاعل على حذف المضاف فإذا كذبوا بها كما كذب الأولون عاجلتهم بعذاب الاستئصال وقد اقتضت الحكمة أن لا أستأصلهم[٢].

٢- في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ...**﴾ في المقطع وجهان للبلاغة:

أ- في الكلام حذف، والتقدير: وما منعنا أن نرسل بالآيات التي اقترحوها إلا أن يكذبوا بها فيهلكوا كما فعل بمن كان قبلهم. قال معناه قتادة وابن جريج وغيرهما. فأخر الله تعالى العذاب عن كفار قريش لعلمه أن فيهم من يؤمن وفيهم من يولد مؤمناً[٣].

ب- الإسناد المجازي: فالمنع محال في حقه تعالى، لأن الله لا يمنعه عن إرادته شيء. فالمنع مجاز عن الترك. أي ما كان سبب ترك إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين[٤].

٣- في قوله تعالى: ﴿**النَّاقَةَ مُبْصِرَةً**﴾.

المجاز العقلي: فلما كانت الناقة سبباً في إبصار الحق والهدى، نسب إليها الإبصار ففيه مجاز عقلي، علاقته السببية[٥].

---

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٧/ ٧٢)، روح المعاني، للألوسي (٨/ ٩٨)، الجدول في إعراب القرآن، محمود صافي (١٥/ ٧٤).

(٢) انظر: الكشاف، للزمخشري (٢/ ٦٧٤)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٢٨١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٢٨١)، انظر: معاني القرآن، للنحاس (٤/ ١٦٦)، التبيان في إعراب القرآن، للعكبري (٢/ ٨٢٥).

(٤) انظر: الجدول في إعراب القرآن، لمحمود صافي (١٥/ ٧٤)، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا الأنصاري (١/ ٣٢٩).

(٥) انظر: الجدول في إعراب القرآن، لمحمود صافي (١٥/ ٧٤)، الموسوعة القرآنية خصائص السور، للتويجري (٥/ ١٠١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامساً: التفسير والبيان

كان أهل مكة سألوا رسول الله -ﷺ- أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وأن ينحى عنهم جبال مكة فأتاه جبريل فقال. إن شئت كان ما سأله قومك. ولكنهم إن لم يؤمنوا لم يمهلوا، وإن شئت استأنيت بهم فأنزل الله هذه الآية ﴿**وَما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ**﴾.

وما منعنا من إرسال الآيات واستجابة طلباتهم التي سألوها إلا تكذيب الأولين فإننا إن أرسلناها وكذب بها هؤلاء عوجلوا، ولم يمهلوا كما هو سنة الله- ﷻ- مع الأمم، والمعنى: ما تركنا إرسالها لشيء من الأشياء إلا لتكذيب الأولين فإنهم إن كذبوا بعدها حل بهم ما حل بغيرهم من الأمم السابقة، وقد أراد الله أن يؤخر عذاب من أرسل لهم محمد إلى يوم القيامة، واذكروا أنا آتينا قوم ثمود الناقة كما طلبوا وكذبوا، بعدها عقروها فأخذتهم الصيحة، وجعلنا آية الناقة مبصرة ذات أبصار يدركها الناس، وإنما خصت بالذكر دون غيرها لأن آثار هلاك ثمود قريبة منهم وفي طريقهم، وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً للناس وإنذاراً لهم، فكأن الآية مقدمة لعذاب الاستئصال[1].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

احتوت هاتان الآيتان على العديد من المقاصد والأهداف، منها:

١- منع إرسال الآيات لتكذيب الأقوام بها

منذ أن جهر النبي - ﷺ- بدعوته، ورأت قريش أنَّه لابد من مواجهة هذه الدعوة التي جاءت بالتوحيد وتسفيه الأحلام وسب الآلهة والقضاء على الزعامة التي ورثوها، فقرروا أن لا يألوا جهداً في محاربة الإسلام، والحد من انتشاره ، فاتخذوا لذلك أساليب شتى وطرقاً متعددة منها أنهم طلبوا الآيات التعجيزية، فقال تعالى: ﴿**وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا**﴾. يعني لو استجاب الله لطلبهم بإنزال ملك، فسيكون الأمر منتهياً فلو كذبوا بعد تلك الآية التي طلبوها فلن يمهلوا أو يؤخروا.

(١) انظر: التفسير الواضح، لحجازي (٢/ ٣٨١-٣٨٢)، تفسير المراغي، للمراغي (١٥/ ٦٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- طلب مشركي العرب آيات بعيدة عن طبيعتهم

الذي يتأمل في الاقتراحات التي جاء بها كفار مكة يجدها بعيدة كل البُعْد عن مجال المعجزة التي يُراد بها بيان صِدْق رسالته وإثبات نبوته، وهذه لا تكون إلا في أمر نبغ فيه قومه ولهم به إلمام، كما كانت معجزات الأنبياء السابقين، والعرب أهل الفصاحة والبلاغة، وهل لهم إلمام بتفجير الينابيع من الأرض؟ وهل إسقاط السماء عليهم كِسَفاً يقوم دليلاً على صدْق الرسول؟ أم أنه الجدل العقيم والاستكبار عن قبول الحق؟ وليس لأحد أن يقترح على الله أن يُجبره على شيء، قال تعالى: ﴿**قُل لَّوْ شَآءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ...**﴾ [سورة يونس: ١٦]"[(١)].

٣- في قوله تعالى:﴿ **وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ**﴾ "لم يفلح الجهر ولم يفلح التبييت، ولم يفلح السحر، وباءت محاولاتهم كلها بالفشل، وعلموا أنه لا سبيلَ إلى الوقوف في وجه الدعوة بحال من الأحوال، وأن السلامة في الإيمان والسير في ركابه من أقصر الطرق. إذن: للحق سبحانه آيات أخرى تأتي لِرَدْع المكذبين عن كذبهم، وتُخوّفهم بما حدث لسابقيهم من المُكذِّبين بالرسل، حيث أخذهم الله أَخْذ عزيز مقتدر"[(٢)].

٤- في قوله تعالى:﴿ **وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً**﴾ بيانٌ أن كان إيتاء ثمود الناقة آية دالة مضيئة نيرة على صدق صالح -عليه السلام-، وعلى قدرة الله تعالى. ولما ظلموا أنفسهم بتكذيبها، أو جحدوا بها، وكفروا بأنها من عند الله تعالى، استأصلهم الله بالعذاب[(٣)].

٥- إرسال الآيات للتخويف:

هناك العديد من آيات الله العزيز الحكيم، الدالة على عظمته وجلاله وقدرته وحكمته ورحمته. فهذه الآيات للصالحين رحمة وبرهانٌ، يزدادون بها إيمانًا، وتزداد قلوبهم بها ثباتًا ويقينًا، وتملؤها خوفًا من الله -عز وجل- وطمعًا في رحمته، وهي للكافرين وأهل الغفلة تخويفٌ وإقامةٌ للحجَّة وقطعٌ للمناظرة والمحاجَّة.

---

(١) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٦٣٦)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٣٨).

(٢) الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٦٣٩).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٧/ ٤٧٧)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١١٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦- "الخوارق على أيدي الرسل- قبل رسالة محمد -ﷺ- امتنعت في هذه الرسالة؛ لأن الأولين الذين جاءتهم كذبوا بها ولم يهتدوا فحق عليهم الهلاك. والهلاك لم يقدر على أمة محمد لذلك لم يرسله بالخوارق المادية، وما كانت الخوارق إلا تخويفاً للأمم الخالية مما يحل بها من الهلاك إذا كذبت بعد مجيئها"(١).

٧- عصم الله الرسول - ﷺ- وكفه عنهم، فلا يصلون إليه، وأراه الرؤيا الصادقة في الإسراء لتكون ابتلاء للناس، ولم يتخذ من هذه الآية خارقة كخوارق الرسالات من قبل، خوفهم الشجرة الملعونة في القرآن، فلم يزدهم التخويف إلا طغياناً. وإذن فما كانت الخوارق إلا لتزيدهم طغياناً(٢).

٨- في قوله تعالى:﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ**﴾ بيانٌ أنه "لا يملك أحد غير الله -ﷻ- كشف الضر من فقر أو مرض أو بلاء أو غيره، أو تحويله وتبديله من مكان إلى مكان أو من شخص إلى آخر. وقد تحدى الله المشركين في مكة بآية قل: ادعوا الذين.. بأن يدعوا ما يعبدون من دون الله، ويزعمون أنهم آلهة لكشف ما أحدق بهم من قحط سبع سنين"(٣).

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٣٦)، وانظر: تفسير السعدي، للسعدي (١/ ٤٦١).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٣٦).

(٣) التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١١٢)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٢٧٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد سورة الإسراء، من الآية (٦٠-٩٨)

ويشتمل على تسعة مطالب:

المطلب الأول: أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام (٦١-٦٥)

المطلب الثاني: نعمة الإبحار (٦٦- ٦٩)

المطلب الثالث: تكريم الإنسان (٧٠-٧٢)

المطلب الرابع: محاولات المشركين فتنة النبي -ﷺ- وطرده من مكة (٧٣- ٧٧)

المطلب الخامس: تشريع الصلاة وإعلان الحق (٧٨-٨١)

المطلب السادس: القرآن والروح (٨٢-٨٥)

المطلب السابع: إعجاز القرآن الكريم (٨٦-٨٩)

المطلب الثامن: طلب المشركين آيات تعجيزية (٩٠-٩٣)

المطلب التاسع: استغراب المشركين من كون الرسل بشراً (٩٤-٩٧)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ورفض إبليس لذلك.

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا * قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا * وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا *إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا**﴾ [الإسراء: ٦١-٦٥].

أولاً: المناسبة

١-قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ...**﴾

بعد أن أخبر الله أن رسول الله ﷺ كان في محنة عظيمة من قومه وأهل زمانه، بين أن حال الأنبياء مع أهل زمانهم كذلك. ألا ترى أن أول الأولياء هو آدم، كان في محنة شديدة من إبليس. وأن القوم إنما نازعوا رسول الله ﷺ وعاندوه واقترحوا عليه الاقتراحات الباطلة لأمرين الكبر والحسد، أما الكبر فلأن تكبرهم كان يمنعهم من الانقياد، وأما الحسد فلأنهم كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من النبوة والدرجة العالية، فبين تعالى أن هذا الكبر والحسد هما اللذان حملا إبليس على الخروج من الإيمان والدخول في الكفر، فهذه بلية قديمة ومحنة عظيمة للخلق. وأنه تعالى لما وصفهم بقوله: ﴿**فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا**﴾ [سورة الإسراء: ٦٠] بين ما هو السبب لحصول هذا الطغيان وهو قول إبليس لأحتنكن ذريته إلا قليلا فلأجل هذا المقصود ذكر الله تعالى قصة إبليس وآدم، فهذا هو الكلام في كيفية النظم(١).

٢- قوله تعالى: ﴿ **وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ...**﴾

إن إبليس لما طلب من الله الإمهال إلى يوم القيامة لأجل أن يحتنك ذرية آدم، فالله تعالى ذكر أشياء، وهو جواب من الله تعالى عن سؤال إبليس التأخير إلى يوم القيامة، ولذلك فصلت جملة قال على طريقة المحاورات، حيث يشير سبحانه إلى قصة الخلق والتكوين ويذكر تكريم آدم بالأمر بالسجود له، وموقف إبليس، ويأمره سبحانه بأن يبذل أقصى ما يملك (٢).

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ٣٦٥)، البحر المحيط، لأبي حيان (٧٧/٧)، تفسير المراغي (١٥/ ٦٩).

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري (١٧/ ٤٩٠)، التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٥/ ١٥٢)، زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٣١٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: المعنى اللغوي

١- ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾ لأَستولِيَنَّ عليهم، قاله ابن عباس، والفراء. والثاني: لأُضِلَّنَّهم. والثالث: لأَستأصلنَّهم، أي لأستأصلن ذريته بالإغواء والإضلال، ولأجتاحنهم. وقيل: معناه لأسوقنهم حيث شئت وأقودنهم حيث أردت[١].

٢- ﴿مَوْفُورًا﴾

الموفور: الشيء التام، الوفر: المال الكثير. ووفر عليه حقه توفيرا واستوفره أي استوفاه. وهم (متوافرون) أي هم كثير. والموفور: الموفَّر. قال ابن قتيبة: "يقال: وفَّرْتُ ماله عليه، ووَفَرْتُه، بالتخفيف والتشديد"[٢].

٣- ﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾

قال ابن قتيبة: "اسْتَخِفَّ، ومنه تقول: استَفَزَّني فلان، ومعناه استدعهم استدعاء تستخفهم به إلى إجابتك"[٣].

٤- ﴿ بِصَوْتِكَ﴾

المراد بصوته قولان: أحدهما: أنه كل داعٍ دعا إلى معصية الله، قاله ابن عباس. الثاني: أنه الغناء والمزامير، قاله مجاهد، والمعنى: اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من المكائد[٤].

٥- ﴿وَأَجْلِبْ﴾

أي: صِح بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ واحثثهم عليهم بالإغراء يقال: أجلبَ القوم وجلَّبوا: إذا صاحوا. وقال الزجاج: المعنى: اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكايدك[٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٤٩)، زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٣/ ٣٦)، غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٢٥٨).

(٢) انظر: غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٢٥٨)، مختار الصحاح، للرازي (ص: ٣٤٢)، زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٣/ ٣٧).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٥٠)، غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٢٥٨)، تاج العروس (٢٧١/١٥).

(٤) انظر: معاني القرآن، للفراء (٢/ ١٢٧)، غرائب التفسير، تاج القراء (١/ ٦٣٣)، غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٢٥٨).

(٥) انظر: معاني القرآن، للأخفش (٢/ ٤٢٥)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٢٨٧)، معاني القرآن، للزجاج (٣/ ٢٥٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦- ﴿وَرَجِلِكَ﴾

جمع راجل ورجال مثل صاحب وصحاب. يعني خيل المشركين ورجالهم. وجائز أن يكون لإبليس خيل ورجال. وقال غيره: راجل: بين الرجلة من قوم رجال، ورجالة، ورجال، رجله كل خيل يسعى في معصية الله فهي من خيل إبليس، وكل ماش في معصية فهو من – رجال إبليس، ورجل جمع راجل، ويجوز ورجالك فيكون جمع راجل ورجال مثل صاحب وصحاب[١].

٧- ﴿غُرُورًا﴾

الغرور: الأباطيل التي تغر، قال الفراء: غررته غروراً. وقال أبو زيد: "الغرور: الباطل، وما اغتررت به من شيء فهو غرور، كلّ ما يمنِّيهم الشيطان إنَّما هو خداع وباطل" شخصٌ ركبه الغرور: معتزّ بنفسه لدرجة الغرور – غُرور بالنَّفس: شعور خادع بالأهمية[٢].

ثالثاً: الجانب البلاغي

١- في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ وجهان بلاغيان:

أ- تأتي بمعنى أخبرني؛ فالكاف لا موضع لها، لأنها ذكرت في الخطاب توكيداً، وموضع (هذا) نصب بـ (أرأيتك). في الكلام حذف تقديره: أخبرني عن هذا الذي فضلته علي، لم فضلته وقد خلقتني من نار خلقته من طين؟ فحذف لعلم السامع. وقيل: لا حاجة إلى تقدير الحذف، أي أترى هذا الذي كرمته علي لأفعلن به كذا وكذا[٣].

ب- مجاز مرسل في استعمال الرؤية بمعنى الأخبار؛ لأنها سببه فالعلاقة فيها السببية[٤].

٢- في قوله تعالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾

استعارة تمثيلية، شبّه حال الشيطان في تسلّطه على الغاوين بالفارس الذي يصيح بجنده للهجوم على الأعداء، للغلبة عليهم، حيث مثّلت حال الشيطان، حيث إن استفزازه بصوته وإجلابه بخيله ورجله،

---

(١) انظر: معاني القرآن، للفراء (٢/ ١٢٧) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٥٠)، غريب الحديث، لإبراهيم الحربي (٢/ ٤٢١).

(٢) انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٣/ ٢١٦) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٤/ ٢٧٣)، غرائب التفسير وعجائب التأويل، تاج القراء (٢/ ٩١١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٤٩)، روح المعاني، للألوسي (٨/ ١٠٤)، معاني القرآن، للنحاس (٤/ ١٧١).

(٤) انظر: إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (٥/ ٤٧٠)، التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (١/ ٤٥٠)، التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (٧/ ٢٢٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمثيلا لتسلطه على من يغويه، فكأن مغوارا وقع على قوم، فصوت بهم صوتا يزعجهم من أماكنهم، وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة، حتى استأصلهم. [1].

٣- في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا** ﴾ وجهان بلاغيان:

أ- الالتفات عن الخطاب إلى الغيبة وكان مقتضى الظاهر أن يقال: وما تعدهم إلا غرورا ولكنه عدل عن ذلك تهوينا لأمره واستصغارا لأمر الغرور الذي يعدهم به من جهة وليتولى الكلام على طريق الغيبة متحدثا إلى الناس جميعا ليعلم الجاهل، ويخلد المبطل إلى الصواب[٢].

ب- المجاز العقلي في نسبة الغرور إلى الوعد[٣].

رابعاً: التفسير والبيان

اذكر أيّها الرسول للنّاس عداوة إبليس لآدم وذريته، وأنها عداوة قديمة منذ خلق آدم، والدليل أنه تعالى أمر الملائكة بالسّجود لآدم سجود تحيّة ومحبّة وتكريم، لا سجود عبادة وخضوع، فسجدوا كلّهم إلا إبليس استكبر وأبى أن يسجد له، افتخاراً عليه واحتقاراً له، قائلا: أأسجد له وهو طين، وأنا مخلوق من النار، تالله لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأستولين عليهم بالإغواء والإضلال جميعاً إلا قليلاً منهم، وهم عبادك المخلصون.

قال الله له: اذهب فامض لشأنك الذي أخذته لنفسك فمن تبعك منهم وأطاعك فإن جهنم مأواكم وجزاؤكم جميعا أنت ومن اتبعك جزاء موفوراً.

واستفزز من استطعت منهم بصوتك واستخفه وادعه بكل ما تستطيع من قوة وإغراء، وأجمع عليهم خيلك وفرسانك، ورجالك، وهذا تمثيل، والمراد أجمع لهم مكايدك وما تقدر عليه، ولا تدخر وسعا في إغوائهم، وشاركهم في الأموال حتى يتصرفوا بما يخالف وجه الشرع من سرقة وغصب إلى غش وخديعة، أو أخذ بالربا، وشاركهم في الأولاد عن طريق الزنى، وتسميتهم بأسماء غير شرعية، وعدم احترام الحقوق الشرعية في الزواج والطلاق والرضا وغيره وعدهم بكل ما تعد به من زخرف القول وباطله.

وما يعدهم الشيطان إلا غروراً باطلاً، وتزييناً كاذباً، وإظهاراً للباطل في صورة الحق.

---

(١) انظر: الجدول في إعراب القرآن، لمحمود صافي (١٥/ ٨٣)، روح المعاني، للألوسي (٨/ ١٠٦)، محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ٤٧٤).

(٢) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، (٧/ ٤٢٠) الجدول في إعراب القرآن، لمحمود صافي (١٥/ ٨٣)، إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (٥/ ٤٧٠)، التفسير الوسيط، للطنطاوي (٨/ ٣٩١).

(٣) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (٥/ ٤٧٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ولا قوة إلا من اتبعك، وكفى بربك وكيلاً يتوكلون عليه فهو الذي يدفع عنهم كيد الشيطان ويعصمهم من إغوائه.

ومن هنا نعلم أن الناس صنفان: صنف مؤمن تقى إذا مسه الشيطان تذكر نفسه وما حمل من أمانة، وما عليه من حساب، واستعاذ بالله فإذا هو مبصر محاسب نفسه وهؤلاء هم العباد الذين ليس للشيطان عليهم سبيل. والصنف الثاني: هو العاصي الذي يتولاه الشيطان، ويستولى عليه مستعينا بالمال والدنيا والنفس الأمارة بالسوء[١].

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف

احتوى هذا المقطع من هذه السورة على العديد من المقاصد والأهداف:

١- أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام

لقد كرم الله الإنسانَ بأصله وجنسه حيث أمر الله تعالى ملائكته بالسجود لآدم عليه السلام، ليعلم البشر علو منزلتهم، ورفعة مكانتهم عند الله، فيتجاوبوا مع هذا التكريم، ويكونوا على مستوى حسن الظن بهم، والعمل بما يرضي الله من أفعالهم وأقوالهم، وقد تكرر الإخبار بهذا الأمر الإلهي سبع مرات للتذكير والعظة[٢].

٢- رفض إبليس السجود لأدم عليه السلام.

٣- الجهاد أمام وسوسة الشيطان وإغوائه

بدأت المعركة مع الشيطان منذ أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم، وكان سجود تحية ومحبة وتكريم، لا سجود عبادة وخضوع، فسجدوا كلهم إلا إبليس أبى واستكبر عن السجود، افتخاراً على آدم، وتعالياً عليه، قائلاً: أأسجد له وهو طين، وأنا مخلوق من عنصر أسمى وأعلى وهو النار؟! وهو قد أخطأ القياس حين رأى الفضيلة لنفسه من جهة أن النار أفضل من الطين، وجهل أن الفضائل في الأشياء لا بأصولها، وإنما بما خصصها الله به، أنها عداوة قديمة منذ خلق آدم[٣].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ٣٦٥)، التفسير الواضح، لحجازي (٢/ ٣٨٣ وما بعدها)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١١٦وما بعدها).

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري (١٧/ ٤٨٨)، التفسير الوسيط، للزحيلي (٢/ ١٣٦٦)، الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٦٥٧).

(٣) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٨٧)، التفسير الوسيط، للزحيلي (٢/ ١٣٦٦)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٣٨)، تفسير المراغي (١٥/ ٦٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- وسائل الشيطان في إغواء الإنسان

تعدد وسائل الشيطان في الغواية والإحاطة، والاستيلاء على القلوب والمشاعر والعقول، فهي معركة صاخبة، تستخدم فيها الأصوات والخيل والرجل على طريقة المعارك والمبارزات، يرسل الشيطان فيها الصوت فيزعج الخصوم ويخرجهم من مراكزهم الحصينة، أو يستدرجهم للفخ المنصوب والمكيدة المدبرة. فإذا استدرجوا إلى العراء أخذتهم الخيل، وأحاطت بهم الرجال[١].

٤- مشاركة إبليس الإنسان في المال والولد

﴿**وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ**﴾ شركة إبليس مع الإنسان تتمثل في أوهام الوثنية الجاهلية، فقد كانوا يجعلون في أموالهم نصيباً للآلهة المدعاة- فهي للشيطان- وفي أولادهم نذوراً للآلهة أو عبيداً لها- فهي للشيطان- كعبد اللات وعبد مناة. وأحياناً كانوا يجعلونها للشيطان رأساً كعبد الحارث! كما تتمثل في كل مال يجبى من حرام، أو يتصرف فيه بغير حق، أو ينفق في إثم. وفي كل ولد يجيء من حرام، ففيه شركة للشيطان، وإبليس مأذون في أن يستخدم وسائله كلها، ومنها الوعود المغرية الخادعة: ﴿**وَعِدْهُمْ وَما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلَّا غُرُوراً**﴾[٢].

٥- المال من أعظم طرق الغواية

لما طلب إبليس من الله الإمهال إلى يوم القيامة حاول أن ينفذ إلى العباد بالعديد من الأشياء منها المشاركة في الأموال، وهي عبارة عن التصرف السيئ في المال مثل أخذه بغير حقه ووضعه في غير حقه، ومنه المعاملات الربوية والسرقة والغصب وكذلك منع الحقوق الواجبة كالزكاة والكفارات وغيرها.

٦- الاتصال بالله أعظم طريق للنجاة

لا يمكن للشيطان أن يجد طريقاً في أناس تعلقت قلوبهم بالله واتجهوا إليه بالعبادة، وهؤلاء الناس لا يجرؤ عليهم الشيطان، فهم عباد الرحمن، ﴿**إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ. وَكَفى بِرَبِّكَ وَكِيلًا**﴾؛ لأنهم مزودون بتلك الحصانة التي تمنع إبليس وتمنع خليله ورجله، فالاتصال بالله يعصم وينصر ويبطل كيد الشيطان﴿**وَكَفى بِرَبِّكَ وَكِيلًا**﴾.

٧- عدم جدوى ما يدعو إليه الشيطان

بعد أن قال الله لإبليس وعدهم بين ما يكون زاجراً عن قبول هذا الوعد، فقال وما يعدهم الشيطان إلا غروراً، والسبب في ذلك أنه يدعو إلى ثلاثة أمور: قضاء الشهوة وإمضاء الغضب وطلب الرياسة، ولا

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٣٩)، زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٤١٧).

(٢) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ١٣٦)، التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٥/ ١٥٤)، زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٤١٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يدعو لمعرفة الله وعبادته، وتلك الأشياء معنوية لعدة أسباب؛ أنها ليست لذات بل خلاص عن الآلام، وأنها لذات خسيسة مشترك بين الإنسان والأنعام، وأنها سريعة الانقضاء والذهاب، وأنها لا تحصل إلا بمتاعب ومشاق، وأن لذات البطن والفرج غير باقية، بل يتبعها الموت والهرم والفقر، فإن كانت لذيذة في الظاهر فهي ممزوجة بهذه الآفات، وكان التغريب فيها تغريراً[1].

٨- بيان مدى عتو الكفار

من خلال عرض قصة إبليس حين عصى ربّه وأبى السّجود، وقال: إن آدم من طين، وهو من نار، وجوهر النار خير من جوهر الطين، مع أن الجواهر متماثلة، وقال مخاطباً ربه: أخبرني عن هذا الذي فضّلته عليّ، لم فضّلته؟ وقال أيضا متحدّياً: لأستأصلنّ ذرية آدم بالإغواء والإضلال، ولأجتاحنّهم ولأضلنّهم إلا القليل المعصومين منهم الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿**إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ**﴾، يتبين تمادي المشركين وعتوهم على ربّهم، وإنما قال إبليس ذلك ظنّا، كما قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ**﴾[سورة سبأ: ٢٠][2].

٩- أصناف الناس مع الشيطان

الناس حسب تمكن الشيطان من إغوائهم أقسام؛ لأن استعدادات الأفراد متفاوتة؛ فمن كان ضعيف الاستعداد استفزه، أي استخفه بصوته، تكفيه وسوسة وهمس بل حتى لمة، ومن كان استعداده قوياً، وأخلص استعداده عن شوائب الصفات النفسانية، فليس له إلى إغوائه سبيل كما قال: ﴿**إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ**﴾ وإلا فإن كان منغمساً في الشواغل والدنيا وملذاتها، شاركه في أمواله وأولاده، بأن يحرّضه على إشراكهم بالله في المحبة، ويمنيه الأمانيّ الكاذبة ويزين عليه الآمال الفارغة، حتى يصير ممن أضله الله على علم. وإن لم يكن عالماً؛ بل عابداً متنسكاً، أغواه بالوعد والتمنية، وغره بالطاعة والتزكية أيسر ما يكون[3].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ٣٦٩)، فتح القدير، للشوكاني (١/ ٥٩٦)، محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ٤٧٥)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٤٦٢).

(٢) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣١٩)، محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ٤٧٤)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١١٨)، زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٤١٤).

(٣)انظر: محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ٤٧٥)، زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٤١٦)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٣٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: نعمة الإبحار.

قال تعالى: ﴿**رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا * أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا * أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا**﴾ [الإسراء: ٦٦-٦٩].

أولاً: المناسبة

- قوله تعالى: ﴿ **رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ...**﴾

بعد أن استعرض الله تمرد الشيطان على أمره له بالسجود لآدم -عليه السلام- وإمهاله إلى يوم البعث استعرض المولى مظاهر قدرته وعظمته فذكر دلائل التوحيد الدالة على قدرته وحكمته ورحمته، والمقصود الأعظم في هذا الكتاب الكريم تقرير دلائل التوحيد، فإذا امتد الكلام في فصل من الفصول عاد الكلام بعده إلى ذكر دلائل التوحيد، والمذكور هاهنا الوجوه المستنبطة من الإنعامات في أحوال ركوب البحر[(١)].

ثانياً: المعنى اللغوي

١- ﴿**يُزْجِي**﴾

يُسيِّر ويسوقه حيثُ يريد، وقد زجيت قدمت الشيء. والعرب تَقُولُ: نحنُ نُزْجي المطيّ أي نسوقه. وزجى الشيء وأزجاه: ساقه ودفعه. والريح تزجي السحاب أي تسوقه سوقاً رفيقاً[(٢)].

٢- ﴿**أَعْرَضْتُمْ**﴾

الإعراض؛ هو أن تولي الشيء عرضك أي جانبك، ولا تقبل عليه. والمعنى: أي أعرضتم عن الإيمان، وقيل: هو العدول عن السير. و"أَعْرَضْتُمْ" أمعنتم في كفران النعمة[(٣)].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ٣٧١)، تفسير المراغي، للمراغي (١٥/ ٧٤)، التفسير الوسيط، للطنطاوي (٣٩٣/٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٥١)، معاني القرآن، للفراء (٢/ ٢٥٦)، غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٢٥٨).

(٣) انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، تاج القراء (١/ ٦٣٤) غريب القرآن، للسجستاني (ص: ١١١)، الكليات، أبو البقاء الحنفي (ص: ٢٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- ﴿حَاصِبًا﴾

الحصب: كل ما ألقيته في النار من حطب وغيره، وحاصباً: أي عذاباً يحصبهم، أي يرميهم بحجارة من سجيل، وقيل: حاصباً، أي ريحاً تقلع الحصباء لقوتها، وهي صغارها وكبارها. وفي التنزيل: (حصب جهنم) . ولا يكون الحطب حصبا حتى يسجر به. وقيل: الحصب، الحطب عامة. وحصب النار بالحصب يحصبها حصباً، أضرمها. الحاصب الريح التي ترمي بالحصباء وهي الحصى الصغار، قيل: حجارة. وقيل: ريحاً ذاتَ حصْباء[١].

٤- ﴿قَاصِفًا﴾

القصف: الكسر، وفي التهذيب: كسر القناة ونحوها نصفين. قصف الشيء يقصفه قصفا: كسره. وقصفت الريح السفينة. وريح قاصف، وقاصفة: شديدة تكسر ما مرت به من الشجر وغيره، قال ابن عباس:"هي التي تغرق" قال أبو جعفر:" يقال قصفه إذا كسره كأنها من شدتها تكسر الشجر"، والمعنى: يعني ريحا شديدة تقصف الشجر، أي تكسره[٢].

٥- ﴿تَبِيعًا﴾

قال الفراء: "التبيع في موضع تابع أي تابع بالثأر لإغراقنا إياهم". وقيل: معنى قوله: **{تبيعاً}** أي مطالباً. يعني: تابعاً يتبعنا في إنكار ذلك أو صرفه عنكم. أو من يتبعنا بدمائكم، أي يطالبنا. يقال: ثائراً وطالباً. فتبيع في معنى تابع. والمعني: أي لا تجدوا من يتبعنا بإنكار ما نزل بكم، ولا من يتبعنا بأن يصرفه عنكم[٣].

ثالثاً: الجانب البلاغي

١- في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ كانَ بِكُمْ رَحِيماً**﴾

تذييل كالتعليل لما سبق من تسيير السفن بقصد التجارة وطلب الرزق[٤].

---

(١) انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، تاج القراء (٢/ ٨٨٣)، معاني القرآن، للنحاس (٤/ ١٧٥)، المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (٣/ ١٦٥).

(٢) انظر: غريب القرآن، للسجستاني (ص: ٣٧٦)، معاني القرآن، للنحاس (٤/ ١٧٥)، لسان العرب، لابن منظور (٩/ ٢٨٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٥٢)، معاني القرآن، للفراء (٢/ ١٢٧)، غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٢٥٩).

(٤) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٨٩)، التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٥/ ١٥٩)، التفسير الوسيط للطنطاوي (٨/ ٣٩٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً﴾

تعليل للإعراض عن الإيمان والتوحيد، والمعنى: أنهم عند الشدائد يتمسكون برحمة الله، وفي الرخاء يعرضون عنه[١].

٣- في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ﴾ الهمزة للإنكار، والفاء للعطف على محذوف، تقديره: أنجوتم فأمنتم، فحملكم ذلك على الإعراض؛ لأنهم زعموا أنهم إذ نجوا أمنوا الخسف في الأرض، أو الريح الحاصب من السماء [٢].

٤- في قوله تعالى: ﴿ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ تعليل لإزجاء الفلك، وتصريح بوجوه النفع التي تفضل الله- تعالى- بها عليهم[٣].

٥- جملة ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ﴾ خبر مستعمل في التعجيب والتوبيخ[٤].

رابعاً: التفسير والبيان

ربكم الذي يستحق وحده العبادة هو الذي يسير لكم السفن في البحر، ويدفعها بقوة الريح وتيار الماء أو قوة البخار، يسير الفلك تمخر عباب الماء حاملة الناس والتجارة لتبتغوا من فضل الله ورزقه، إنه كان بكم رحيماً منعماً بدقائق النعم وجليلها.

وأنتم أيها الكافرون المشركون أمركم عجيب، إذا مسكم الضر، واضطرب بكم البحر وعدا على سفنكم هوج الرياح فانخلع قلبكم من خوف الغرق المحقق، إذا حصل هذا ضل من تدعونه من الآلهة إلا الله، وذهب عن خاطركم، ولم يدر بخلدكم ذكر واحد منهم فإنكم لا تذكرون سواه، وقيل المعنى: ضل ولم يهتد لإنقاذكم أحد غيره من سائر المدعوين.

فلما نجاكم إلى ساحل السلامة واستجاب دعاءكم أعرضتم وكفرتم وصرتم تدعون غيره يا عجباً لكم!! في الشدة تذكرونه وحده، وفي غيرها تدعون معه غيره، ولا غرابة فخلق الإنسان كفوراً بربه جحود النعمة، وهذا يتحقق في أكثر الأفراد.

ها أنتم أولاء نجوتم الآن وكشف عنكم ربكم الضر الذي أصابكم، ولكن أنجوتم فآمنتم أن يخسف بكم جانب البر فحملكم ذلك الأمان الصادر عن الغرور الكاذب على الإعراض والكفر.

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٥/ ١٨٥)، فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٨٩)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٢٠).

(٢) انظر: إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (٥/ ٤٧٣)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٢٠)، إعراب القرآن، للنحاس (٢/ ٢٧٩).

(٣) انظر: التفسير الوسيط، للطنطاوي (٨/ ٣٩٤)، إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش (٥/ ٤٧٣).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٥/ ١٥٩)، التفسير المنير، للزحيلي (١١/ ١٤٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نعم أمر المشركين عجيب يتضرعون إلى الله في البحر فإذا نجاهم منه أعرضوا وكفروا، ألم يعلموا بأن الله قادر على أن يخسف بهم البر، ويدك عليهم جانبه فيصبحوا أثرا بعد عين؟.

أفأمنتم وقد نجاكم من البحر وصرتم في البر أن يرسل عليكم ريحا حاصبا تصيبكم بالحصباء؟ فأنتم تحت قبضته في كل مكان في البر والبحر، وإن لم يصبكم من أسفل أصابكم إن أراد من فوقكم ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ**﴾ [سورة الأنعام: آية ٦٥]، لا تجدون لكم وكيلاً يدافع عنكم.

بل أأمنتم وقد نجوتم الآن من البحر أن يعيدكم فيه تارة أخرى؟، بأن يهيئ لكم أسباب ركوبه مرة ثانية فيرسل عليكم وأنتم في السفن من الريح شديد فتكسر كل ما يقابلها فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم بسبب هذا تبيعا علينا يطلب الثأر منا ﴿**فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاها * وَلا يَخافُ عُقْباها**﴾ [سورة الشمس: ١٤ و ١٥]، وهذا تهديد شديد لا يصح إلا ممن رفع السماء فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها -ﷻ-[١].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- بيان نعمة الإبحار

قال تعالى: ﴿**رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ**﴾ تنقسم الكرةُ الأرضية إلى قسمين: بر وبحر، يابس وماء، وجعل الله في كل قسم النعم والأفضال الكثيرة، في البر مثلاً: المعادن والخيرات من الزروع والثمان، وفي البحر: اللؤلؤ والمرجان والأسماك، ويسر الله للإنسان الإبحار في البحار بالسفن المسيّرة قديماً بالرياح وهي السفن الشراعية، وحديثاً بالسفن التي تعتمد على الطاقة البخارية أو الكهربائية والمحركات الآلية؛ ليتيسر للناس عبور البحر ونقل الركاب والبضائع والنفط وغير ذلك، وهذا يدعو لشكر نعمة الله -ﷻ-، والإقرار بالخالق الموجد الذي يحقق مصالح البشر[٢].

٢- إظهار قدرة الله وعذابه

﴿**أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا**﴾ الذي يتأمل تلك الإنذارات والتهديدات بألوان العذاب في البر والبحر، يعلم يقيناً، أنه لا مفر ولا مهرب من قدرة الله الشاملة، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا في البر ولا في البحر، فالله رحيم بالطائعين، ولكنه في الوقت نفسه شديد العذاب للجاحدين والمنكرين، المعرضين عن أوامره، المتنكرين لفضله وإحسانه، وكل امرئ

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ٣٦٥)، التفسير الواضح، لحجازي (٢/ ٣٨٣ وما بعدها)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١١٦وما بعدها).

(٢) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ٤٧٥)، فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٨٩)، التفسير الوسيط، للزحيلي (٢/ ١٣٦٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يختار لنفسه ما يحلو، فإن أراد السلامة والنجاة من الويلات، أطاع واستقام، وإن استبدت به الأهواء والشهوات، وأعرض عن منهاج الحق والإله، أوقع نفسه في مهاوي الردى والهلاك[١].

٣- غفلة الناس عن ربهم

﴿**أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ**﴾ البشر جميعهم في قبضة الله في كل لحظة وفي كل مكان، فهم في قبضته في البر كما هم في قبضته في البحر، فكيف يأمنون أن يخسف بهم جانب البر بزلزال أو بر كان، أو بغيرهما من الأسباب المسخرة لقدرة الله؟ أو يرسل عليهم عاصفة بركانية تقذفهم بالحمم والماء والطين والأحجار، فتهلكهم دون أن يجدوا لهم من دون الله وكيلاً يحميهم ويدفع عنهم؟ وكيف يأمنون أن يردهم الله إلى البحر فيرسل عليهم ريحاً قاصفة، تقصف الصواري وتحطم السفن، فيغرقهم بسبب كفرهم وإعراضهم، فلا يجدون من يطالب بعدهم بتبعة إغراقهم؟ إنها الغفلة الحقة أن يعرض الناس عن ربهم ويكفروا، ثم يأمنوا أخذه وكيده، وهم يتوجهون إليه وحده في الشدة ثم ينسونه بعد النجاة[٢].

٤- وسائل النقل الحديثة

من معجزات القرآن الكريم أنه يخبر عما سيكون في المستقبل، فكانت التجارة في بلاد العرب بالقوافل والجمال، ولم يتبأ العرب أن الفلك ستكون هي الطريق لنقل البضائع من إقليم لإقليم، من أقصى الأرض إلى أقصاها، والآن نرى أن البلد يكون مقدار اقتصاده تبعاً لمقدار سواحله، ومقدار المنشآت التي تمر بمراسيه، وتمخر عباب البحر إليه، ولا تخلو سورة من القرآن من وصف البحر والجواري المنشآت، وقوله تعالى: ﴿**لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ**﴾، ومن هنا للتبعيض؛ لأن الفضل الذي يبتغى بالسفن، هو سبب واحد من أسباب الكسب الحلال، وهو التجارة، وهناك فضل كثير لله غيره، فهناك الزراعة، وهناك استخراج المعادن من باطن الأرض، واللآلئ والجواهر من باطن البحار، فكل أولئك من رحمة اللَّه[٣].

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٥/ ١٨٥)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس الفاسي (٣/ ٢١٥)، التفسير الوسيط، للزحيلي (٢/ ١٣٧١).

(٢) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس الفاسي (٣/ ٢١٥)، في ظلال القرآن، لسيد قطب(٤/ ٢٢٤٠)، زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٤٢٤).

(٣) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٩٠)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس الفاسي (٣/ ٢١٦)، تفسير المراغي، للمراغي (١٥/ ٧٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: تكريم الإنسان

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا * يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا**﴾. [الإسراء: ٧٠-٧٢].

أولاً: المناسبة

١- قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...**﴾

بعد أن ذكر تعالى ما امتن به عليهم من إزجاء الفلك في البحر ومن تنجيتهم من الغرق، تمم ذكر المنة بذكر تكرمتهم ورزقهم وتفضيلهم، أو لما هددهم بما هدد من الخسف والغرق وأنهم كافرو نعمته ذكر ما أنعم به عليهم ليتذكروا فيشكروا نعمه ويقلعوا عن ما كانوا فيه من الكفر ويطيعوه تعالى، وفي ذكر النعم وتعدادها هز لشكرها وكرم معدى بالتضعيف من كرم أي جعلناهم ذوي كرم بمعنى الشرف والمحاسن الجمة، كما تقول: ثوب كريم وفرس كريم أي جامع للمحاسن. وليس من كرم المال[١].

٢- ﴿ **يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ...**﴾

لما ذكر الله تعالى أنواعاً من كرامات الإنسان وأفضاله عليه في الدنيا، ذكر من أحوال الآخرة وما فيها من تفاوت شديد بين أهل السعادة وأهل الضلال والانحراف عن معالم الهدى الإلهي وأنه تعالى يحاسب كل أمة بإمامهم، أي بنبيهم فيقال: يا أمة إبراهيم، يا أمة موسى، يا أمة عيسى، يا أمة محمد أو بكتابهم الذي أنزل على نبيهم أو بكتبهم التي فيها رصد أعمالهم[٢].

ثانياً: أسباب النزول:

-﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...**﴾ روى الإمام ابن ماجه بسنده عن الفرات بن سلمان[٣]: أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا في سفر، فمروا ببرك فيها ماء فوضع بعضهم رءوسهم يشربون منها، فقال رسول الله: **(اغسلوا أيديكم واشربوا فيها)**[٤]، قال يحيى: سمعت بعضهم يقول: إن هذه الآية نزلت عند ذلك[٥].

---

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٧/ ٨٤)، التفسير الوسيط، للطنطاوي (٨/ ٣٩٩)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٤١).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ٣٧٦)، البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٧/ ٨٤)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٢٩)، تفسير المراغي، للمراغي (١٥/ ٧٧).

(٣) لم يجد الباحث ترجمته في كتب التراجم والأعلام. وإنما وثقه أحمد بن حنبل وقال عنه ثقة. انظر: موسوعة أقول الإمام أحمد في رجال الحديث، (٣/ ١٤٧).

(٤) سنن ابن ماجه: ك(الأشربة)، ب(الشرب بالأكف والكرع)، ح(٣٤٣٣)، ١١٣٥/٢، وضعفه الألباني.

(٥) تفسير يحيى بن سلام (١/ ١٥٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: المعنى اللغوي

١-﴿**بِإِمَامِهِمْ**﴾

الإمام: كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين. ابن الأعرابي في قوله: ﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**﴾، قالت طائفة: بكتابهم، وقال آخرون: بنبيهم وشرعهم، وقيل: بكتابه الذي أحصى فيه عمله. وسيدنا رسول الله -ﷺ- إمام أمته[١].

٢- ﴿**فَتِيلًا**﴾

فتل: الفاء والتاء واللام أصل صحيح يدل على لي شيء. من ذلك: فتلت الحبل وغيره. والفتيل: ما يكون في شق النواة كأنه قد فتل. والفتيل والفتيلة: ما فتلته بين أصابعك، وقيل: الفتيل ما يخرج من بين الإصبعين إذا فتلتهما. والفتيل: السحاة في شق النواة[٢].

رابعاً: الجانب البلاغي

١- في قوله تعالى:﴿**وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا**﴾

أي لا ينقصون من أجورهم قدر فتيل، وهو القشرة التي في شق النواة، أو هو عبارة عن أقل شيء ولم يذكر أصحاب الشمال تصريحاً أدنى شيء حقير من ذلك[٣].

٢- في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى**﴾

الأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته، لمن لا يهتدى إلى طريق النجاة: أما في الدنيا فلفقد النظر. وأما في الآخرة، فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه، ذكر سبحانه ما يدل على حالهم القبيح فقال: ومن كان في هذه أعمى أي من كان من المدعوين في هذه الدنيا أعمى: أي فاقد البصيرة. قال النيسابوري[٤]: "لا خلاف أن المراد بهذا العمى عمى القلب، وأما قوله: فهو في الآخرة أعمى فيحتمل أن

---

(١)انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٢/ ٢٤)، تهذيب اللغة، للأزهري (١٥/ ٤٥٧)، تاج العروس، للزبيدي (٣١/ ٢٤٧).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٤/ ٤٧٢)، لسان العرب، لابن منظور (١١/ ٥١٤)، القاموس المحيط، للفيروزآبادي (ص: ١٠٤١).

(٣)انظر: فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٩٣)، روح المعاني، للألوسي (٨/ ١٢١).

(٤) **النيسابوري**: الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوريّ، نظام الدين، ويقال له الأعرج: مفسر، له اشتغال بالحكمة والرياضيات. أصله من بلدة (قم) ومنشأه وسكنه في نيسابور. له كتب، منها (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) في ثلاثة مجلدات، يعرف بتفسير النيسابوريّ، ألفه سنة ٨٢٨ هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ٢١٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يراد به عمى البصر كقوله: ﴿**وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا**﴾ [سورة طه: ١٢٤-١٢٥] وفي هذا زيادة العقوبة". ويحتمل أن يراد عمى القلب(١).

خامساً: التفسير والبيان

لقد كرمنا بنى آدم بالعقل والتفكير فسخرنا له كل شيء في الكون كالماء والهواء والأثير، وكرمه بأن خلق له كل ما في السموات والأرض وكرمه في خلقه السوى وقامته المرفوعة، وكرمه بالتكليف وإرسال الرسل- عليهم الصلاة والسلام- خاصة محمداً ﷺ.

وها هي ذي بعض أنواع التكريم فقد حمله ربه في البر على الدابة والسيارة والدراجة والقطار وفي البحر على السفن، وفي الجو بالطائرة والقلاع الجوية.

وإنما لم تذكر لأنه كان يخاطب العرب الذين لا يمكنهم تصور هذا، ورزقناهم من الطيبات في المأكل والملبس، وفضلنا بنى آدم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً الله أعلم به.

وهنا بحث العلماء بحوثا كثيرة في تفضيل بنى آدم على الملائكة واختلفوا اختلافاً كثيراً، وليس في الآية دليل لواحد منهم(٢).

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- الرعاية الإلهية للإنسان

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ...**﴾ شمل الله الإنسان بالرعاية في جميع أحواله المادية والمعنوية، فالله سبحانه ينجّيه من مخاطر البحر والبر في سفره، وهو سبحانه يصون كرامته، ويحمي حقوقه، ويجعله خليفة الأرض، وقد سخر له جميع ما في السماوات والأرض من منافع وخيرات، وذلك ما لم يحظ به مخلوق آخر ولا جنس آخر، وتلك فضيلة تميز بها الإنسان، وجعلته يختص بخصائص لا مثيل لها(٣).

٢- تكريم الله للإنسان

﴿**...وفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾ لقد فضّل الله الإنسان على غيره بأربعة أشياء؛ حيث خلقه في أحسن تقويم وبالعقل والتفكير، وحمله في البر والبحر على الخيل والبغال والإبل والسفن، وكذلك

---

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٩٣)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٦٨٣).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ٣٦٥)، التفسير الواضح، لحجازي (٢/ ٣٨٣ وما بعدها)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١١٦وما بعدها).

(٣) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٢/ ٢٦٩)، التفسير الوسيط، للزحيلي (٢/ ١٣٧١)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٤١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرزق من الطيبات، وفضله على كثيرٍ من المخلوقات، وينسى الإنسان هذه الطيبات وهذا التفضيل من الألفة ولا يذكرها إلا حين يحرمها، فعندئذ يعرف قيمة ما يستمتع به، ولكنه سرعان ما يعود فينسى، فالشمس والهواء والماء والصحة والحواس والمطاعم والمشارب والكون والطيبات[١].

٣- دور الإمام القدوة

يجازى كل إنسان حسب إمامه الذي اتبعه، فأهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء يأخذون كتبهم بأيمانهم، وأتباع فرعون والنمرود فيأخذون كتبهم بشمالهم[٢].

٤- دور الأخلاق في توجيه الإنسان

هناك أنواع من الأخلاق الفاضلة والفاسدة، ويتجمع في كل إنسان نوع تلك الأخلاق، حسب الغالب عليه، وتكون تلك الأخلاق الباطنة كالإمام له والملك المطاع، ويوم القيامة يظهر يظهر الثواب والعقاب بناء على الأفعال الناشئة من تلك الأخلاق[٣].

٥- ذكر أحوال درجات الإنسان في الآخرة

الإنسان يوم القيامة فريقان: من أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلاً، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى عمى القلب، فالكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ستون ذرعاً على صورة آدم، حالهم في الآخرة من إيتاء الكتاب باليمين لأهل السعادة، ومن عمى أهل الشقاوة[٤].

٦- الفرق بين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال

خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع أن أصحاب الشمال يقرءونه أيضاً؛ لأن أصحاب الشمال إذا طالعوا كتابهم وجدوا فيه المهلكات العظيمة والقبائح الكاملة والمخازي الشديدة فيستولي الخوف والدهشة على قلوبهم، ويثقل لسانهم فيعجزوا عن القراءة[٥].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ١٦)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٢٦)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٤١).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢١/ ٣٧٦) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٢٩٧).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢١/ ٣٧٦).

(٤)انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٢٩٦)، البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٧/ ٨٩).

(٥)انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ٣٧٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧- **جزاء العمى عن قدرة الله:** عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "من كان في الدنيا أعمى عما يرى من قدرتي في خلق السموات والأرض والبحار والجبال والناس والدواب فهو عن أمر الآخرة أعمى وأضل سبيلا وأبعد عن تحصيل العلم به وعلى هذا الوجه فقوله ومن كان في هذه إشارة إلى الدنيا"[١].

٨- معنى العمى في الآية

المراد من كان في الدنيا أعمى القلب عن معرفة هذه النعم والدلائل فبأن يكون في الآخرة أعمى القلب عن معرفة أحوال الآخرة أولى فالعمى في المرتين حصل في الدنيا[٢].

المطلب الرابع: محاولات المشركين فتنة النبي -ﷺ- وطرده من مكة.

قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا * وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا * سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا** ﴾ [الإسراء:٧٣-٧٧].

أولاً: المناسبة

- ﴿ **وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ...**﴾

لما عدّد الله تعالى نعمه على بني آدم، وذكر حالهم في الآخرة من إيتاء الكتاب باليمين لأهل السعادة، ومن عمى أهل الشقاوة، أتبع ذلك بما يهمّ به الأشقياء في الدنيا من المكر والخداع والتلبيس على النبي -ﷺ- سيد أهل السعادة، المقطوع له بالعصمة.

وسبب هذه المساومات والخديعات: رجاؤهم أن يفتري على الله غير ما أوحى الله إليه من تبديل الوعد وعيداً، وبالعكس، وما اقترحته ثقيف من أن يضيف إلى الله ما لم ينزل عليه[٣].

---

(١) العظمة: لأبِي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، (١/ ٢٤٤).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ٣٧٧)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٢٩٨).

(٣) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٩٣)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٣٥)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٤٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: أسباب النزول

١- تعددت الروايات[١] في سبب نزول قوله تعالى:﴿**وَإِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ**﴾

أ- أخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم وابن إسحاق وغيرهم عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: خرج أمية بن خلف، وأبو جهل بن هشام، ورجال من قريش، فأتوا رسول الله -ﷺ-، فقالوا: يا محمد، تعال تمسّح بآلهتنا، وندخل معك في دينك، وكان يحب إسلام قومه، فرقّ لهم، فأنزل الله: ﴿**وَإِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ** ...إلى قوله: **نَصِيراً**﴾.

ب- أخرج أبو الشيخ ابن حيان الأنصاري عن سعيد بن جبير قال: كان رسول الله -ﷺ- يستلم الحجر، فقالوا: لا ندعك تستلم حتى تلمّ بآلهتنا، فحدّث نفسه وقال: ما عليّ أن ألمّ بها بعد أن يدعوني أستلم الحجر، والله يعلم، إني لها كاره، فأبى الله ذلك، وأنزل عليه هذه الآية. وأخرج نحوه عن ابن شهاب الزهري.

ج- قال عطاء[٢] عن ابن عباس-رضي الله عنهما-: نزلت في وفد ثقيف أتوا رسول الله - ﷺ- فسألوه شططاً وقالوا: متعنا باللات سنة وحرم وادينا كما حرمت مكة شجرها وطيرها ووحشها، وأكثروا في المسألة فأبى ذلك رسول الله - ﷺ- ولم يجبهم، فأقبلوا يكثرون مسألتهم وقالوا: إنا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم، فإن كرهت ما نقول وخشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل: الله أمرني بذلك، فأمسك رسول الله - ﷺ- عنهم وداخلهم الطمع، فصاح عليهم عمر: أما ترون رسول الله - ﷺ- أمسك عن جوابكم كراهية لما تجيئون به؟ وقد هم رسول الله ﷺ- أن يعطيهم ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

هـ- أن قريشاً خلوا برسول الله - ﷺ- ذات ليلة يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ويقاربونه، فقالوا: إنك تأتي بشيء لَا يأتي به أحد من الناس، وأنت سيدنا، وما زالوا به حتى يقاربهم في بعض ما يريدون فعصمه الله، وخير من هذا هو قول أكابر قريش للنبي - ﷺ-: اطرد عنا هؤلاء السقاط والموالي حتى نجلس معك ونستمع منك فهمَّ النبي - ﷺ- بذلك.

---

(١) انظر: روح المعاني، للألوسي (٨/ ١٢٢)، أسباب النزول، للواحدي (ص: ٢٨٩)، مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، السيوطي (ص: ٦٥)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٢٩٩).

(٢) **عطاء بن أبي رباح**: أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم - وقيل سالم - بن صفوان مولى بني فهر أو جمح المكي، وقيل إنه مولى أبي ميسرة الفهري، من مولدي الجند؛ كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها، سمع جابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وخلقاً كثيراً من الصحابة، رضوان الله عليهم، وروى عنه عمرو بن دينار والزهري وقتادة وملك بن دينار والأعمش والأوزاعي وخلق كثير، رحمهم الله تعالى وإليه وإلى، وإلى مجاهد انتهت فتوى مكة في زمانهما. قال قتادة: أعلم الناس بالمناسك عطاء. وقال إبراهيم بن عمر ابن كيسان: أذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج صائحاً يصيح: لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح. وفيات الأعيان، لابن خلكّان (٣/ ٢٦١)، طبقات الفقهاء، للشيرازي (٦٩/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والذي يراه الباحث أن الرواية الأخيرة هي أصح الروايات، وهو ترجيح الإمام محمد أبي زهرة في تفسيره[١].

٢- ورد في سبب نزول قوله: ﴿**وَإِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ**﴾ روايتان[٢]:

أ- أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن عبد الرحمن بن غنم: أن اليهود أتوا النبي -ﷺ-فقالوا: إن كنت نبيا فالحق بالشام، فإن الشام أرض الحشر، وأرض الأنبياء، فصدّق رسول الله -ﷺ-ما قالوا، فغزا غزوة تبوك يريد الشام، فلما بلغ تبوك، أنزل الله آيات من سورة بني إسرائيل، بعد ما ختمت السورة: ﴿**وَإِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها**﴾ وأمره بالرجوع إلى المدينة، وقال له جبريل: سل ربك، فإن لكل نبي مسألة، فقال: ما تأمرني أن أسأل قال: ﴿**قُلْ: رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ، وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً**﴾[سورة الإسراء: ٨٠]، فهؤلاء نزلن في رجعته من تبوك.

ب- روي أنه لما نزلت قال رسول الله -ﷺ-: **(اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين)**. {حلية الأولياء}

ثالثاً: المعنى اللغوي

١- ﴿**لَيَفْتِنُونَكَ**﴾

أي يوقعونك في بلية وشدة في صرفهم إياك عما أوحى إليك، أي يميلونك ويزيلونك. ابن الأنباري: وقولهم فتنت فلانة فلانا، قال بعضهم: معناه أمالته عن القصد، والفتنة في كلامهم معناه المميلة عن الحق. قيل: يستزلّونك[٣].

٢- ﴿**تَرْكَنُ**﴾

الركون السكون إلى الشيء والميل إليه، لأن أهلها يركنون إليه، أي يسكنون ويميلون. أي: كدت تميل إليهم[٤].

٥- ﴿**لَيَسْتَفِزُّونَكَ**﴾

استفزه: أخرجه من داره وأزعجه إزعاجاً يحمله على الاستخفاف. وقيب: أفززته وأفزعته سواء، وفي بعض النسخ: أزعجته. ومعنى **يستفزونك**: ليقتلونك، وقال أهل السنة: كادوا ليستخفونك: أفزاعا

---

(١) انظر: زهرة التفاسير (٨/ ٤٤٣١).

(٢) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٢٤)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٠/ ٢٠٣)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (٦/ ١١٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٢/ ١٧٦)، غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٢١٩)، لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٣١٩).

(٤) انظر: تاج العروس، للزبيدي (٣٥/ ١١٠)، غريب القرآن، للسجستاني (ص: ١٤٣)، المغرب في ترتيب المعرب، للخوارزمي (ص: ١٩٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بحملك على خفة الهرب. ليستخفونك وإذا لا يلبثون من الأرض (خلافك إلا قليلاً) يقول: إنك لو خرجت ولم يؤمنوا لنزل بهم العذاب[١].

رابعاً: الجانب البلاغي

١- في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى**﴾

العمى هنا هو عدم إدراك النعمة أو عدم شكرها والكفر بها، ففي الكلام استعارة مكنية حيث شبه عمى القلب بعمى البصر بجامع عدمِ الإدراك في كُلٍّ، فمن عمى في الدنيا لَا يدرك النعم أو يدركها ولا يشكرها[٢].

٢- في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ** ﴾

استعارة، استعار الإمام الذين يتقدم الناس في الصلاة لكتاب الأعمال، لملازمته الإنسان وتقدمه يوم القيامة[٣].

٣- في قوله تعالى: ﴿**وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً**﴾

استعارة تمثيلية، أي لا ينقصون من ثواب أجورهم ولو بمقدار خيط شق النواة، وهو مثل للقلة[٤].

٤- في قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ**﴾

تفصيل بعد إجمال، بعد ذكر كتاب الأعمال[٥].

٥- في قوله تعالى: ﴿**لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ**﴾ وجهان بلاغيان:

أ- الحذف: أصل الكلام: لأذقناك عذاباً ضعفاً في الحياة، وعذاباً ضعفاً في الممات. ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف. ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل: ضعف الحياة، وضعف

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٥٤)، معاني القرآن، للفراء (٢/ ١٢٩)، تهذيب اللغة، الأزهري (١٣/ ١١٩).

(٢) زهرة التفسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٤٢٨)، وانظر: تفسير القرآن، للسمعاني (٣/ ٢٦٤)، مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ٣٧٧) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (٨/ ٧٢).

(٣) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ٤٧٨)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٢٨)، صفوة التفاسير، للصابوني (٢/ ١٥٩).

(٤)انظر: التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٣٢)، صفوة التفاسير، للصابوني (٢/ ١٦٠)، الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٦٨٣).

(٥) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٣٢)، صفوة التفاسير، للصابوني (٢/ ١٦٠)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ١٦٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الممات، كما لو قيل: لأذقناك أليم الحياة وأليم الممات[1].

ب- بينهما طباق[2].

٦- في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ**﴾ مبالغة في تقليل الكيدودة، لأن مجرد الملاينة التي تقتضيها السياسة واستماله القوم، أخذت على النبيّ -ﷺ-؛ لأن الذنب يعظم بحسب فاعله، على ما ورد من أن «حسنات الأبرار سيئات المقربين»[3].

خامساً: التفسير والبيان

اذكروا أيها الناس يوم ندعو كل جماعة بإمامهم وقائدهم فيقال مثلا يا أمة موسى يا أمة عيسى. يا أمة محمد، يا أمة فرعون: يا أمة نمرود، ويا أتباع فلان وفلان من رؤساء الكفر وزعماء الشرك.

وقيل المعنى يقال لهم: يا أهل التوراة، ويا أهل الإنجيل، ويا أهل القرآن ماذا عملتم في كتابكم؟! وقيل المراد بإمامهم: كتاب أعمالهم نظرا إلى قوله تعالى وكل شيء أحصيناه في إمام مبين.

فإذا نودي الناس يوم القيامة، فمن أوتى كتابه الذي فيه أعماله بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم فرحين مسرورين قائلين لإخوانهم: هلموا اقرءوا كتابنا، وهم لا يظلمون فتيلا ولا يضيع عليهم مثقال ذرة من أعمالهم.

وأما الصنف الثاني: وهو من يؤتى كتابه بشماله، فأولئك يصدمون من هول الموقف ويقفون حيارى، وهؤلاء قد عبر عنهم القرآن بقوله: ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب والبصيرة، ولم يهتد إلى طريق الحق والنور فهو في الآخرة أعمى لا يهتدى إلى طريق النجاح والفلاح بل هو في الآخرة أضل سبيلاً.

ولولا أن ثبتناك وعصمناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً، إنك لو فعلت ذلك لأذقناك ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الموت.

وفي قوله- سبحانه-: كدت، شيئاً قليلاً، ثم مضاعفة العذاب في الدنيا والآخرة دليل على أن جرم العظيم عظيم.

وفيها إشارة إلى أن التهاون في شأن الدين وأحكامه خطر وأى خطر!!! وعليه عذاب مضاعف في الدنيا والآخرة، فيا ويلنا مادمنا نتهاون في شأن الدين وحكمه. وعلى المؤمنين جميعا إذا قرءوا هذه الآيات أن

---

(١) الجدول في إعراب القرآن، لمحمود صافي (١٥/ ٩٣).

(٢) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٣٢)، صفوة التفاسير، للصابوني (٢/ ١٦٠).

(٣)الجدول في إعراب القرآن، لمحمد صافي (١٥/ ٩٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يملؤوا قلوبهم خشية وخوفاً وتصلباً في دين الله، ولقد صدق رسول الله -ﷺ- في قوله: **(اللهمّ لا تكلني إلى نفسي طرفة عين)** [١].

وإن كاد أهل مكة ليزعجونك بعداوتهم، ويستفزونك من أرضها ليخرجوك منها، إنهم إن فعلوا ذلك وأخرجوك كرها لا يبقون بعدك إلا قليلاً[٢].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- ما يقدّم الناس من أعمال يوم القيامة هو المقصود الجوهري والغاية الأصلية من خلق الله للناس، في هذا اليوم الذي يحاسب فيه كل أمة متجمعة مع إمامهم وقائدهم[٣].

٢- كل أمة تتبع إمامها وزعيمها وقائدها، في السعادة والشقاء، فيقال مثلا: يا أمة محمد، يا أمة موسى، يا أمة عيسى، يا أمة فرعون وأتباعه، يا أمة النمروذ، يا أتباع فلان وفلان من زعماء الكفر، وفي ذلك الحساب تصفّى القضايا.

٣- من أعطي من الناس كتابه بيمينه فهو علامة على القبول، فأولئك يتفاخرون، ويقرءون كتابهم بفرح وسرور، بما تضمنه من العمل الصالح، ولا يظلمون فتيلاً، أي لا ينقصون أدنى شيء من جزاء أعمالهم الصالحة، ومن ثوابهم لا أقل ولا أكثر من الفتيل[٤].

٤- في قوله: ﴿**يَقْرَؤُنَ كِتَابَهُمْ**﴾ عبارة عن سرور المؤمنين بكتابهم، فهم يرددون القراءة ويتناقلونها، افتخاراً بالفوز والفلاح والنجاح.

٥- محبة الناس للنبي محمد- ﷺ-، حيث كان محبوباً في قومه يألفونه، ويكبرونه ويعدونه فيهم خيرهم أمانة وصدقاً وقوة خلق، فلما صار رسولاً ذهب هذا الشعور عند بعضهم، بسبب الذي جاء به، وما هم عليه من باطل يستمسكون به[٥].

٦- غفلة الإنسان عن أمور الآخرة، ومن كان في هذه الحياة الدنيا أعمى عن حجج الله وبيناته وآياته التي أبانها في الكون، فهو يكون كذلك أشد حيرة وأعمى البصيرة والقلب في الآخرة، لأنه قد باشر الخيبة،

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نُعيم، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، (٧/ ٢٣٨).

(٢) انظر: البحر المحيط في التفسير، للرازي (٧/ ٨٦)، تفسير المراغي، للمراغي (١٥/ ٧٨)، التفسير الواضح، لمحمود حجازي (٢/ ٣٨٨).

(٣) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (٢/ ١٣٧٣).

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٥)انظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٤٣٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ورأى مخايل العذاب، لا يجد طريق النجاة، بل وأضل سبيلاً من الأعمى في الدنيا[1].

٧- مشهد من مشاهد يوم القيامة، حين تتطاير الصحف أو الكتب في الجو وتوضع في الإيمان لأهل الإيمان، وفي الشمائل لأهل الكفر. أما المذنبون المخطئون من المؤمنين فيتسلمون كتبهم بأيمانهم، فيستفيدون منها أنهم غير مخلّدين في النار.

٨- بيان العمى الحقيقي، فإن من عمي عن شكر نعم الله والإيمان بمسديها ومعطيها، فهو في الآخرة وشأنها أعمى بعيد عن نوال ثمرة الإيمان والشكر على أفضال الله تعالى.

٩- جعل الكافر في الآخرة أضل سبيلاً؛ لأنه في الدنيا ممكن أن يؤمن فينجو، وفي الآخرة لا يمكنه ذلك، فهو أضل سبيلاً، وأشد حيرة، وأقرب إلى العذاب[2].

١٠- محاولات المشركين فتنة النبي وطرده من مكة، وذلك بالمكائد والخداع لصرفه عن شريعة الله وأوامره، ليقر بما هم عليه من عبادة الأصنام، فلما فشلوا، توعدوا النبي -ﷺ- بالطرد والإجلاء من مكة، لكنهم لم يفلحوا فكانت الهزيمة لهم، والنجاح للنبي وأتباعه.

١١- عادة الله في نصرة أنبيائه، فكل قوم أخرجوا رسولهم من أراضيهم، فسنة الله أن يهلكهم، ولولا أنه -ﷺ-الرحمة المهداة لجميع الخلائق، لجاءهم من النقم في الدنيا ما لا قبل لأحد به، ولا تغيير لسنة الله، ونظامه أو قانونه، وعادته، ولا خلف في وعده.

١٢- فشل مساعي وإحباط مخططاتهم في النيل من النبي ودعوته، وهو إنذار لكل من يهادن أئمة الضلال والكفر ويجاملهم في ضلالهم وغيهم، أو يحاول تبديل كلام الله وشرعه، وإعلان لعصمة النبي -ﷺ- عن التقصير في شيء.

١٣- سوء عاقبة المشركين وتوالي الهزائم عليهم وسقوط الوثنية، وحين تم لهم إبعاد النبي -ﷺ-من مكة وإخراجه منها، لم يضمنوا لأنفسهم السعادة والاستقرار والهناءة، وتعرضوا للعذاب والتدمير، والقتل والتشريد، ومن آمن منهم برسالة النبي -ﷺ- ونجا.

١٤- كان محمد -ﷺ- يحب هداية قومه؛ لأنهم قومه ولأنه داعية الحق يريد أن يؤمن الناس به فهو يحاول أن يستدنيهم ويتمنون أن يترك هداية اللّه إلى ضلالهم[3].

١٥- شفقة النبي -ﷺ- على أمته، ورغبته في اقترابهم من الإسلام وفي تأمين المسلمين، جعلته يفكر أن يجيبهم إلى بعض ما دعوه إليه لتخفيف الإغلاظ عليهم أو إنظارهم أو إرضاء بعض أصحابه بالتخلي

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (٢/ ١٣٧٣).

(٢)انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (٢/ ١٣٧٣).

(٣)انظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٤٣٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن مجلسه حين يحضره صناديد المشركين وهو يعلم أنهم ينتدبون إلى ذلك لمصلحة الدين أو نحو ذلك مما فيه مصلحة لنشر الدين[١].

١٦- تثبيت الله لنبيه محمد-ﷺ-، فلا جدوى من مكايد قريش؛ لأن تثبيت الله دائم مستمر.

١٧- فوائد تثبيت الله لنبيه؛ الاستمرار على دعوة الحق دون مبالاة في شيء ودون تهاون، أن الله مؤيده في الدعوة، وهو يعصمه نفسياً وجسدياً، فلا ينالون منه؛ لأن الله معه، وأن إرادة الرسول لهدايته لا يمكن أن يأتوا من قبلها[٢].

١٨- أذية المشركين للمؤمنين في مكة، حتى إن منهم من مات تحت حر العذاب كأم عمار بن ياسر وأبيه، وحتى إن منهم من نطق بالكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، وقد هاجر منهم فراراً من الأذى إلى الحبشة طائفة من المؤمنين استنقاذا لإيمانهم وقد هاجروا مرتين[٣].

١٩- ثبات النبي -ﷺ- في مكة، يشارك من لم يستطع السفر الأذى والمصابرة، ولو خرج لضاقوا في أنفسهم، واشتد بهم الألم بعدم من يشاركهم، وهو قطب الدعوة[٤].

٢٠- بيان القرآن المعجز، ذلك القرآن الذي لا يستطيع الإنسان والجن أن يأتوا بمثله ولو اجتمعوا وتظاهروا، والذي صرف الله فيه دلائل الهدى ونوعها لتخاطب كل عقل وكل قلب[٥].

٢١- عدم إغناء القرآن كفار قريش، فطلبوا الخوارق المختلفة، وعرض السياق مشهداً من مشاهد القيامة يصور فيه عاقبتهم التي تنتظرهم جزاء هذا العنت، وجزاء تكذيبهم بالآخرة، واستنكارهم البعث وقد صاروا عظاماً ورفاتاً[٦].

٢٢- ﴿**ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا**﴾ ينقذك مما يحل بك من العذاب، ولكن الله تعالى عصمك من أسباب الشر، ومن البشر فثبتك وهداك الصراط المستقيم، ولم تركن إليهم بوجه من الوجوه، فله عليك أتم نعمة وأبلغ منحة[٧].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ١٧٢).
(٢) انظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٤٣١)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ١٧٥).
(٣) انظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٤٣٣).
(٤) انظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٤٣٣).
(٥) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٤٤).
(٦) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٧) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٤٦٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٥- ﴿**وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً**﴾ دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه، وأنه ينبغي له أن لا يزال متملقًا لربه، أن يثبته على الإيمان، ساعيا في كل سبب موصل إلى ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أكمل الخلق(١).

٢٣- محاولات أصحاب السلطان مع أصحاب الدعوات دائماً، إغرائهم لينحرفوا- ولو قليلاً- عن استقامة الدعوة وصلابتها، ويرضوا بالحلول الوسط التي يغرونهم بها في مقابل مغانم كثيرة(٢).

٢٤- ﴿ **وَإِن كَادُوا**﴾ ذكر محاولتهم ولم يذكر استجابة النبي - ﷺ- ومعاذ الله أن يستجيب خاتم النبيين، ولكن رغبة النبي -ﷺ- في أن يجذبهم إلى الإسلام ربما كانت سببا في أن يقارب بما دون الاستجابة(٣).

٢٥- دخول الشيطان من باب تزيين الأعمال، ويتصور أن خير الدعوة في كسب أصحاب السلطان إليها ولو بالتنازل عن جانب منها! ولكن الانحراف الطفيف في أول الطريق ينتهي إلى الانحراف الكامل في نهاية الطريق(٤).

٢٦- أهمية الدعوة ومكانتها في قلب الداعية، فكل جانب من جوانبها هو حق كالآخر، وليس فيها فاضل ومفضول، وليس فيها ضروري ونافلة. وليس فيها ما يمكن الاستغناء عنه، وهي كلّ متكامل يفقد خصائصه كلها حين يفقد أحد أجزائه(٥).

المطلب الخامس: تشريع الصلاة وإعلان الحق.

قال تعالى: ﴿ **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا * وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا *وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾.[الإسراء:٧٨-٨١].

أولاً: المناسبة

- ﴿ **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ...**﴾ بعد أن ذكر الله تعالى كيد الكفار واستفزازهم للرسول -ﷺ-، وما كانوا يرومون به، أمره تعالى بالإقبال على عبادة ربه، وألا يشغل قلبه بهم. وقد تقدم القول في الإلهيات والمعاد والنبوات، فأردف ذلك بالأمر بأشرف العبادات والطاعات بعد الإيمان، وهي الصلاة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٤٦٤).
(٢) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ٢٢٤٥).
(٣) زهرة التفاسير (٨/ ٤٤٣١).
(٤) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ٢٢٤٥).
(٥) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ٢٢٤٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم وعده ربه في الآخرة بالمقام المحمود وهو الشفاعة العظمى باتفاق المفسرين، ولما أمره تعالى بإقامة الصلاة والتهجد ووعده بالمقام المحمود، أمره بأن يدعوه بما يشمل الأمور الدينية والأخروية بقوله: ﴿**وَقُلْ: رَبِّ أَدْخِلْنِي...**﴾، والظاهر – كما قال أبو حيان– أنه عام في جميع موارده ومصادره دنيوية وأخروية. والصدق هنا: لفظ يقتضي رفع المذامّ، واستيعاب المدح.

ثم أبان الله تعالى أن ما أنزل عليه من القرآن فيه شفاء النفوس والقلوب من الداء الحسي والمعنوي وهو مرض الاعتقاد، ثم عرّض بما أنعم به، وما حواه من لطائف الشرائع على الإنسان، وإعراضه عنه تكبرا، ثم رد على اليهود والمشركين المعرضين عن الإيمان، السائلين عن الروح تعنتاً وتعجيزاً[1].

ثانياً: سبب النزول

– قوله تعالى: ﴿**رَبِّ أَدْخِلْنِي**﴾

أخرج الإمام الترمذي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: كان النبي –ﷺ– بمكة، ثم أمر بالهجرة، فنزلت عليه: وَقُلْ: ﴿**رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ**﴾[2].

ثالثاً: المعنى اللغوي

١– ﴿**لِدُلُوكِ**﴾

(دلك) الشيء من باب نصر و(دلكت) الشمس زالت وبابه دخل، وجاء عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: هو زيغوغتها وزوالها للظهر. قال غيره: ورأيت العرب تذهب بالدلوك إلى غياب الشمس. ودلوك الشمس زوالها وميلها في وقت الظهيرة، وكذلك ميلها إلى الغروب هو دلوكها أيضاً، يقال: قد دلكت براح وبراح. دلكت: زالت عن كبد السماء. وقيل: أي قد مالت للزوال حتى صار الناظر يحتاج إذا تبصرها أن يكسر الشعاع عن بصره براحته[3].

٢– ﴿ **فَتَهَجَّدْ**﴾

هجد وتهجد أي نام ليلاً. وهجد وتهجد أي سهر، وهو من الأضداد، أي اسهر به. يقال: تهجدت: إذا سهرت. وهجدت: إذا نمت. وقيل تهجد: أي استيقظ: هجد: نام، وتهجد استيقظ، ومثله: حنِث وتحنث،

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٣٠٣)، فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٢٩٧)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٤٣).

(٢) سنن الترمذي: ك(أبواب تفسير القرآن)، ب(ومن سورة بني إسرائيل)، ح(٣١٣٩)، ٥/٣٠٤. وقال: "حديث حسن صحيح"، وضعفه الألباني.

(٣)انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٨/ ٣١)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٥٥)، مختار الصحاح، للرازي (ص: ١٠٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتهجد: ترك النوم للصلاة، فإن لم ينم قبله فليس بتهجد، وإن استيقظ ولم يصل فليس بتهجد، يقال تهجد الرجل إذا سهر، وهجد إذا نام، وقد هجدته إذا نومته[١].

٣- ﴿مَقَامًا مَحْمُودًا﴾

المقام المحمود: الذي يحمده فيه جميع الخلق لتعجيل الحساب والإراحة من طول الوقوف. وأكثرهم على أن المقام المحمود هو الشفاعة[٢].

٩- ﴿مُدْخَلَ﴾و﴿مُخْرَجَ﴾

قال الجوهري[٣]: قد يكون المخرج موضع الخروج. يقال: خرج مخرجا حسنا، وهذا مخرجه. وأما المخرج فقد يكون مصدر قولك أخرجه، والمفعول به واسم المكان والوقت، تقول: أخرجني مخرج صدق، وهذا مخرجه، وقال مجاهد: هو دخوله في الرسالة وأمر الله -ﷻ-، قال الحسن وقتادة هو دخول المدينة وخروجه من مكة وقال الضحاك: "هو خروجه من مكة ودخوله مكة يوم الفتح آمناً"، قال ابن عباس: "أمتني إماتة صدق، وأخرجني من قبري يوم القيامة مخرج صدق"[٤]. وقيل: الإدخال في الدين والخروج من الدنيا وهو على الحق، وقيل: أدخلني في الجنة وأخرجني من الدنيا[٥].

٤- ﴿سُلْطَانًا﴾

قال الضحاك: «سلطاناً» أي كتاباً، وزعم الفراء أن العرب تؤنث السلطان، وتقول: قضت به عليك السلطان. فأما البصريون فالتذكير عندهم أفصح، وبه جاء القرآن، والتأنيث جائز عندهم لأنه بمعنى الحجة. وقولنا سلطان معناه صاحب سلطان أي صاحب الحجة. والسلطان: الملك والقهر، فإذا لم يكن

---

(١)انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، للكرماني (١/ ٦٣٨)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٥٦)، غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٢٦٠).

(٢)انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٥٦)، معاني القرآن، للنحاس (٤/ ١٨٥)، لسان العرب، لابن منظور (٣/ ١٥٧).

(٣) **الجوهري**: إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر الفارابي، ابن أخت أبي إسحاق الفارابي صاحب «ديوان الأدب» ، وكان الجوهري هذا من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما، وأصله من بلاد الترك من فاراب، وهو إمام في علم اللغة والأدب، وخطّه يضرب به المثل في الجودة، مات سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة. معجم الأدباء (٢/ ٦٥٦)، إنباه الرواة (٢٢٩/١)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص: ٢٥٢).

(٤) جامع البيان، للطبري (١٧/ ٥٣٤).

(٥) انظر: معاني القرآن، للنحاس (٤/ ١٨٥)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٥٧)، معاني القرآن، للفراء (٢/ ١٢٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملك وقهر فهو بمعنى حجة وبرهان، والسلطان معناه ذو السلطان. والسلطان الحجة. والاحتجاج والحجة معناهما[١].

٥- ﴿الْبَاطِلَ﴾

بطل: الباء والطاء واللام أصل واحد، وهو ذهاب الشيء وقلة مكثه ولبثه. يقال: بطل الشيء يبطل بطلا وبطولاً. وسمي الشيطان الباطل لأنه لا حقيقة لأفعاله، وكل شيء منه فلا مرجوع له ولا معول عليه[٢].

بطل الشيء يبطل بطلاً وبطولاً وبطلاناً: ذهب ضياعاً وخسراً، فهو باطل، وأبطله هو. ويقال: ذهب دمه بطلا أي هدراً. وبطل في حديثه بطالة وأبطل: هزل، والاسم البطل. والباطل: نقيض الحق، والجمع أباطيل[٣].

٦- ﴿زَهُوقًا﴾

زهق: الزاء والهاء والقاف أصل واحد يدل على تقدم ومضي وتجاوز. الزهق، وهو قعر الشيء؛ لأن الشيء يزهق فيه إذا سقط.

زهق: زهق الشيء يزهق زهوقاً، فهو زاهق وزهوق: بطل وهلك واضمحل. وزهق الباطل إذا غلبه الحق، وقد زاهق الحق الباطل. وزهق الباطل أي اضمحل، وأزهقه الله. وزهوق النفس: بطلانها. وقال قتادة: وزهق الباطل يعني الشيطان، وزهقت نفسه تزهق زهوقا وزهقت، لغتان: خرجت، عن قتادة قال الحق القرآن والباطل الشيطان قال وزهق هلك، **زهوقاً** والزاهق والزهوق في اللغة الذي لا ثبات له[٤].

رابعاً: الجانب البلاغي

١- في قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ وجهان بلاغيان:

أ- المجاز المرسل: أطلق **لجزء** على الكل أي قراءة الفجر والمراد بها الصلاة لأن القراءة جزء منها فالعلاقة الجزئية[٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٥٧)، معاني القرآن، للنحاس (٤/ ١٨٦)، غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٣٣).

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس (١/ ٢٥٨).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (١١/ ٥٦).

(٤) انظر: إعراب القرآن، للنحاس (٢/ ٢٨١)، لسان العرب، لابن منظور (١٠/ ١٤٧)، مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ٣٢).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٣٤٤)، الجدول في إعراب القرآن، لمحمود صافي (١٥/ ٩٩)، صفوة التفاسير، للصابوني (٢/ ١٦٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب- الإظهار في مقام الإضمار لمزيد الاهتمام والعناية ﴿**إِنَّ قُرْآنَ الفجر كَانَ مَشْهُوداً**﴾ بعد قوله ﴿**وَقُرْآنَ الفجر**﴾[1].

٢- في قوله تعالى: ﴿**قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً**﴾

تذييل، وهذا الفن هو: أن يذيل الناظم والناثر كلامه، بعد تمامه وحسن السكوت عليه، بجملة تحقيق ما قبلها من الكلام، وتزيده توكيداً، وتجري فيه مجرى المثل، لزيادة التحقيق. وهذه الآية من أعظم الشواهد عليه، فالجملة الأخيرة هي التذييل الذي خرج مخرج المثل السائر[2].

خامساً: التفسير والبيان

يا أيها النبي أقم الصلاة، وأت بها مقومة تامة الأركان مستوفية الشروط والآداب فهي عماد الدين، وصلة العبد بخالقه. والأمر للنبي -ﷺ- أمر لأمته، وإنما خص به لمكانة المأمور بها وهي الصلاة.

أقم الصلاة من دلوك الشمس- وهو زوالها عن كبد السماء- إلى غسق الليل واجتماع الظلمة ولعل السر في التعبير باللام بدل من قوله دلوك: الإشارة إلى أن الوقت سبب في إقامة الصلاة، وشرط فيها.

وأقم قرآن الفجر والمراد صلاة الصبح، إن قرآن الفجر كان مشهودا من الملائكة حرس الليل وحرس النهار، ومن يوفق لصلاة الفجر، والتعبد في السحر والتهجد في الليل يدرك السر ويشعر بأنها صلاة مشهودة، ودرجة مرفوعة، وفقنا الله لها.

وبعض الليل فتهجد بالقرآن والصلاة نافلة زائدة عن الفرائض المطلوبة، عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا. وعسى من الكريم إطماع محقق الوقوع، والمقام المحمود والمكان المرموق والمركز المعلوم المعد للنبي -ﷺ-مقام الشفاعة التي يتخلى عنها كل نبي ورسول، قائلا للخلق: عنى عنى اذهبوا إلى غيرى. ويقول الرسول -ﷺ-أنا لها: فيشفع للخلق جميعًا حين يضيق بهم الأمر. وتدنو الشمس من الرءوس، ويتمنون الانصراف ولو إلى النار، وقيل المقام المحمود غير ذلك.

وقل يا محمد: رب أدخلنى مدخل صدق الذي وعدتني به، وأخرجنى مخرج صدق وإضافة المدخل والمخرج إلى الصدق لأجل المبالغة، والآية تشمل كل مدخل للنبي وكل مخرج، كدخوله المدينة، وخروجه من مكة مثلا، واجعل لي في هذا سلطانا وحجة قوية.

وقل يا محمد: جاء الحق وزهق الباطل وقد قالها النبي -ﷺ-حين كسر الأصنام وهو يفتح مكة.

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٥/ ١٨٩)، الجدول في إعراب القرآن، لمحمود صافي (١٥/ ٩٩)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٤٠).

(٢)انظر: الجدول في إعراب القرآن (١٥/ ١٠٠)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ١٨٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمراد بالحق: الإسلام أو كل ما هو حق. والمراد بالباطل: الشرك أو كل متناف مع الحق، إن الباطل شأنه الزهوق، وعدم الثبات[١].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- الصلاة وعظمتها ومكانتها، فالمراد بإقامة الصلاة أداؤها على الوجه الذي سنه الدين، والنّهج الذي شرطه، من توجيه القلب إلى مناجاة الرب، والخشية منه في السر والعلن، مع اشتمالها على الشرائط والأركان التي أوضحها الأئمة المجتهدون والصلاة لبّ العبادة، لما فيها من مناجات الخالق، والإعراض عن كل ما سواه، ودعائه وحده[٢].

٢- ﴿**إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً**﴾ في الفجر تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار وتشهده جميعاً، ثم يصعد أولئك ويقيم هؤلاء، كما ورد في الحديث: **(يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح، وفي صلاة العصر)** [٣].

٣- أسباب تخصيص الفجر بالشهود؛ لأن الإنسان يشهد فيه آثار القدرة وبدائع الحكمة، في السموات والأرض، فهناك الظلام الحالك الذي يزيله النور الساطع، وهناك يقظة النوم بعد الخمود والغيبوبة عن الحس إلى نحو ذلك من مظاهر القدرة في الملك والملكوت، فكل العالم يقول بلسان حاله أو مقاله «سبّوح قدّوس، رب الملائكة والروح»[٤].

٤-**أهمية صلاة الفجر**: تشريع الصلاة من أسباب قوة الأمة، وهذه المقومات الأساسية تجعل من المسلم والمجتمع والأمة قوة صلبة في دينها، وصادقة في عزيمتها وتوجهاتها، وما أحوجنا في كل زمان ومكان إلى صلابة الرجال، وصدق العزائم، والخشوع لله ﷻ في الصلوات، والابتهالات والقربات[٥].

٥- **الحث على صلاة التهجد**: الصلاة خير عون للعبد، فتربية شخصية المسلم تعتمد على وصله بربه، وتقوية ثقته بخالقه مصرّف الأشياء، ومدبّر الكون، لذا من أجل صبر الرسول -ﷺ-على أذى قومه ومحاولاتهم الخائبة لفتنته واستفزازه وطرده، أمره الله بالإقبال على عبادة ربه، وألا يشغل قلبه بهم، فأمره بالصلاة[٦].

---

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير، للرازي (٧/ ٨٦)، تفسير المراغي، للمراغي (١٥/ ٧٨)، التفسير الواضح، لمحمود حجازي (٢/ ٣٨٨).

(٢) انظر: تفسير المراغي (١٥/ ٧٨).

(٣) صحيح البخاري: ك(مواقيت الصلاة)، ب(فضل صلاة العصر)، ح(٥٥٥)، (١/ ١١٦).

(٤) انظر: تفسير المراغي (١٥/ ٨٣).

(٥) التفسير الوسيط، للزحيلي (٢/ ١٣٧٦).

(٦) انظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (٢/ ١٣٧٧)، زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٤٣٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦- بقاء الحق وثباته، فالحق باقٍ؛ لأن من ذاته يستمد عناصر وجوده. وقد تقف ضده الأهواء وتقف ضده الظروف ويقف ضده السلطان.. ولكن ثباته واطمئنانه يجعل له العقبى ويكفل له البقاء، لأنه من عند الله الذي جعل «**الْحَقُّ**» من أسمائه وهو الحي الباقي الذي لا يزول[١].

٧- **زهوق الباطل واندحاره وجلاؤه:** لأن من طبيعته طبيعة الصدق أن يحيا ويثبت، ومن طبيعة الباطل أن يتوارى ويزهق، ﴿**إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾ وإن بدا للنظرة الأولى أن للباطل صولة ودولة. فالباطل ينتفخ ويتنفج وينفش، لأنه باطل لا يطمئن إلى حقيقة، لكنه هش سريع العطب، كشعلة الهشيم ترتفع في الفضاء عاليا ثم تخبو سريعاً وتستحيل إلى رماد[٢].

٨- ﴿**إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾ هذا وصف الباطل، ولكنه قد يكون له صولة وروجان إذا لم يقابله الحق فعند مجيء الحق يضمحل الباطل، فلا يبقى له حراك، ولهذا لا يروج الباطل إلا في الأزمان والأمكنة الخالية من العلم بآيات الله وبيناته[٣].

٩- ﴿**إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾، ومن ورائه الشيطان، ولكن وعد الله أصدق، وسلطان الله أقوى. وما من مؤمن ذاق طعم الإيمان، إلا وذاق معه حلاوة الوعد، وصدق العهد. ومن أوفى بعهده من الله؟ ومن أصدق من الله حديثاً[٤].

١٠- الروح أبقى من الجسد، فالروح الباقي بعد الموت هو الروح الذي كان في هذه الحياة الدنيا، وقد خرج من الجسم وكأنه ولد منه كما تلد المرأة الصبى، فهكذا الروح الباقي هو هذا الروح نفسه قد خرج بجميع صفاته وأخلاقه وأعماله، فهو ينظر إلى نفسه وينفر أو ينشرح بحسب ما يرى[٥].

المطلب السادس: القرآن والروح.

قال تعالى: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا * وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا * قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا * وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الإسراء:٨٢-٨٥].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٤٧).

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٤٦٥).

(٤) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ٢٢٤٧).

(٥) انظر: تفسير المراغي (١٥/ ٧٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً: المناسبة

١- قوله تعالى: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ...**﴾

اعلم أنه تعالى لما أطنب في شرح الإلهيات والنبوات والحشر والمعاد والبعث وإثبات القضاء والقدر ثم أتبعه بالأمر بالصلاة ونبه على ما فيها من الأسرار، وإنما ذكر كل ذلك في القرآن أتبعه ببيان كون القرآن شفاء ورحمة فقال﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ...**﴾ [١]. الآية

٢- قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**﴾

لما ذكر سبحانه ما في القرآن من المنفعة لعباده المؤمنين ذكر ما فيه لمن عداهم من المضرة عليهم فقال: ولا يزيد الظالمين إلا خسارا أي: ولا يزيد القرآن كله أو بعض منه الظالمين الذين وضعوا التكذيب موضع التصديق، والشك والارتياب موضع اليقين والاطمئنان إلا خساراً أي: هلاكاً؛ لأن سماع القرآن يغيظهم ويحنقهم ويدعوهم إلى زيادة ارتكاب القبائح تمردا وعنادا، فعند ذلك يهلكون[٢].

٣- قوله تعالى: ﴿ **﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ**﴾

لما كان القرآن نعمة عظيمة للناس، وكان إعراض المشركين عنه حرماناً عظيماً لهم من خيرات كثيرة، ولم يكن من شأن أهل العقول السليمة أن يرضوا بالحرمان من الخير، كان الإخبار عن زيادته الظالمين خساراً مستغرباً من شأنه أن يثير في نفوس السامعين التساؤل عن سبب ذلك، أعقب ذلك ببيان السبب النفساني الذي يوقع العقلاء في مهواة هذا الحرمان، وذلك بعد الاشتغال بما هو فيه من نعمة هويها وأولع بها[٣].

٤- قوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ**﴾

اعلم أنه تعالى لما ختم الآية المتقدمة بقوله: ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ**﴾ [الإسراء: ٨٤] وذكرنا أن المراد منه مشاكلة الأرواح للأفعال الصادرة عنها وجب البحث هاهنا عن ماهية الروح حقيقته فلذلك سألوا عن الروح[٤].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ٣٨٩)، زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٤٤٢).

(٢) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٣٠٠)، فتح البيان في مقاصد القرآن، للقنوجي (٤٤٤/٧).

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٥/ ١٩١)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ١٩١).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ٣٩١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: أسباب النزول

- ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ...﴾

روى البخاري بسنده عن عبد الله -رضي الله عنه-، قال: بينا أنا مع النبي -ﷺ- في حرث، وهو متكئ على عسيب، إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رأيكم إليه؟ وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي -ﷺ- فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي فلما نزل الوحي، قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ...﴾ (١).

ثالثاً: المعنى اللغوي

١- ﴿خَسَارًا﴾

خسر: الخاء والسين والراء أصل واحد يدل على النقص. فمن ذلك الخسر والخسران، كالكفر والكفران، والفرق والفرقان. ويقال خسرت الميزان وأخسرته، إذا نقصته، وأخسرته: نقصته. وخسر الوزن والكيل، الخسار والخسارة والخيسرى: الضلال والهلاك(٢).

٢- ﴿أَعْرَضَ﴾

كل شيء أمكنك من عرضه فهو معرض لك، بكسر الراء. ويقال: أعرض لك الظبي فارمه، إذا أمكنك من عرضه ؛ مثل أفقر وأعور. ويقال: اعترض الشيء دون الشيء أي حال دونه. واعترض الشيء: تكلفه. وأعرض لك الشيء من بعيد: بدا وظهر، المعرض هاهنا بمعنى المعترض الذي يعترض لكل من يقرضه (٣).

٣-﴿وَنَأَى﴾ أي تباعد. يقال للرجل إذا تكبر وأعرض بوجهه: نأى بجانبه، أي نأى جانبه من وراء أي نحاه. نأى ينأى، بوزن: نعى ينعى، فمعناه: بعد. وقد: أنأيته إنئاء، إذا أبعدته. والنأي: البعد. ويقال للرجل إذا تكبر وأعرض بوجهه: نأى بجانبه. ومعناه: أنه أنأى جانبه من وراء، أي: نحاه(٤).

---

(١) صحيح البخاري: ك(تفسير القرآن)، ب(ويسألونك عن الروح)، ح(٤٧٢١)، (٦/ ٨٧).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ١٨٢)، لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٢٣٨)، تاج العروس، للزبيدي (١١/ ١٦٤).

(٣) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٤/ ٢٧٨)، لسان العرب، لابن منظور (٧/ ١٦٨)، مختار الصحاح، للرازي (٢٠٥/١).

(٤) انظر: غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٢٦٠) تهذيب اللغة، للأزهري (١٥/ ٣٨٩)، تاج العروس، للزبيدي (٤٠/ ٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤-﴿يَئُوسًا﴾

(يأس) الياء والهمزة والسين. كلمتان: إحداهما اليأس: قطع الرجاء. ويقال إنه ليست ياء في صدر كلمة بعدها همزة إلا هذه. يقال منه: يئس ييأس وييئس، يئوساً: أي قانطاً يائساً.

و"يئس" من "اليأس" وهو انقطاع الرجاء من "يئسوا" وقوله ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧]: من انقطاع الرجاء وهو من: يئست وهو مثل "إيس" في تصريفه(١).

٥-﴿شَاكِلَتِهِ﴾

معناه على طريقته وعلى مذهبه، ويدل عليه:﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٤]. أي أهدى طريقاً. ويقال هذا طريق ذو شواكل، أي يتشعب منه طرق، شاكلته: ناحيته. وهي الطريقة والجديلة. ويقال: على شاكلته: على خليقته وطبيعته، وهو من الشكل. يقال: لست على شكلي وشاكلتي(٢).

٦-﴿الرُّوحِ﴾

الروح: النفس، تذكر وتؤنث. يعني الروح الذي به الحياة من أمر ربي أي من علم ربي، أي أنتم لا تعلمونه. والروح فيما قال المفسرون ملك عظيم من ملائكة الله-ﷻ-، يقوم وحده فيكون صفاً، وتقوم الملائكة فتكون صفاً. قال الله -ﷻ-: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨]، وقيل الروح جبريل-عليه السلام-(٣).

رابعاً: الجانب البلاغي

١- قوله تعالى: ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾

نأى بجانبه النأي: البعد، والباء للتعدية أو للمصاحبة، وهو تأكيد للإعراض، لأن الإعراض عن الشيء هو أن يوليه عرض وجهه، أي: ناحيته، والنأي بالجانب أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره، ولا يبعد

---

(١) انظر: غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٢٦٠)، معاني القرآن، للأخفش (١/ ٢٧٩)، مقاييس اللغة، لابن فارس (٦/ ١٥٣).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٥٧) معاني القرآن، للفراء (٢/ ١٣٠) غريب القرآن، للسجستاني (ص: ٢٨٨).

(٣) انظر: غريب القرآن، للسجستاني (ص: ٢٤٤)، معاني القرآن، للنحاس (٤/ ١٨٩)، المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (٣/ ٥١٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن يراد بالإعراض هنا الإعراض عن الدعاء والابتهال الذي كان يفعله عند نزول البلوى والمحنة به، ويراد بالنأي بجانبه التكبر والبعد بنفسه عن القيام بحقوق النعم[١].

٢- قوله تعالى: ﴿.. **فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا**﴾

هذا تذييل، وهو تنهية للغرض الذي ابتدئ من قوله: ﴿**رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ**﴾ [الإسراء: ٦٦] الراجع إلى التذكير بنعم الله تعالى على الناس في خلال الاستدلال على أنه المتصرف الوحيد، وإلى التحذير من عواقب كفران النعم[٢].

خامساً: التفسير والبيان

اعلموا أن القرآن هدى وشفاء لما في الصدور ورحمة وخير للمؤمنين. وهو الوسيلة إلى الله والدواء والعلاج من كل داء فالله يقول: **وننزل من القرآن** ما هو شفاء من كل داء نفسي ورسمي وشفاء من كل مرض، وعلاج للأمة والفرد ورحمة للمؤمنين وقد كان رحمة وأي رحمة فهو الذي أخرج العرب الجاهلين الحفاة العراة إلى أمة ذات علم وحضارة وعز وسلطان، قهرت الأكاسرة والقياصرة، فهو الرحمة للناس جميعاً خاصة المؤمنين وهو السبيل لاكتساب الدين والدنيا.

هذا مع المؤمن الذي يتوجه إليه بقلب خال من الكبر والحسد والبغضاء وحب الرياسة أما مع هذه الأمراض فلا يزيد الظالمين أصحابها إلا خساراً وعتواً واستكباراً.

وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض عن ذكر الله متكبرا.؟ ونأى بجانبه وولى ظهره، وتلك عادة المتكبرين، وإذا مسه الشر من فقر أو مرض كان شديد اليأس قانطا من رحمة الله، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

قل كل يعمل على شاكلته وطريقته التي جبل عليها فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا، وأقوم طريقا وهو يجازى كلا على قدر عمله وإخلاصه..

ولقد كانت اليهود سألت النبي -ﷺ- عن الروح وحقيقتها، الروح التي بها يحيا الجسم ويتحرك.

والقرآن يرشدهم إلى ما هو خير لهم وأجدى عليهم فليس هو كتاب علم تحدد فيه الحقائق العلمية الدقيقة، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد يبحث الأشياء بحثا يتفق مع المصلحة الدينية العامة، على أن حقيقة الضوء والظلام والكهرباء لم تعرف إلى الآن، وإنما عرفناها بآثارها وشواهدها[٣].

---

(١) انظر: الكشاف، للزمخشري (٢/ ٦٩٠)، فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٣٠١).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ١٩٣).

(٣) انظر: البحر المحيط في التفسير، للرازي (٧/ ٨٦)، تفسير المراغي، للمراغي (١٥/ ٧٨)، التفسير الواضح، لمحمود حجازي (٢/ ٣٨٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- **القرآن شفاءٌ للمؤمنين وخسرانٌ للظالمين:** في القرآن شفاء ورحمة لمن وصل الإيمان قلوبهم وأشرقت لتلقي القرآن من طمأنينة وأمان وحياة، وفيه شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة، وشفاء من آفات القلب والهوى والدنس والطمع والحسد، فهو رحمة للمؤمنين(١).

٢- «**وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً**» الكفار لا ينتفعون بما في القرآن من شفاء ورحمة، ومع عنادهم وكبريائهم يتمادون في الظلم والفساد، ويغلبهم أهل القرآن في الدنيا، فهو خاسرون، وفي الآخرة معذبون بكفرهم، فهم في غيظ وقهر(٢).

٣- **إعراض الإنسان عن النعم ويأسه عند الشر:** النعمة تطغي الإنسان وتجعله يبطر إذا لم يذكر واهب النعمة فيشكره ويحمده عليها، أما في الشدة فييأس ويقنط ما لم يستعن بالله، فيرجوه ويأمله ويطمئن لرحمته، فيتفاءل ويستبشر، فيظهر هنا الإيمان في السراء والضراء(٣).

٤- «**قُلْ: كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ**» يقرر القرآن أن كل فرد وكل فريق يعمل حسب طريقته واتجاهه، أما الحكم على هذه الاتجاهات والأعمال فهو موكول لله وفي هذا التقرير تهديد خفي، بعاقبة العمل والاتجاه، ليأخذ كل حذره، ويحاول أن يسلك سبيل الهدى ويجد طريقه إلى الله(٤).

٥- **حقيقة الروح:** توجيه للعقل أن يعمل في حدوده ومجاله الذي يدركه، فلا يضل في التيه، ويضيع فيما لا يقدر عليه، فالروح غيب من غيب الله، وسر من أسراره، أما علم الإنسان محدود، وأسرار الوجود لا يمكن أن يحيط بها العقل البشري(٥).

٦- الشفاء معناه أن تعالج داءً تعاني منه لتبرأ، والرحمة هي أن تتخذ من أسباب الوقاية ما يضمن لك عدم معاودة المرض مرة أخرى، فالرحمة وقاية، والشفاء علاج(٦).

٧- إنْ كان سؤال الإنسان عن شيء لا يضر الجهل به، لفت القرآن أنظارهم إلى ناحية أخرى نافعة، كما في سؤالهم عن الأهِلّة: كيف يبدو الهلال صغيراً ثم يكبر ويكبر إلى أن يصير بدراً، ثم يأخذ في التناقص

---

(١) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٢/٢٧٣)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٣١٦)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٤٨).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/١٠٣)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٤٨).

(٣) انظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/٤٤٤٣)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٤٨).

(٤)انظر: الخواطر، للشعراوي (١٤/٨٧١٦)، تفسير المراغي (١٥/٨٧).

(٥) انظر: في ظلال القرآن (٤/ ٢٢٤٩).

(٦) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٧١٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ليعود كما بدأ؟[1].

٨- بيان صفة أولئك الذي يزيدهم القرآن خساراً، وهي الإعراض عن تدبر آيات الله والكفران لنعمه[2].

٩- ذم الكافر ومدح المؤمن، في بيان أن كل واحد يعمل على ما يشاكل أصله وأخلاقه التي ألفها[3].

١٠- تأكيد رحمة القرآن ببيان الحقائق وإقامة البراهين للمؤمنين به، دون الكافرين؛ لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله وشرائعه، فيدخلهم الجنة وينجيهم من العذاب[4].

١١- القرآن يزيد الظالمين بكفرهم وشركهم إهلاكاً؛ لأنهم كلما جاءهم أمر من الله أو نهي، كفروا به[5].

المطلب السابع: إعجاز القرآن الكريم.

قال تعالى : ﴿ **وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا * إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا *قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا**﴾. [الإسراء:٨٦-٨٩].

أولاً: المناسبة

١- قوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**...﴾ فيه ثلاث مناسبات:

أ- إنه -ﷺ- لما أبطأ عليه الوحي لما سئل عن الروح شق ذلك عليه وبلغ منه الغاية، فأنزل الله تعالى تهذيباً له هذه الآية[6].

ب- لما تضمن قوله: ﴿**قل الروح من أمر ربي**﴾ [الإسراء: ٨٥] تلقين كلمة علم جامعة، وتضمن أن الأمة أوتيت علما ومنعت علما، وأن علم النبوءة من أعظم ما أوتيته، أعقب ذلك بالتنبيه إلى الشكر على نعمة العلم دفعا لغرور النفس، لأن العلم بالأشياء يكسبها إعجابا بتميزها عمن دونها فيه، فأوقظت إلى أن

---

(١) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٧١٨).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٣٢١).

(٣) انظر: المرجع السابق نفس الصفحة.

(٤) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ٤٩٦).

(٥) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي (٦/ ٤٩٦).

(٦)انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٧/ ١٠٧)، مدارك التنزيل، للنسفي (٢/ ٢٧٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي منح العلم قادر على سلبه، وخوطب بذلك النبي -ﷺ-؛ لأن علمه أعظم علم، فإذا كان وجود علمه خاضعا لمشيئة الله فما الظن بعلم غيره، تعريضا لبقية العلماء[١].

ج- لما ذكر تعالى تنويع ما أنزل من القرآن شفاء ورحمة للمؤمن وبزيادة خسار للظالم، عرض بما أنعم به وما حواه من لطائف الشرائع على الإنسان، ومع ذلك أعرض عنه وبعد بجانبه اشمئزازاً له وتكبراً عن قرب سماعه وتبديلاً مكان شكر الإنعام كفره[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ...** ﴾

لما ذكر تعالى إنعامه على نبيه -ﷺ- بالنبوة بإنزال وحيه عليه وباهر قدرته بأنه تعالى لو شاء لذهب بالقرآن، ذكر ما منحه تعالى من الدليل على نبوته الباقي بقاء الدهر، وهو القرآن الذي عجز العالم عن الإتيان بمثله، وأنه من أكبر النعم والفضل الذي أبقى له ذكرا إلى آخر الدهر ورفع له قدرا به في الدنيا والآخرة[٣].

٣- قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ**﴾

لما ذكر تعالى عجز الإنس والجن عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن نبه على فضله تعالى بما ردد فيه وضرب من الأمثال والعبر التي تدل على توحيده تعالى، ومع كثرة ما ردد من الأمثلة وأسبغ من النعم لم يكونوا إلا كافرين به وبنعمه[٤].

ثانياً: أسباب النزول

- قوله تعالى: ﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ...**﴾

عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في نفر من اليهود جاءوا رسول الله -ﷺ- فقالوا له: إنا نأتيك بمثل ما جئتنا به، فأنزل الله هذه الآية[٥].

---

(١)انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١١/ ٥٠٦) فتح القدير، للشوكاني (٣٠٥/٣)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ٢٠٠).

(٢)انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٧/ ١٠٥)، مفاتيح الغيب، للرازي (٤٠٥/٢١).

(٣)انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٧/ ١٠٨)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١١/ ٥٠٨).

(٤)البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٧/ ١١١).

(٥)انظر: جامع البيان، للطبري (٥٤٧/١٧)، تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٠٧)، لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ١٤٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: المعنى اللغوي

١- ﴿**وَكِيلًا**﴾

الوكيل: هو المقيم الكفيل بأرزاق العباد، وسمي الوكيل لأنه يوكل إليه الأمر. قال ابن الأنباري: وقيل: الوكيل: الحافظ، وقيل: الوكيل: الكفيل، فنعم الكفيل الله بأرزاقنا، وقال أبو إسحاق: الوكيل في صفة الله -ﷻ-: الذي توكل بالقيام بجميع ما خلق[١].

٢- ﴿**ظَهِيرًا**﴾ وتظاهر القوم، إذا تعاونوا، وقال قوم من أهل اللغة: تظاهر القوم، إذا تدابروا، فكأنه من الأضداد. والظهير العون، قال الحسن: أي معيناً[٢].

٣- ﴿**صَرَّفْنَا**﴾ (صرف) الأمر دبره ووجهه ويقال صرف الله الرياح وبينه. وهو من قوله صرفت اليك كذا أي عدلت به اليك. {**ولقد صرفنا**} أي وجهنا القول فيه بكل مثل. وهو من قولك: صرفت إليك كذا؛ أي عدلت به إليك. وشدد ذلك للتكثير. كما يقال: فتحت الأبواب.

صرفنا: أي من كل مثل يحتاجون إليه، أي بيناه لهم[٣].

٤- ﴿**مَثَل**﴾ الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء. وهذا مثل هذا، أي نظيره، والمثل والمثال في معنى واحد[٤].

والمَثَل: الوصف. والمَثَل: المِثْل، يقال: ما له مَثَل: أي مِثل، كما يقال: شَبَهٌ وشِبْه[٥].

٥- ﴿**كُفُورًا**﴾

الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية. والكفر: ضد الإيمان، سمي لأنه تغطية الحق. وكذلك كفران النعمة: جحودها وسترها. والكفور: الجحود[٦].

رابعاً: الجانب البلاغي

١- في قوله تعالى:﴿**ولَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ**﴾ وجهان بلاغيان:

---

(١)انظر: معاني القرآن، للنحاس (٤/ ١٩٢)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٥٩)، لسان العرب، لابن منظور (١١/ ٧٣٤).

(٢)انظر: معاني القرآن، للفراء (٢/ ١٣١)، غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٢٦١)، جمهرة اللغة، للأزدي (٢/ ٧٦٤).

(٣)انظر: المعجم الوسيط (١/ ٥١٣) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٩٦)، غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٢٦١).

(٤) مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٢٩٦).

(٥) شمس العلوم، للحميري (٩/ ٦٢٢٠).

(٦)انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ١٩١)، الكشاف، للزمخشري (٢/ ٦٩٢)، فتح القدير، للشوكاني (٣/٣١٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ- اللام هي الموطئة، ولنذهبن جواب القسم سد مسد جواب الشرط. قال الزجاج: معناه لو شئنا لمحوناه من القلوب ومن الكتب حتى لا يوجد له أثر[١].

ب- الكلام صريحه تحذير، وهو كناية عن الامتنان كما دل عليه قوله بعده ﴿**إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا**﴾ وتعريض بتحذير أهل العلم.

وجملة لنذهبن بالذي أوحينا إليك جواب القسم. وهو دليل جواب الشرط ومغن عنه. ولنذهبن بالذي أوحينا بمعنى لنذهبنه، أي عنك، وهو أبلغ من (نذهبه) [٢].

٢- في قوله تعالى: ﴿**بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**﴾ عبر عن القرآن بالموصول تفخيماً لشأنه[٣].

٣- في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ لَا تَجِدُ**﴾ (ثم) للترتيب الرتبي، لأن نفي الطمع في استرجاع المسلوب أشد على النفس من سلبه. فذكره أدخل في التنبيه على الشكر والتحذير من الغرور[٤].

٤- في قوله تعالى: ﴿**لا يَأْتُونَ**﴾ **لا يَأْتُونَ** جواب قسم محذوف، ولولا اللام الموطئة، لجاز أن يكون جواباً للشرط[٥].

٥- في قوله تعالى: ﴿**إلا رحمة من ربك**﴾

الاستثناء في قوله: منقطع فحرف الاستثناء فيه بمعنى الاستدراك. وهو استدراك على ما اقتضاه فعل الشرط من توقع ذلك، أي لكن رحمة من ربك نفت مشيئة الذهاب بالذي أوحينا إليك فهو باق غير مذهوب به[٦].

٦- في قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ**﴾

استئناف للزيادة في الامتنان. وهو استئناف بياني لمضمون جملة ﴿**إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا**﴾ [الإسراء: ٨٧] [٧].

---

(١)انظر: فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٣٠٥)، الكشاف، للزمخشري (٢/ ٦٩١).

(٢) انظر: الكشاف، للزمخشري (٢/ ٦٩١)، لباب التأويل، للخازن (٣/ ١٤٥)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ٢٠٠).

(٣)انظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٥/ ١٩٣)، فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٣٠٥).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ٢٠١).

(٥) انظر: الكشاف، للزمخشري (٢/ ٦٩١)، البحر المحيط، لأبي حيان (٢/ ١١٠).

(٦) انظر: جامع البيان، للطبري (١٩/ ٦٤٢)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ٢٠١).

(٧) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ٢٠٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامساً: التفسير والبيان

لقد أوتينا من العلم قليلاً، ولو شاء ربك لذهب بهذا القليل فعدنا إلى ظلام الجهل، وحماقة الجاهلية فمصدر العلم في كل ناحية هو القرآن الذي أوحى إليك، ولئن شاء ربك لأذهبه، ومحاه من الصدور والمصاحف، فلم يترك له أثرا، وبقيت كما كنت من قبل لا تدرى ما الكتاب ولا الإيمان.

ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده وإعادته محفوظاً إلا برحمة ربك فيرده عليك، فرحمة ربك مصدر الخير كله، وهذا امتنان من الله ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله، إن فضله كان عليك كبيراً.

ومن الحقائق المعروفة أن العلوم التي نشأت عند المسلمين، والحضارة العلمية في الشرق كله من نبع القرآن وفيضه، فعلوم اللغة والشريعة وأصول الفقه وعلوم القرآن نشأت للمحافظة على القرآن الكريم، وكان لهذا أثر عميق في الاتجاه العلمي العام.

هذا القرآن وهو المعجزة، والحجة الدائمة التي تحدى بها الله العرب كلها فعجزوا على الإتيان بمثله، وهم أهل فصاحة وبلاغة، والنبي واحد منهم وهو أمى لم يقرأ ولم يكتب، وفيهم الشعراء والخطباء، وقادة البلاغة والبيان فحيث عجزوا فغيرهم من باب أولى، تحداهم به بأسلوب لاذع، مع الحكم عليهم بالعجز والقصور ولو اجتمع الإنس والجن، وتعاون الكل وبذلوا النفس والنفيس.

ولقد ثبت بما لا يقبل الشك عجزهم فثبت أن القرآن هو المعجزة الباقية وأنه من عند الله.

ولقد صرف الله للناس في هذا القرآن، وقلب فيه الأمور كلها على وجوهها بألوان شتى وعبادات مختلفة تارة بالإيجاز وأخرى بالإطناب موفيا الغرض من أمر ونهى، ووعظ وإرشاد وقصص وأخبار، وحكم وتشريع ومع هذا يأبى أكثر الناس إلا كفورا وجحودا.

لم يقنعوا بالقرآن معجزة وهم أدرى الناس بحقيقتها لأنها أتت فيما برعوا فيه، وطلبوا معجزة غيرها. ولو جاءت كما طلبوا لقالوا: إنما سحرت أبصارنا وسكرت[1].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- امتنان من الله ببقاء القرآن، حيث منّ الله تعالى على جميع العلماء بنوعين من المنة: تسهيل القرآن وعلمه، وحفظه وبقاؤه عليه[2].

---

(١) انظر: التفسير الواضح، لحجازي (٢/ ٣٩٤)، التفسير المنير، للزحيلي (١٥٩/١٥).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ٤٠٦)، مدارك التنزيل، للنسفي (٢/ ٢٧٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- وقوع التحدي بكل القرآن كما في هذا المقطع، ووقع التحدي على التدريج فكان بعشر سور منه كما في قوله تعالى: ﴿**فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ**﴾ [هود: ١٣] وبالسورة الواحدة كما في قوله تعالى: ﴿**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ**﴾ [البقرة: ٢٣] ووقع التحدي بكلام من سورة واحدة[١].

٣- فضل الله كان على محمد كبيراً، حيث جعله سيد ولد آدم وختم به النبيين وأعطاه المقام المحمود فلما كان كذلك لا جرم أنعم عليه أيضاً بإبقاء العلم والقرآن عليه[٢].

٤- توجيه الله القول في القرآن بكل مثل يجب به الاعتبار، من الآيات والعبر والترغيب والترهيب، والأوامر والنواهي وأقاصيص الأولين، والجنة والنار والقيامة[٣].

٥- أبى أهل مكة إلا الكفر، بعد أن بين الله لهم الحق وفتح لهم وأمهلهم حتى تبين لهم أنه الحق ﴿**فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا**﴾ يريد بهم أهل مكة[٤].

٦- إعجاز القرآن في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب، وهو كلام في أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة لا يشبه كلام الخلق؛ لأنه كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقاً لأتوا بمثله[٥].

٧- إثبات عجز الكفار عن معارضة القرآن، سواء كان المتحدي واحداً أم بالمجموع بالمظاهرة ﴿**ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً**﴾[٦].

٨- القرآن منهج حياة كامل، فيه نواميس الفطرة التي تصرف النفس البشرية في كل أطوارها وأحوالها، والتي تصرف الإنسانية كلها في كل ظروفها وأطوارها، ومن ثم فهو يعالج النفس المفردة، ويعالج الجماعة بقوانينه الملائمة للفطرة[٧].

٩- تربية الله للكفار وتأنيبه لهم، ويريد أن يُبَرّئ ساحة رسوله -ﷺ- ويتحمل عنه المسئولية، فهو مجرد مُبلّغ عن الله، فلا تقولوا عنه مُفْتَرٍ، أو أتى بشيء من عنده، بدليل أن الله لو شاء لسلب ما أوحاه إليه وقرأه عليكم وسمعتموه أنتم وكتبه الصحابة[٨].

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ٤٠٧).
(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ٤٠٦)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٣٢٥).
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٣٢٧)، فتح القدير، للشوكاني (٣/٣٠٥).
(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ٤٠٧)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٣٢٧)
(٥) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣/ ١٤٦)، زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٣٨٨).
(٦) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ٤٠٦)، فتح البيان في مقاصد القرآن، للقِنّوجي (٧/ ٤٥١).
(٧) انظر: الجواهر الحسان، للثعالبي (١/ ٤٦)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٥٠).
(٨) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٧٢٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠- عجز النظم البشرية المتأثرة بقصور الإنسان وملابسات حياته، لا تحيط بجميع الاحتمالات في الوقت الواحد، فقد تعالج ظاهرة فردية أو اجتماعية بدواء يؤدي بدوره إلى بروز ظاهرة أخرى تحتاج إلى علاج جديد، مقارنة بإعجاز القرآن في نظمه ومعانيه[١].

١١- بيان معنى التحدِّي وهو الإتيان بآية معجزة يعجز عنها المعارض، لكن من جنس ما نبغ فيه المعارض، فلا يتحدّاهم بشيء لا عِلْم لهم به، ولا خبرة لهم فيه؛ لأنه لا معنى للتحدي في هذه الحالة ولا جدوى منه[٢].

١٢- تفرد القرآن بخاصية تميزه عن بقية الكتب السابقة، وهي أنه نزل جامعاً بين أمرين: أنه منهج سماوي ينظم حركة الحياة، وأنه معجزة مصاحبة للمنهج لا تنفك عنه إلى قيام الساعة[٣].

المطلب الثامن: طلب المشركين آيات تعجيزية.

قال تعالى : ﴿**وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولاً**﴾ [سورة الإسراء: ٩٠-٩٣].

أولاً: المناسبة

١- قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ...**﴾

لما بين الله بالدليل كون القرآن معجزاً وظهر هذا المعجز على وفق دعوى محمد -ﷺ- فحينئذ تم الدليل على كونه نبياً صادقاً لأنا نقول إن محمداً ادعى النبوة وظهر المعجز على وفق دعواه وكل من كان كذلك فهو نبي صادق، فهذا يدل على أن محمداً -ﷺ- صادق وليس من شرط كونه نبياً صادقاً تواتر المعجزات الكثيرة؛ لأنه تعالى حكى عن الكفار أنهم بعد أن ظهر كون القرآن معجزا التمسوا من الرسول -ﷺ- ستة أنواع من المعجزات القاهرة[٤].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٥٠).

(٢) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٧٢٧).

(٣) انظر: المرجع السابق نفس الصفحة.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ٤٠٧)، لباب التأويل، للخازن (١٤٦/٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- قوله تعالى: ﴿**قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي...**﴾

لما تضمن اقتراحهم ما هو مستحيل في حق الله تعالى وهو أن يأتي بالله والملائكة قبيلا أمره تعالى بالتسبيح والتنزيه عما لا يليق به، ومن أن يقترح عليه ما ذكرتم فقال:﴿**قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي**﴾[١].

ثانياً: أسباب النزول

- قال تعالى : ﴿**وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ...**﴾

عن ابن عباس-رضي الله عنهما- أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلا من بني عبد الدار، وأبا البختري أخا بني أسد، والأسود بن المطلب بن أسد وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية، وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج السهميين، اجتمعوا أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه.

فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فجاءهم رسول الله -ﷺ- سريعاً وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بداء، وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس إليهم، فقالوا -بعدما عرضوا عليه العروض-:يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق منا بلاداً ولا أقل مالاً، ولا أشد عيشاً منا، فاسأل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليسير عنا هذه لجبال التي قد ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا وليفجر فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب، فإنه كان شيخا صدوقا، فنسألهم عما تقول حق هو أم باطل؟ فإن صنعت ما سألناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك رسولا كما تقول... [٢].

ثالثاً: المعنى اللغوي

١- ﴿**يَنْبُوعًا**﴾ نبع: نبع الماء ونَبِع ونَبُع؛ نبعاً ونبوعاً: تفجر، وقيل: خرج من العين، ولذلك سميت العين ينبوعاً؛ قال الأزهري[٣]: "هو يفعول من نبع الماء إذا جرى من العين وجمعه ينابيع، الينبوع تقديره تقدير

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي(٢١/ ٤٠٩)، البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٧/ ١١٣)، لباب التأويل، للخازن (١٤٧/٣).

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري (٥٥٣/١٧)، تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٠٨)، الدر المنثور، للسيوطي (٣٤٠/٥).

(٣) **الأزهري**: أبو منصور محمد بن احمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح بن أزهر، الأزهري الهروي اللغوي الإمام المشهور في اللغة؛كان فقيها شافعي المذهب غلبت عليه اللغة فاشتهر بها، وكان متفقا على فضله وثقته ودرايته وورعه. روى عن أبي الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري اللغوي عن أبي العباس ثعلب وغيره، ودخل بغداد وأدرك بها أبا بكر ابن دريد ولم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ينبوع: يفعول، من نبع الشيء". وهو الذي ينبع، ويقال: ينبع لغتان[١].

٢- ﴿كِسَفًا﴾

التكسيف: التقطيع. وكسف الشيء يكسِفه كِسَفاً وكسفه، كلاهما: قطعه، وخص بعضهم به الثوب والأديم. والكَسف والكِسفة والكَسيفة: القطعة مما قطعت. (كِسَفاً) و(كِسْفاً)، فمن قرأ (كِسَفاً) جعلها جمع كسفة، وهي القطعة. ومن قرأ (كِسْفاً) فكأنه قال أو تسقطها طبقا علينا، واشتقاقه من كسفت الشيء إذا غطيته[٢].

٣- ﴿قَبِيلًا﴾ في " قبيل " قولان، جائز أن يكون. تأمر بهم حتى نراهم مقابلة. وأن يكون قبيلاً كفيلاً، يقال قبلت به أقبل قبالة، كقولك: كفلت به أكفل كفالة، روى معمر وسعيد عن قتادة قال قبيلاً أي عياناً[٣].

يقول الشوكاني: "اختلف المفسرون في معنى قبيلاً فقيل: معناه: معاينة، قاله قتادة وابن جريج، واختاره أبو علي الفارسي فقال: إذا حملته على المعاينة كان القبيل مصدرا كالنكير والنذير. وقيل: معناه كفيلاً، قاله الضحاك[٤]، وقيل: شهيداً، قاله مقاتل، وقيل: هو جمع القبيلة، أي: تأتي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة، قاله مجاهد وعطاء"[٥].

٤- ﴿زُخْرُفٍ﴾

الزخرف: الزينة. ابن سيده: الزخرف الذهب هذا الأصل، ثم سمي كل زينة زخرفاً ثم شبه كل مموه مزور به. وبيت مزخرف، وزخرف البيت زخرفة: زينه وأكمله.

يرو عنه شيئا وأخذعن أبي عبد الله إبراهيم ابن عرفة الملقب نفطويه وعن أبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج النحوي وقيل إنه لم يأخذ عنه شيئا. انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٤/ ٣٣٤)، إنباه الرواة (٤/ ١٧٧).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٥٩)، معاني القرآن، للفراء (٢/ ١٣١)، لسان العرب، لابن منظور (٨/ ٣٤٥).

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٩/ ٢٩٩)، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٥٩) غريب القرآن، لابن قتيبة(ص: ٢٦١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٥٩) معاني القرآن، للفراء (٢/ ١٣١) معاني القرآن، للنحاس (٤/ ١٩٤).

(٤) **الضحاك**: بن سلمان بن سالم بن دهابة أبو الأزهر النحوي، الألوسي المرئي، منسوب إلى امرئ القيس بن مالك. قال الصفدي: نزل بغداد، وله معرفة بالنحو واللغة، وله شعر. مات سنة سبع وأربعين وخمسمائة. انظر: بغية الوعاة، للسيوطي (٢/ ١٢)، إنباه الرواة، للقفطي (٢/ ٩١).

(٥) فتح القدير، (٣/ ٣٠٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معناه بيت من ذهب، وأصل الزخرف في اللغة والزخرفة الزينة، والدليل على ذلك قوله -ﷻ-: (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) أي أخذت كمال زينتها.وزخرفت الشيء إذا أكملت زينته، ولا شيء في تزيين بيت وتحسينه، وزخرفته كالذهب[١].

٥- ﴿تَرْقَى﴾

يقال في الصعود: رقيت أرقى رقياً، ويقال فيما تداويه بالعوذة: رقيت أرقى رقية ورقياً[٢].

رابعاً: الجانب البلاغي

١- في قوله تعالى: ﴿تَفْجِيرًا﴾ صور بلاغية:

أ- ذكر المفعول المطلق بقوله: تفجيراً للدلالة على التكثير؛ لأن تفجر قد كفى في الدلالة على المبالغة في الفجر، فتعين أن يكون الإتيان بمفعوله المطلق للمبالغة في العدد[٣].

ب- لأنها جمع يقال فجرت الماء فجراً وفجرته تفجيراً، فمن ثقل أراد به كثرة الأشجار من الينبوع وهو وإن كان واحدا فلكثرة الانفجار فيه يحسن أن يثقل[٤].

ج- المرادُ إما إجراءُ الأنهارِ خلالها عند سقْيها أو إدامة إجرائها كما ينبئ عنه الفاءُ لا ابتداؤه[٥].

٢- في قوله تعالى: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ﴾

انتقال من تحديه بخوارق فيها منافع لهم إلى تحديه بخوارق فيها مضرتهم، يريدون بذلك التوسيع عليه، أي فليأتهم بآية على ذلك ولو في مضرتهم. وهذا حكاية لقولهم كما قالوا. ولعلهم أرادوا به الإغراق في التعجيب من ذلك فجمعوا بين جعل الإسقاط لنفس السماء. وعززوا تعجيبهم بالجملة المعترضة وهي كما زعمت إنباء بأن ذلك لا يصدق به أحد[٦].

خامساً: التفسير والبيان

قال مشركو مكة لمحمد-ﷺ-: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض عيونا تفيض بالماء فإننا في صحراء مجدبة قاحلة، أو تكون لك أنت- إن لم تأت بعيون لنا- جنة من نخيل وأعناب وغيرهما

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٦٠)، معاني القرآن، للنحاس (١٩٥/٤)، لسان العرب، لابن منظور (٩/ ١٣٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٢٦٠)، معاني القرآن، للفراء (١٣١/٢).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ٢٠٩).

(٤) مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ٤٠٨).

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٥/ ١٩٤).

(٦) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ٢٠٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فتجرى فيها الأنهار بقوة حتى يتم زرعها وتؤتى ثمرها كاملاً، أو تسقط السماء علينا قطعا كما زعمت ﴿**إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ**﴾ [سورة سبأ: آية ٩] .

أو تأتى بالله والملائكة معاينة لنا ومتقابلين معنا فيحدثونا بأنك رسول من عند الله أو يكون لك بيت من زخرف من ذهب فإنا عرفناك يتيماً فقيراً.

ألم يكن عند الله إلا يتيم أبى طالب يجعله رسولاً! أو تعرج إلى السماء، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا من السماء كتابا نقرؤه يفيد أنك رسول من عند الله.

قل لهم متعجبا منزهاً الله، سبحان ربي!! هل كنت إلا بشراً رسولاً فقط، ولست أقدر على إجابة طلبكم، والله- سبحانه- هو القادر وقد أيدنى بمعجزة القرآن، وهي المعجزة الباقية الخالدة[١].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- **طلبات المشركين التعجيزية من النبي** ﷺ: ضعفاء العقول ومحدودو التفكير يظنون أن الإله يفعل لهم ما يريدون، كما يحاول زعماء البشر من استرضاء الأتباع، لتحقيق المصالح المادية وجلب المنافع، وتسيير الأمور[٢].

٢- صناديد قريش اجتمعوا وسيروا للنبي -ﷺ-، فلما جاء إليهم جرت بينهم محاورات في ترك دينهم وطلبه منهم أن يوحدوا ويعبدوا الله فأرغبوه بالمال والرئاسة والملك فأبى[٣].

٣- اقترح المشركون عليه -ﷺ- أن تكون له جنة من نخيل وعنب وهما كانا الغالب على بلادهم، ومن أعظم ما يقتنون، تجري الأنهار خلالها أي وسط تلك الجنة وأثناءها، فتسقي ذلك النخل وتلك الكروم[٤].

٤- ما كان كفارُ قريش يقصدون بهذه الاقتراحات إلا العناد واللجاج، ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر[٥].

٥- ﴿**سُبْحَانَ رَبِّي**﴾ تنزيها لله -ﷻ- عن أن يعجز عن شي وعن أن يعترض عليه في فعل، وقيل: هذا كله تعجب عن فرط كفرهم واقتراحاتهم[٦].

---

(١) انظر: التفسير الواضح، لحجازي (٢/ ٣٩٥)، زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٤٤٥٢/٨)، التفسير المنير، للزحيلي (١٦٧/١٥).

(٢) التفسير المنير، للزحيلي (١٥/ ١٦٦).

(٣) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٧/ ١١١).

(٤) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٧/ ١١٢).

(٥) انظر: المرجع السابق (٧/ ١١٣).

(٦)الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٣٣١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦- **بشرية الرسول ﷺ:** ﴿ **إلا بَشَرًا رَسُولاً**﴾ إثبات بشرية الرسول محمد-ﷺ-، يتبع ما يوحى إليه من ربه، ويفعل الله ما يشاء من هذه الأشياء التي ليست في قدرة البشر، فهل سمعتم أحداً من البشر أتى بهذه الآيات[١].

٧- قصر إدراك المشركين عن التطلع إلى آفاق الإعجاز القرآنية، فراحوا يطلبون تلك الخوارق المادية، ويتعنتون في اقتراحاتهم الدالة على قصورهم العقلي، أو يتبجحون في حق الذات الإلهية دون أدب أو تحرج[٢].

٨- تبدو طفولة الإدراك والتصور عند المشركين، كما يبدو التعنت في هذه المقترحات الساذجة، حيث ساوى المشركون بين البيت المزخرف والعروج إلى السماء! أو بين تفجير الينبوع من الأرض ومجيء الله- سبحانه- والملائكة قبيلاً، والقاسم المشترك بين هذه المقترحات كلها هو أنها خوارق.

٩- إذا جاء الرسولُ -ﷺ- المشركين بالمعجزات التي طلبوها نظروا في الإيمان له والتصديق به! وغفلوا عن المعجز الباقي في القرآن، وهم يعجزون عن الإتيان بمثله في نظمه ومعناه ومنهجه، ولكنهم لا يلمتسون هذا الإعجاز بحواسهم فيطلبون ما تدركه الحواس [٣].

١٠- ليس من شأن الرسول أن يطلب المعجزات إذا لم يعطه الله إياها، فأدب الرسالة وإدراك حكمة الله في تدبيره يمنعان الرسول أن يقترح على ربه ما لم يصرح له به.. ﴿ **قُلْ: سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا**﴾ يقف عند حدود بشريته، ويعمل وفق تكاليف رسالته، لا يقترح على الله ولا يتزيد فيما كلفه إياه[٤].

المطلب التاسع: استغراب المشركين من كون الرسل بشراً.

قال تعالى : ﴿ **وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا * قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا * قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا * وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا**﴾ [سورة الإسراء: ٩٤-٩٧].

أولاً: المناسبة

١- قوله تعالى: ﴿ **وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا...**﴾

---

(١)الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٣٣١).
(٢) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٥٠).
(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٥٠).
(٤) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٥٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اعلم أنه تعالى لما حكى شبهة القوم في اقتراح المعجزات الزائدة وأجاب عنها حكى عنهم شبهة أخرى وهي أن القوم استبعدوا أن يبعث الله إلى الخلق رسولاً من البشر؛ بل اعتقدوا أن الله تعالى لو أرسل رسولاً إلى الخلق لوجب أن يكون ذلك الرسول من الملائكة فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة[١].

٢- قوله تعالى: ﴿ **قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا...**﴾

لما نصب الله البرهان القاطع على أن القرآن الموحى إليه من عند الله، ونفى شبهتهم في إنكار كون الرسول-ﷺ- بشراً، بأنه ما خرج عن عادة من قبله ممن كانوا مقرين بأنهم أنبياء، وبأن الجنس لا يفهم عن جنس آخر، فالبشر لا يفهم عن الملك إلا بخارقة، ولا يكون ذلك إلا للرسل ومن أراد الله من أتباعهم، لم يبق إلا محض العناد الذي لا رجوع فيه إلا إلى السيف عند القدرة، وإلى الله عند فقدها، وكان في مكة المشرفة غير قادر على السيف، أمره الله تعالى بالرجوع إلى السيف فقال تعالى: ﴿ **قُلْ كَفَى بِاللَّهِ**﴾[٢].

ثانياً: أسباب النزول

- قوله تعالى: ﴿ **قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا...**﴾

نزلت الآية في الملأ من قريش الذين قالوا لرسول الله -ﷺ- المقالات التي تقدم ذكرها من عرض الملك عليه والغنى وغير ذلك، قالوا له في آخر قولهم: فلتجيء معك طائفة من الملائكة تشهد لك بصدقك في نبوتك، وروي أنهم قالوا: فمن يشهدُ لك؟[٣].

ثالثاً: المعنى اللغوي

١-﴿**الْهُدَى**﴾ (هدي) الهاء والدال والحرف المعتل: أصلان أحدهما التقدم للإرشاد، والآخر بعثة لطف. فالأول قولهم: هديته الطريق هداية، أي تقدمته لأرشده. وكل متقدم لذلك هاد. الهدى: خلاف الضلالة.، تقول: هديته هدى[٤].

٢- ﴿**مَلَكًا**﴾ الملأك: الملك؛ لأنه يبلغ الرسالة عن الله -ﷻ- فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على الساكن

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ٤١٠)، لباب التأويل، للخازن (١٤٧/٣)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١١/١٥).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢١/ ٤١٠)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (١١/ ٥١٥)، التفسير الوسيط، للطنطاوي (٤٣٢/٨).

(٣) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٣/ ٤٨٦)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي (٣/ ٤٩٨).

(٤)انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٦/ ٤٢)، المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (٣٧٠/٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قبلها. والجمع: ملائكة، جمعوه متمما وزادوا الهاء للتأنيث[١].

٣- ﴿أَوْلِيَاءَ﴾

(ولي) الواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على قرب. من ذلك الولي: القرب. يقال: تباعد بعد ولي، أي قرب. وجلس مما يليني، أي يقاربني. والولي: المطر يجيء بعد الوسمي، سمي بذلك لأنه يلي الوسمي. ومن الباب المولى: المعتق والمعتق، والصاحب، والحليف، وابن العم، والناصر، والجار ؛ كل هؤلاء من الولي وهو القرب[٢].

٤- ﴿عُمْيًا﴾

(عمي) العين والميم والحرف المعتل أصل واحد يدل على ستر وتغطية. من ذلك العمى: ذهاب البصر من العينين كلتيهما. قال ابن عباس-رضي الله عنهما-:" عمياً لا يرون شيئاً يسرهم وبكماً لا ينطقون بحجة وصماً لا يسمعون ما يسرون به"[٣].

٥- ﴿وَبُكْمًا﴾

(بكم) أنه بمنزلة من ولد أخرس ويقال الأبكم المسلوب الفؤاد. وقال ثعلب: "البكم: أن يولد الإنسان لا ينطق ولا يسمع ولا يبصر". قال أبو إسحاق: "قيل معناه: أنهم بمنزلة من ولد أخرس"[٤].

٦- ﴿وَصُمًّا﴾ الصمم انسداد الأذن وثقل السمع صم يصم وصمم بإظهار التضعيف نادر صماً وصمماً وأصم[٥].

٦- ﴿مَأْوَاهُمْ﴾

(أوى) الهمزة والواو والياء أصلان: أحدهما التجمع، والثاني الإشفاق. قال الخليل: "يقال: أوى الرجل إلى منزله وآوى غيره أويا وإيواء". ويقال: أوى إواء أيضاً، والمأوى: مكان كل شيء يأوى إليه ليلاً أو نهاراً، وأوت الإبل إلى أهلها تأوي أوياً فهي آوية[٦].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (٧/ ٩٠).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٦/ ١٤١). المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (٤٥٩/١٠).

(٣) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٤/ ١٣٣)، معاني القرآن، للنحاس (٤/ ١٩٧).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١/ ٩٤) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (٧/ ٧٢).

(٥) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (٨/ ٢٧٧).

(٦) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (١/ ١٥١)، المحكم، لابن سيده (٥٩٩/١٠)،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧- ﴿خَبَتْ﴾

الخاء والباء والتاء أصل واحد يدل على خشوع: يقال أخبت يخبت إخباتاً، إذا خشع. وأخبت لله تعالى. قال عز ذكره: ﴿**وبشر المخبتين**﴾، وأصله من الخبت، وهو المفازة لا نبات فيها[١].

قال مجاهد كلما خبت أي كلما طفئت أوقدت وقال الضحاك: "كلما سكنت" قال أبو جعفر:" يقال خبت النار إذا سكن لهبها وعاد الجمر رماداً" قيل: كبت فإن طفئ بعض الجمر وسكن اللهب قيل: خمدت فإن طفئت كلها قيل: همدت تهمد هموداً، وخبت: أي كلما خمدت، ونضجت جلودهم ولحومهم بدلهم الله غيرها ليذوقوا العذاب[٢].

٨- ﴿سَعِيرًا﴾

(سعر) السين والعين والراء أصل واحد يدل على اشتعال الشيء واتقاده وارتفاعه. من ذلك السعير: سعير النار. واستعارها: توقدها. سعيراً: أي ناراً تتسعر، أي تتلهب[٣].

رابعاً: الجانب البلاغي

١- في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا مَنَعَ النَّاسَ**﴾

الظاهر حمل التعريف في الناس على الاستغراق. أي ما منع جميع الناس أن يؤمنوا إلا ذلك التوهم الباطل[٤].

٢- في قوله تعالى: ﴿**إلا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ**﴾ وجهان بلاغيان:

أ- عبر عنه بالقول للإشعار بأنه ليس إلا مجرد قول قالوه بأفواههم[٥].

ب- إلقاء هذا الكلام بصيغة الحصر وأداة العموم جعله تذييلا لما مضى من حكاية تفننهم في أساليب التكذيب والتهكم[٦].

٣- في قوله تعالى: ﴿ **أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا**﴾ الهمزة فيها للإنكار[٧].

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ٢٣٨).

(٢) انظر: معاني القرآن، وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٦١)، غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٢٦١).

(٣) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ٧٥)، غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٢٦١) المحكم، لابن سيده (٤٧٩/١).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ٢١٢).

(٥) فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٣٠٩).

(٦) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ٢١٢).

(٧)انظر: الكشاف، للزمخشري (٢/ ٦٩٤)، فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٣٠٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- في قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ**﴾ إعلام من الله سبحانه بأن الرسل ينبغي أن تكون من جنس المرسل إليهم[١].

٥- في قوله تعالى: ﴿**قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا**﴾ وجوه بلاغية:

أ- أريد بالشهيد هنا الشهيد للمحق على المبطل، فهو كناية عن النصير والحاكم؛ لأن الشهادة سبب الحكم[٢].

ب- وقال بيني وبينكم، ولم يقل بيننا، تحقيقاً للمفارقة الكلية[٣].

ج- ختم الكلام بما يجري مجرى التهديد[٤].

د- الباء الداخلة على اسم الجلالة زائدة لتأكيد لصوق فعل كفى بفاعله[٥].

٦- في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ...**﴾

الباء الداخلة على اسم الجلالة زائدة لتأكيد لصوق فعل كفى بفاعله[٦].

٧- في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ**﴾ وجوه بلاغية[٧]:

أ- جمع بين المانع الظاهر المعتاد من الهدى وبين المانع الحقيقي وهو حرمان التوفيق من الله تعالى.

ب- ارتقاء في التسلية، أي لا يحزنك عدم اهتدائهم فإن الله حرمهم الاهتداء.

ج- التعريف في المهتد تعريف العهد الذهني، فالمعرف مساو للنكرة.

د- فائدة الإخبار عنه بأنه مهتد التوطئة إلى ذكر مقابله وهو ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء.

٨- في قوله تعالى: ﴿ **كُلَّمَا خَبَتْ...**﴾ وجهان بلاغيان:

أ- معنى الآية جار على طريق التهكم وبادىء الإطماع المسفر عن خيبة؛ لأنه جعل ازدياد السعير مقترنا بكل زمان من أزمنة الخبو[٨].

---

(١) فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٣٠٩).
(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ٢١٤).
(٣) فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٣٠٩).
(٤) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ٢١٤).
(٦)المرجع السابق نفس الصفحة.
(٧) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ٢١٤-٢١٥).
(٨) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ٢١٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب- اليأس بعد الإطماع. إنْ خَبتِ النار أو هدأتْ فترةً فإنهم سيظنون أن المسألة انتهت، ثم يُفاجئهم العذاب من جديد، فهذا أنكَى لهم وآلم في تعذيبهم[1].

٩- في قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا...**﴾

استئناف بياني؛ لأن العقاب الفظيع المحكي يثير في نفوس السامعين السؤال عن سبب تركب هذه الهيئة من تلك الصورة المفظعة[2].

١٠- في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا...**﴾

استفهام إنكاري[3].

خامساً: التفسير والبيان

من الناس من ختم الله على قلوبهم، وعلى سمعهم، وجعل على أبصارهم غشاوة فهم لا يطيقون أبدا الإقرار بأن الله يرسل رسولاً من البشر ويقولون إذا كان ولا بد من رسول فليكن من الملائكة، ولقد زاد عنادهم وكفرهم أن الرسول محمداً -ﷺ- يتيم من فقراء قريش!! ﴿**لَوْلا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾ [الزخرف ٣١] .

نعم ما منعهم من الإيمان بالله ورسوله وقت أن جاءهم الهدى الذي يخرجهم من الظلمات والجهالات إلى نور الحق والعرفان، ما منعهم من ذلك إلا اعتقادهم أن الرسول لا يكون بشراً حيث قالوا منكرين: أبعث الله بشراً رسولاً؟ فليس طلبهم الآيات السابقة إلا عناداً وتكذيباً، فلا تظن أن إجابتهم خير أبداً.

قل لهم لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ساكتين يعيشون مع الناس ويتفاهمون معهم ويتلون عليهم آيات الله، وتعرف الناس أخبارهم وأحوالهم قبل النبوة لو كان في طبيعة الملك ذلك لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً، إذ لا يعقل أن يدين الإنسان لمن لا يعرف عنه شيئاً، ومن ليس بينه اتصال وألفة حتى يتم التفاهم ولقد صدق الله حيث يقول في سورة الأنعام وَقالُوا ﴿**لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ. وَلَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ**﴾ [سورة الأنعام الآيتان ٨ و ٩] .

قل لهم: كفى بالله شهيداً وحكما بيني وبينكم فإن كنت أتقول عليه ما يلبسون وأفترى عليه الكذب فيجازيني على ذلك ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً**﴾ [الأنعام ٢١] .

---

(١) الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٧٦٢).

(٢) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (١٥/ ٢١٨).

(٣)التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (٨/ ٥٥٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإن كنتم تكفرون بالله الذي خلقكم. ولا تؤمنون برسوله الذي أرسل لكم، ومعه المعجزة الباقية الخالدة التي تقول بلسان الحال: صدق عبدى في كل ما يبلغه عنى: فسيحاسبكم ربكم على ذلك ويجازيكم أشد الجزاء إنه بعباده خبير بصير.

وأنت يا محمد فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، وأعلم أنه من يهديه الله إلى الخير فهو المهدى الموفق لأن نفسه ميالة إلى ذلك، ومن يضلله الله فلن تجد له أولياء من دون الله يتولون أمره ويدافعون عنه، وهم يوم القيامة محشرون يمشون على وجوههم.

﴿**يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ**﴾ والذي أقدرهم على المشي على الأرجل يقدرهم على المشي على وجوههم مرغمين، نحشرهم عمياً لا يرون ما ينفع وبكما لا يتكلمون بما يفيدهم، ولا يسمعون ما يلذ لهم وَمَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى وَأَضَلُّ سَبِيلًا مأواهم جهنم التي وقودها الناس والحجارة كلما أكلت جلودهم ولحومهم وعظامهم وأفنتها وسكن لهيبها بدلوا جلودا ولحما وعظما غيرها فرجعت ملتهبة شديدة الالتهاب، وكانوا يستبعدون إعادة الحياة بعد الممات فكان جزاؤهم النار أن تعاد أجسامهم مرة ثانية ليذوقوا ويعرفوا قدرة الملك الجبار، ذلك جزاءهم بسبب كفرهم، وقولهم: أإذا كنا عظاما نخرة وصار جسمنا رفاتاً تراباً تعود إلينا الحياة؟ ونبعث من جديد لنحاسب على أعمالنا إن هذا لعجيب[١].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف

١- بيان نشوء الوهم عند المشركين من عدم إدراك الناس لقيمة بشريتهم وكرامتها على الله، فاستكثروا على بشر أن يكون رسولاً من عند الله[٢].

٢- أن الله يرسل الرسول للقوم من نوعهم ليسهل مخالطة القوم؛ لأن اتحاد النوع هو قوام تيسير المعاشرة[٣].

٣- كذلك نشأ هذا الوهم عندهم من عدم إدراكهم لطبيعة الملائكة، وأنهم ليسوا مهيئين للاستقرار في الأرض وهم في صورتهم الملائكية حتى يميزهم الناس ويستيقنوا أنهم ملائكة[٤].

٤- "المشي والاطمئنان في الأرض من صفة الإنسان"[٥].

---

(١) انظر: تفسير المراغي (٩٣/١٥)، التفسير الواضح، لحجازي (٢/ ٣٩٦)، التفسير المنير، للزحيلي (١٦٨/١٥).
(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٥١).
(٣)التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ٢١٣).
(٤) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٥١).
(٥)التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ٢١٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- لو أن الملائكة تعيش في الأرض لصاغهم الله في صورة آدمية؛ لأنها الصورة التي تتفق مع نواميس الخلق وطبيعة الأرض(١).

٦- جعل الله للهدى والضلال سنناً، وترك الناس لهذه السنن يسيرون وفقها، ويتعرضون لعواقبها، ومن هذه السنن أن الإنسان مهيأ للهدى وللضلال، وفق ما يحاوله لنفسه من السير في طريق الهدى أو طريق الضلال(٢).

٧- ﴿**قل كفى بالله**﴾ تسلية له وتثبيتاً لنفسه وتعهداً له بالفصل بينه وبينهم كما قال نوح وهود ﴿**قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ**﴾ [المؤمنون: ٢٦] ، وغيرهما من الرسل قال قريباً من ذلك(٣).

٨- يحشر الله الكفار يوم القيامة في صورة مهينة مزعجة: ﴿**عَلى وُجُوهِهِمْ**﴾ يتكفأون ﴿**عُمْيا وَبُكْما وَصُمًّا**﴾ مطموسين محرومين من جوارحهم التي تهديهم في هذا الزحام، جزاء ما عطلوا هذه الجوارح في الدنيا عن إدراك دلائل الهدى(٤).

٩- أمر الله الرسول بأن يجيبهم عن هذه الشبهة بقوله: لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين الآية، فاختص الله رسوله محمداً -ﷺ- باجتثاث هذه الشبهة من أصلها اختصاصاً لم يلقنه من سبق من الرسل(٥).

١٠- الجمع بين التشويه والتعذيب؛ لأن الوجه أرق تحملاً لصلابة الأرض من الرِّجل، وهذا جزاء مناسب للجرم؛ لأنهم روجوا الضلالة في صورة الحق ووسموا الحق بسمات الضلال فكان جزاؤهم أن حولت وجوههم أعضاء مشي عوضاً عن الأرجل(٦).

١١- يُحشر المشركون يوم القيامة عمياً وبكماً جزاء أقوالهم الباطلة على الرسول وعلى القرآن، وصماً جزاء امتناعهم من سماع الحق(٧).

١٢- الله -سبحانه- يصطفي من الملائكة رسلاً يمكنهم التلقِّي عن الله ويصطفي من البشر رسلاً يمكنهم التلقِّي عن الملائكة، ثم يُبلّغ الرسولُ المصطفى البشرَ بني جنسه(٨).

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٥١).
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٣)التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ٢١٤).
(٤) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٥١).
(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ٢١٢).
(٦)التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ٢١٧).
(٧) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٥/ ٢١٧)، الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٧٦٠).
(٨) الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٧٤٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٣- مسألة التبليغ عن الله تجد أنها لا تتم إلا ببشر، فكيف يبلغ البشرَ جنسٌ آخر، ولا بد من التلقي من وسائط بين الحق -ﷻ- وبين الناس[١].

١٤- اعتراض المشركين على بشرية الرسول أمر قديم توارثه أهل الكفر والعناد من أيام نوح -عليه السلام-[٢].

١٥- لا يقوم تبليغ الرسالة على الرؤية فقط، لكن الرسالة تحتاج إلى مخالطة ومخاطبة، وهنا لا بُدَّ أنْ يتصوّر لكم الملَك في صورة رجل ليؤدي مهمة البلاغ[٣].

١٦- من رحمته بهم، أن أرسل إليهم بشرًا منهم، فإنهم لا يطيقون التلقي من الملائكة[٤].

١٧- "الهداية نوعان: هداية الدلالة المطلقة والتي تكون لجميع الخلق المؤمن والكافر، فقد دَلَّ الله المؤمن والكافر على الطريق المستقيم وبيَّنه لهم وأرشدهم إليه، والأخرى: هداية التوفيق والمعونة للقيام بمتطلبات المنهج الذي آمنوا به، وهذه خاصّة بالمؤمن"[٥].

١٨- قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} فمن شهادته لرسوله ما أيده به من المعجزات، وما أنزل عليه من الآيات، ونصره على من عاداه وناوأه[٦].

١٩- نفى الله عن رسول الله هداية التوفيق والمعونة؛ لأنه -ﷺ- لا يملكها، وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [الشورى: ٥٢] فأثبتَ له هداية البيان والدلالة؛ لأن هذه هي مهمته كمبلِّغ عن الله[٧].

٢٠- لو قدر الله أن الملائكة تعيش في الأرض لصاغهم في صورة آدمية، لأنها الصورة التي تتفق مع نواميس الخلق وطبيعة الأرض[٨].

٢٢- بعد أنْ دَلَّ الله رسوله آمن وصدَّق واعترف لله تعالى بالفضل والجميل، بأن أنزل له منهجاً ينظم حياته. فأتحفه الله تعالى بهداية التوفيق والمعونة[٩].

---

(١) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٧٤٨).
(٢) الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٧٤٩).
(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٤) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٤٦٧).
(٥) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٧٥٣).
(٦) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٤٦٧).
(٧) الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٧٥٥).
(٨) في ظلال القرآن (٤/ ٢٢٥١).
(٩) الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٧٥٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٣- بيان أن الاهتداء له سبيل واحد لا غير، لذلك جاء بصيغة المفرد ﴿**وَمَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المهتد...**﴾ [الإسراء: ٩٧]، وأن الضلال له طرق متعدد ومناهج مختلفة، لذلك جاء بصيغة الجمع: ﴿**فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ...**﴾ [الإسراء: ٩٧] [١].

٢٤- لقد جعل الله للهدى وللضلال سننا، وترك الناس لهذه السنن يسيرون وفقها، ويتعرضون لعواقبها. ومن هذه السنن أن الإنسان مهيأ للهدى وللضلال، وفق ما يحاوله لنفسه من السير في طريق الهدى أو طريق الضلال[٢].

٢٥- "استدامة الشيء يُوطِّن صاحبه عليه، واستدامة العذاب واستمراره يجعلهم في إلْف له"[٣].

٢٦- نكاية المشركين وزيادة تعذيبهم عندما تخبت النار وتهدأ، ثم يفاجئون بالعذاب من جديد[٤].

---

(١) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٧٥٨).

(٢) في ظلال القرآن (٤/ ٢٢٥١).

(٣) الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٧٦٢).

(٤) انظر: الخواطر، للشعراوي (١٤/ ٨٧٦٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فالحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث، والذي خرجتُ منه ببعض النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

خرج الباحثُ من هذه الرسالة بالعديد من النتائج؛ منها:

١- التعريف المختار للمقاصد هو (هي المعاني والحِكَم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختصر ملاحظتها بالكون على نوعٍ خاص من أحكام الشريعة)؛ لأنه تعريف شامل لجميع أنواع المقاصد.

٢- أقرب تعريفات الأهداف هو تعريف (ما انعقد العزم على انعقادها في المتعلم، من تحول في مستوى المعارف والمهارات والمواقف، بشرط أن يقع التثبيت من حصول ذلك التحويل إثر فتره من التكوين تحدد مستقبلًا)؛ لما يشتمل على كافة مناحي التعريف.

٣- هناك فروقات دقيقة واختلافات بين المقاصد والأهداف.

٤- لم يقف الباحثُ على تعريف اصطلاحي لكلمة "الدراسة" وقد اجتهد في وضع تعريفٍ جرياً على أصله اللغوي.

٥- الدراسة التحليلية اصطلاحاً: هي تفكيك الكلام على الآية لفظة لفظة، على ما فيها من معان وإعراب وأحكام وغيرها.

٦- أطلق العلماء على سورة الإسراء عدة أسماء اجتهادية، وسميت بهذا الاسم لحادثة الإسراء، وهي السورة الخمسون في ترتيب نزول السور.

٧- لسورة الإسراء العديد من الفضائل، وقد نزلت في أصعب الظروف التي عاشها النبي محمد ﷺ.

٨- محور السورة يدور حول الصراع المستقبلي في فلسطين كما يرى الباحث.

٩- المناسبة هي وجود الاتصال والارتباط بين الآيات وبين السورة حسب المصحف العثماني.

١٠- يرى الباحث أن المعاني اللغوية لكلمة المناسبة متوافقة مع المعاني الاصطلاحية لها.

١١- هناك مناسبة داخلية لسورة الإسراء وكذلك بين افتتاحيتها وخاتمتها، وكذلك هناك مناسبة خارجية بينها وبين سورة النحل وسورة الكهف التي بعدها.

١٢- ثبوت حادثة الإسراء بنص القرآن الكريم بدلالة قطعية وكان بالروح والجسد يقظة راكباً البراق، لا في الرؤيا والمنام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٣- لا خلاف بين العلماء وأهل السير أن الصلاة إنما فرضت بمكة ليلة الإسراء.

١٤- المقصود من الإسراء والمعراج أن يري الله نبيه الآيات العظمى.

١٥- في الإسراء من مكة إلى بيت المقدس الإشارة إلى وحدة الأنبياء في الرسالة والهدف والتوجه.

١٦- صِدقُ إخبارِ الله لبني إسرائيل أنهم سيقدمون على الفساد والمعاصي.

١٧- هناك إفسادتان لبني إسرائيل، وهناك خلاف بين المعاصرين حول الإفسادة الثانية.

١٨- إن القرآن الكريم أنزله الله تعالى على محمد ﷺ سبب اهتداء للبشرية قاطبة، وهو مرجعية للبشر واحتوى على شمائل الخير.

١٩- اختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقص، دليل على وحدانية الله تعالى ووجوده.

٢٠- الأمم المغلوبة على أمرها، تستطيع أن تسترد مجدها، متى أصلحت من شأن أنفسها، ومتى استقامت على أمر الله تعالى.

٢١- سيظل اليهود خميرة عكننة ونكَدٍ بين سكان الأرض إلى يوم القيامة، وهذه الخميرة هي في نفس الوقت عنصر إثارة وإهاجة للإيمان والخير.

٢٢- تقرير مبدأ المسؤولية الشخصية من مفاخر الإسلام ومبادئه التي صححت مفهوم العقاب عند الرومان والعرب وغيرهم.

٢٣- إن عذاب الاستئصال لا يكون إلا بشيوع المعاصي والذنوب والمنكرات.

٢٤- الناس في مجال العمل في الدنيا صنفان: صنف يريد الدنيا، وصنف يريد الآخرة.

٢٥- إن رزق الله وعطاءه مكفول لكل إنسان بشرط السعي والعمل.

٢٦- إن الأمور التي يكلف بها كل فرد بصفته الفردية جاء الأمر أو النهي فيها بصيغة المفرد أما الأمور التي تناط بالجماعة فقد جاء الأمر أو النهي فيها بصيغة الجمع.

٢٧- سلك القرآن في تقرير عقيدة التوحيد العديد من الطرق والوسائل والأساليب؛ لأنه لا يحتاج أكثر من التذكر والرجوع إلى الفطرة.

٢٨- إن جميع الكون بسمائه وطبقات النجوم وبروجها، والأرض والأفلاك، والشجر والدواب، والبحر والبر، والإنس والجن، كله خاضع لله، مطيع لأمره.

٢٩- لقد كانت الفطرة تدفع المشركين إلى الاستماع والتأثر، والكبرياء يدفعهم عن التسليم والإذعان.

٣٠- مهمة الشيطان أن ينزغ بين المؤمنين، ويفرق بينهم ويوغر الصدور، ويبث البغضاء والشحناء، ليضعف المسلمين ويشق عصاهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: التوصيات:

١- أوصي إخواني الباحثين أن يقوموا بدراسة سورة الإسراء بفقه الواقع، وقراءة عصرية لآيات بني إسرائيل.

٢- البحث في مجال مقاصد القرآن والتعمق في النص القرآني؛ لأن الآية القرآنية تحمل العديد من المقاصد التي قد تخفى على كثير من المسلمين.

٣- آمل من جميع المعنيين توعية الخطباء والواعظين بضرورة تناول المقاصد والأهداف في الآيات التي يتم تناولها؛ لما يترتب على ذلك مزيد هداية وإرشاد في قلوب السامعين.

٤-آمل من قسم التفسير وعلوم القرآن في جامعتي الغراء أن يتبنى الدعوة لطباعة ونشر هذه الموسوعة التفسيرية، بعد الانتهاء من إجازة جميع رسائلها العلمية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ...﴾	١٥	١٣١
﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ...﴾	٢٤	٢٠٩
﴿ وَتَصْرِيفِ الرياح...﴾	١٦٤	١٢٧
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلى...﴾	١٧٨	١١٥
﴿ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ...﴾	٢٢٠	١٠٧
﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ...﴾	٢٥١	٥٤
﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ...﴾	٢٥٣	٧٣
سورة النساء		
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا...﴾	١٠	١١٢
﴿ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا...﴾	١١	١١٣
﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ المسيح أَن يَكُونَ عَبْداً للَّهِ...﴾	١٧٢	١٥٧
سورة الأنعام		
﴿ لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً...﴾	٨-٩	٢٢١
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً...﴾	٢١	٢٢١
﴿ ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾	٣٨	٦٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ قُلْ هُوَ الْقادِرُ عَلى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذاباً مِنْ فَوْقِكُمْ...﴾	٦٥	١٧٦
﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ...﴾	١٥١	١٠٨
سورة الأعراف		
﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَواشٍ...﴾	٤١	٤٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ...﴾	٩٤	١٢٩
﴿وَاِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ...﴾	١٦٧	٥٣
سورة الأنفال		
﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ...﴾	٣٢	٥٧
﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ...﴾	٣٨	١٢٨
سورة يونس		
﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً، وَالْقَمَرَ نُوراً...﴾	٥	٦٩
﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ...﴾	١١	٦٨
﴿ قُل لَّوْ شَآءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُمْ بِهِ...﴾	١٦	١٦٣
سابعاً: سورة هود		
﴿ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ...﴾	١٣	٢٠٩
﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ...﴾	١٠٢	١٥٧
سورة يوسف		
﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ...﴾	٨٧	٢٠٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي...﴾	١٠٠	١٥٠
سورة إبراهيم		
﴿ لَئِن شَكَرْتُم لأَزِيدَنَّكُمْ...﴾	٧	١٠٤
سورة الأنبياء		
﴿ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ...﴾	٥	١٥٨
﴿ لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا...﴾	٢٢	١٢٨
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ...﴾	٢٥	١٢٣
سورة المؤمنون		
﴿ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ...﴾	٢٦	٢٢٣
سورة النور		
﴿ الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلَّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً...﴾	٣	١١١
سورة الفرقان		
﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ...﴾	٦٢	١٦٩
﴿ وَالَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا...﴾	٦٧	٩٩
سورة القصص		
﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ...﴾	٧٠-٧٣	٦٩
سورة الحجر		
﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ...﴾	٩٨	٣٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سورة النحل		
﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ...﴾	٩	١٠
﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ...﴾	٢٥	٧٠
﴿ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ...﴾	٧١	٨١
﴿ وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ...﴾	٨٩	٦٦
﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ...﴾	١٢٤	٢٩
﴿ وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾	١٢٥	١٤٧
سورة الإسراء		
﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا...﴾	١	٣٤
﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...﴾	٢	٣٤
﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ...﴾	٣	٣٤
﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ...﴾	٤	٤٣
﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ...﴾	٥	٤٣
﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ...﴾	٦	٤٣
﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ...﴾	٧	٤٤
﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ...﴾	٨	٤٤
إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...﴾	٩	٥٦
﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ...﴾	١٠	٥٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ...﴾	١١	٥٦
﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ...﴾	١٢	٥٦
﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ...﴾	١٣	٥٦
﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ...﴾	١٤	٥٦
﴿ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ...﴾	١٥	٥٦
﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً...﴾	١٦	٥٦
﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ...﴾	١٧	٥٦
﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا...﴾	١٨	٧٣
﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا...﴾	١٩	٧٣
﴿ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ...﴾	٢٠	٧٣
﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾	٢١	٧٣
﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ...﴾	٢٢	٨١
﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ...﴾	٢٣	٨١
﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ...﴾	٢٤	٨١
﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ...﴾	٢٥	٨١
﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ...﴾	٢٦	٩٥
﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ...﴾	٢٧	٩٥
﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ...﴾	٢٨	٩٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ...﴾	٢٩	٩٥
﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ...﴾	٣٠	٩٥
﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ...﴾	٣١	١٠٦
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً...﴾	٣٢	١٠٦
﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾	٣٣	١٠٦
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ...﴾	٣٤	١٠٦
﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ...﴾	٣٥	١١٧
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾	٣٦	١١٧
﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا...﴾	٣٧	١١٧
﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا...﴾	٣٨	١٧٧
﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ...﴾	٣٩	١٧٧
﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ...﴾	٤٠	١٢٥
﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ...﴾	٤١	١٢٥
﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ...﴾	٤٢	١٢٥
﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ...﴾	٤٣	١٢٥
﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ...﴾	٤٤	١٢٥
﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ...﴾	٤٥	١٣٢
﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ...﴾	٤٦	١٣٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ...﴾	٤٧	١٣٢
﴿ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ...﴾	٤٨	١٣٣
﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا...﴾	٤٩	١٣٩
﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا...﴾	٥٠	١٣٩
﴿ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ...﴾	٥١	١٣٩
﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ...﴾	٥٢	١٣٩
﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾	٥٣	١٤٤
﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ...﴾	٥٤	١٤٤
﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾	٥٥	١٤٤
﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ...﴾	٥٦	١٥٢
﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ...﴾	٥٧	١٥٢
﴿ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا...﴾	٥٨	١٥٨
﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ...﴾	٥٩	١٥٨
﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ...﴾	٦٠	١٦٦
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ...﴾	٦١	١٦٦
﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ...﴾	٦٢	١٦٦
﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ...﴾	٦٣	١٦٦
﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ...﴾	٦٤	١٦٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ...﴾	٦٥	١٦٦
﴿ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ...﴾	٦٦	١٧٣
﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ...﴾	٦٧	١٧٣
﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ...﴾	٦٨	١٧٣
﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى...﴾	٦٩	١٧٣
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾	٧٠	١٧٨
﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ...﴾	٧١	١٧٨
﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى...﴾	٧٢	١٧٨
﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ...﴾	٧٣	١٨٣
﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ...﴾	٧٤	١٨٣
﴿ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ...﴾	٧٥	١٨٣
﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا...﴾	٧٦	١٨٣
﴿ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا...﴾	٧٧	١٨٣
﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ...﴾	٧٨	١٩١
﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ...﴾	٧٩	١٩١
﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ...﴾	٨٠	١٩١
﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ...﴾	٨١	١٩١
﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ...﴾	٨٢	١٩٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ...﴾	٨٣	١٩٨
﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ...﴾	٨٤	١٩٨
﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ...﴾	٨٥	١٩٨
﴿ولَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ...﴾	٨٦	٢٠٤
﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ...﴾	٨٧	٢٠٤
﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ...﴾	٨٨	٢٠٤
﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ...﴾	٨٩	٢٠٤
﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا...﴾	٩٠	٢١٠
﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ...﴾	٩١	٢١٠
﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا...﴾	٩٢	٢١٠
﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ...﴾	٩٣	٢١٠
﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى...﴾	٩٤	٢١٦
﴿ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ...﴾	٩٥	٢١٦
﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ...﴾	٩٦	٢١٦
﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ...﴾	٩٧	٢١٦
﴿ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا...﴾	٩٨	٢١٦
سورة الكهف		
﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا...﴾	٩٨	٣٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا...﴾	٩٩	٣٠
﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ...﴾	١١٠	٣٨
سورة طه		
﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ...﴾	٣٣	١٥٨
﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا...﴾	٤٤	١٤٩
﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى...﴾	١٢٤	١٨٠
﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا...﴾	١٢٥	١٨٠
سورة النمل		
﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ...﴾	١٧	١٣١
﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ...﴾	١٨	١٣١
سورة الزمر		
﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا: أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ...﴾	٧١	٧٠
﴿ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ...﴾	٧٢	١٢٣
سورة العنكبوت		
﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ...﴾	١٣	٧٠
﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ...﴾	٤٦	١٤٧
سورة الروم		
﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً...﴾	٢١	١١٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سورة لقمان		
﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ، إِلَيَّ الْمَصِيرُ...﴾	١٤	٨٥
﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ...﴾	١٩	١٠
سورة سبأ		
﴿ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ...﴾	٩	٢١٤
﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ...﴾	٢٠	١٧٢
﴿ لا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنا...﴾	٢٥	٧٠
سورة الصافات		
﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْواجَهُمْ...﴾	٢٢	٩٩
﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ...﴾	٦٤	١٥٩
﴿ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا...﴾	٦٦	١٥٩
﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ...﴾	١٠٢	٨٨
سورة ص		
﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ...﴾	١٦	١٣١
سورة فصلت		
﴿ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ...﴾	٥	١٣٥
سورة الدخان		
﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾	٤٣-٤٤	١٥٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سورة الشورى		
﴿ وَإِنَّكَ لتهدي إلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ...﴾	٢٥	٢٢٥
سورة الزخرف		
﴿ لَوْلا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ...﴾	٣١	٢٢١
﴿ نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا...﴾	٣٢	٧٧
﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً...﴾	٣٦	٩٩
سورة الحجرات		
﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا...﴾	١٤	٦٥
سورة النجم		
﴿ ما زاغ البصر وما طغى...﴾	١٧	٣٨
سورة الممتحنة		
﴿ لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ ...﴾	٨	٨٩
سورة الملك		
﴿ كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها: أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ...﴾	٨	٧٠
﴿ قالُوا: بَلى، قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ، فَكَذَّبْنا...﴾	٧١	٧٠
سورة المعارج		
﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَراهُ قَرِيباً...﴾	٦-٧	١٤٢
سورة النبأ		

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا...﴾	٣٨	٢٠١
سورة التكوير		
﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ...﴾	٨	١١١
سورة البروج		
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾	١١	٦٤
سورة الشمس		
﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاها...﴾	١٤	١٧٦
﴿ وَلا يَخافُ عُقْباها...﴾	١٥	١٧٦
سورة العصر		
﴿ وَالْعَصْرِ *إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	١-٣	٦٤
سورة العلق		
﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾	١٨	٥٩
سورة المسد		
﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾	١	١٣٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: فهرس الأحاديث

طرف الحديث	ورود الحديث	الصفحة
إِنَّ التَّوْرَاةَ كُلَّهَا فِي خَمْسَ عَشْرَةَ آيَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ	**الطبري**	**٢٠**
فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالكَهْفِ، وَمَرْيَمَ: إِنَّهُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ"	**البخاري**	**٢٣**
كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالزُّمَرَ	**الترمذي**	**٢٠**
مَنْ قَرَأَ سُورَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَرَقَّ قَلْبُهُ عِنْدَ ذِكْرِ الْوَالِدَيْنِ	**الواحدي**	**٢٣**
أحيّ والداك ؟	**البخاري**	**٨٩**
إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ	**مسلم**	**٨٩**
اغسلوا أيديكم واشربوا فيها	**ابن ماجه**	**١٧٩**
أمك وأباك، ثم أدناك أدناك	**مسند أحمد**	**٩٨**
إن الميت ليعذّب ببكاء أهله	**البخاري**	**٧١**
إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ	**البخاري**	**٧٧**
أن أهل مكة سألوا أن يجعل لهم الصفا ذهباً	**النسائي**	**١٥٩**
إن من أبرّ البرّ: صلة الرجل أهل ودّ أبيه	**مسلم**	**٨٩**
إن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الفقر	**ترتيب الأمالي**	**١٠١**
إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ	**مسند أحمد**	**٩٤**
إنما الأعمال بالنيات	**البخاري**	**٧٦**
إياكم والشح، فإنه أهلك من كان قبلكم	**مسند أحمد**	**١٠٠**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بينا أنا مع النبي -ﷺ- في حرث، وهو متكئ على عسيب	**البخاري**	**١٩٩**
ثَلاثٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ	**مسند أحمد**	**١٠٠**
خَيْرُ ما قُلْتُه أنا والنبيون من قبلي	**الترمذي**	**١٥٠**
رغم أنفه، رغم أنفه، رغم أنفه، قيل من يا رسول الله؟	**مسلم**	**٨٦**
فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ	**البخاري**	**٩٤**
قدمت أمّي وهي مشركة في عهد قريش ومدّتهم	**البخاري**	**٩٨**
كان النبي -ﷺ- بمكة، ثم أمر بالهجرة	**الترمذي**	**١٩٢**
كُلُّ غُلَامٍ مُرْتَهَنٌ بِعَقِيقَتِهِ	**ابن ماجه**	**٩٤**
كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ	**البخاري**	**٩٤**
لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ،	**مسلم**	**٦٨**
لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد	**البخاري**	**٤٠**
لاَ تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْرٍ	**البخاري**	**٩٤**
لا يحل دم امرى مسلم يشهد أن لا إله إلا الله	**البخاري**	**١١٦**
لا يزني الزاني حين يزني	**البخاري**	**١١١**
لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أقبلت العوراء أم جميل	**المستدرك**	**١٣٤**
اللهمّ لا تكلني إلى نفسي طرفة عين	**حلية الأولياء**	**١٨٤**
ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله	**مسلم**	**١٢٣**
مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ	**البخاري**	**١٠٠**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من أحبّ أن يبسط له في رزقه	**البخاري**	**١٠١**
من الكبائر شتم الرجل والديه	**البخاري**	**٩١**
مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ	**البخاري**	**٩٥**
نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن	**البخاري**	**١٥٣**
يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار	**البخاري**	**١٩٧**
من كان في الدنيا أعمى عما يرى من قدرتي	**العظمة**	**١٧٧**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: فهرس الأعلام

م	اسم العلم	الصفحة
١	ابن الأعرابي	١١٥
٢	ابن جزي	٢٨
٣	أبو عبيد	١١٥
٤	أبو علي الفارسي	١١٦
٥	الأخفش	١٤١
٦	الريسوني	١١
٧	الزجاج	١١٥
٨	سيد قطب	٢٩
٩	الضحاك	٢٠٣
١٠	الفراء	١١٥
١١	الكسائي	١٣٥
١٢	الليث	١١٦
١٣	مقاتل	١٥٤
١٤	النحاس	١١٦
١٥	النيسابوري	٦١
١٦	اليزيدي	١٤٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٧	الشربيني	٢١
١٨	علال الفاسي	١٣
١٩	حويطب بن عبد العزى	١٢٨
٢٠	التستري	٦٠
٢١	المطعني	٦٤
٢٢	عبد الواحد بن زيد	١٧
٢٣	السمرقندي	٥٨
٢٤	الأصفهاني	٦١
٢٥	الأزهري	٢٠٢
٢٦	ابن جني	٣٥
٢٧	أبو عبيدة	١١٥
٢٨	الفرات بن سليمان	١٨٠
٢٩	البقاعي	٢٨
٣٠	عطاء بن أبي رباح	١٧٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً: المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً- كتب التفسير:

١. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية برقم ٩٥١/ ٥ وتاريخ ١٤٠٦/٨/٥هـ، الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

٢. أحكام القرآن، لابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

٣. أحكام القرآن، للجصاص، تحقيق: محمد صادق القمحاوي – عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٥ هـ.

٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥. أسباب النزول، للواحدي، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

٦. أسرار ترتيب القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

٧. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

٨. إعراب القرآن للدعاس، دار المنير ودار الفارابي – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.

٩. إعراب القرآن وبيانه، للدرويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ.

١٠. الأنساب: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٢ م.

١١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٢. إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٥ هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٣. أيسر التفاسير، أبو بكر للجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
١٤. باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، للغزنوي، المحقق (رسالة علمية): سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.
١٥. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بدون تاريخ أو دار نشر.
١٦. البحر المحيط في التفسير، لابن حيان، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
١٧. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس الأنجري الفاسي، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ.
١٨. البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م.
١٩. بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي، المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
٢٠. تاج العروس، الزَّبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٢١. تأويلات أهل السنة، للماتريدي، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
٢٢. التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.
٢٣. تذكرة الأريب في تفسير الغريب، لابن الجوزي، تحقيق: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.
٢٤. ترتيب الأمالي الخميسية، للشجري الجرجاني، رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.
٢٥. التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٦ هـ.
٢٦. تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
٢٧. تفسير ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، المحقق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٨. تفسير ابن كثير، ابن كثير القرشي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
٢٩. تفسير الإمام الشافعي، الإمام الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان، دار التدمرية - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ م.
٣٠. تفسير التستري، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.
٣١. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى.
٣٢. التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ.
٣٣. تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٣٤. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.
٣٥. تفسير العز بن عبد السلام، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٣٦. تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٣٧. تفسير القرآن، للسمعاني، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
٣٨. التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي - القاهرة.
٣٩. تفسير المراغي، المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
٤٠. التفسير المظهري، المظهري، محمد ثناء الله، المحقق: غلام نبي التونسي، الناشر: مكتبة الرشدية - الباكستان، الطبعة: ١٤١٢ هـ،
٤١. التفسير المنير، للزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.
٤٢. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه أحمد بن عبد الله الزهراني، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٤٣. التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.
٤٤. التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، دار الجيل الجديد - بيروت، الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤٥. التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.
٤٦. تفسير عبد الرزاق، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.
٤٧. تفسير مجاهد، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م.
٤٨. تفسير مقاتل بن سليمان، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ.
٤٩. تفسير يحيى بن سلام، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.
٥٠. التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، لأبي هلال العسكري، عني بتَحقيقِه: الدكتور عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٩٩٦ م.
٥١. تيسير الكريم المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.
٥٢. تيسير اللطيف المنان، لعبد الرحمن آل سعدي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٥٣. جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
٥٤. جامع البيان في تفسير القرآن، الإيجي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.
٥٥. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
٥٦. الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ.
٥٧. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
٥٨. حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي، للخفاجي، دار النشر: دار صادر – بيروت.
٥٩. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، للمطعني، مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م
٦٠. الدر المصون، للسمين الحلبي، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦١. روح البيان، لإسماعيل حقي، دار الفكر – بيروت.
٦٢. روح المعاني، للألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٦٣. زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
٦٤. زهرة التفاسير، الإمام محمد أبو زهرة، دار النشر: دار الفكر العربي.
٦٥. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، ١٢٨٥ هـ.
٦٦. الصحيح المسبور، لحكمت ياسين، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة– المدينة النبوية، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
٦٧. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
٦٨. الطبعة: ١٣٨١ هـ.
٦٩. العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي، المحقق: خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ.
٧٠. غرائب التفسير وعجائب التأويل، لتاج القراء، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.
٧١. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.
٧٢. فتح البيان في مقاصد القرآن، لابن لطف الله الحسيني البخاري، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .
٧٣. فتح القدير، للشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.
٧٤. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، للشيخ علوان، دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.
٧٥. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
٧٧. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.
٧٨. لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.
٧٩. اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الدمشقي، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.
٨٠. لطائف الإشارات، للقشيري، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.
٨١. مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم، دار القلم، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
٨٢. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠م.
٨٣. مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري، المحقق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة
٨٤. محاسن التأويل، للقاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
٨٥. المحرر الوجيز لابن عطية، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
٨٦. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو،دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
٨٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن، الإمام البغوي، المحقق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ.
٨٨. المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، د. أحمد أبو شوفة، دار الكتب الوطنية – ليبيا، ٢٠٠٣م.
٨٩. مفاتيح الغيب، للرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٢٠ هـ.
٩٠. المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة: الثامنة عشر، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٩١. الموسوعة القرآنية خصائص السور، جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ.
٩٢. الناسخ والمنسوخ، للنحاس، المحقق: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.
٩٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٩٤. النكت والعيون، للماوردي، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.
٩٥. الهداية الى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

كتب الحديث:

١. حلية الأولياء لأبي نعيم، السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.
٢. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.
٣. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.
٤. سنن النسائي، المجتبى من السنن، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م.
٥. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٦. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٧. صحيح الجامع الصغير وزيادته، ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
٨. مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
٩. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠. العظمة: لأبِي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
١١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نُعيم، مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

كتب التراجم:

١. الأعلام، خير الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
٢. إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٢م.
٣. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.
٤. سير أعلام النبلاء، للذهبي، دار الحديث– القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.
٥. شذرات الذهب، لابن العماد، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.
٦. معجم الأدباء، لياقوت الحموي، المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣ م.
٧. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، المحقق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.
٨. وفيات الأعيان، لابن خلكّان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٩٩٤م.

كتب اللغة العربية:

١. أساس البلاغة، للزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
٢. إصلاح المنطق، لابن السكيت، المحقق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣. إيضاح شواهد الإيضاح، لأبي الحسن القيسي، أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.

٤. التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، المحقق : علي محمد البجاوي، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٥. تهذيب اللغة، لابن لأزهري الهروي، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٦. الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، المحقق: مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع.

٧. العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٨. غريب القرآن، لابن قتيبة، المحقق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، السنة: ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م.

٩. غريب القرآن، للسجستاني، المحقق : محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة – سوريا، الطبعة : الأولى ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

١٠. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا الأنصاري، المحقق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م

١١. القاموس المحيط، اللفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٢. اللباب في قواعد اللغة، للسراج، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

١٣. لسان العرب، لابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

١٤. المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

١٥. مختار الصحاح، لأبي عبد الله الحنفي الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٦. المخصص، لابن سيده، المحقق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
١٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت.
١٨. معانى القرآن، للأخفش، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠ م.
١٩. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨ م.
٢٠. معاني القرآن، للنحاس، المحقق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
٢١. معجم الفروق اللغوية، للعسكري، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.
٢٢. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
٢٣. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الدعوة.
٢٤. المعجم الوسيط، مجموعة من الباحثين بإشراف الدكتور شوقي ضيف.
٢٥. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٢٦. المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.
٢٧. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

كتب حديثة:

١. أخلاقنا الاجتماعية ، د. مصطفى السباعي، دار السلام، ٢٠١٠م.
٢. الأساليب والإطلاقات العربية، محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.
٣. الإعلام ببر الوالدين وصلة الأرحام، لإبراهيم الحازمي، الرياض، ١٤٢٩هـ، ط٢.
٤. ألف سؤال وجواب في القرآن، لقاسم عاشور، دار ابن حزم؛ سنة النشر: ١٤٢٢ – ٢٠٠١م.
٥. أهداف ومقاصد سورة الإسراء مع بيان المفردات الغريبة، د. زكريا إبراهيم الزميلي، ٢٠١١م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦. البدهيات في القرآن الكريم: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة ٢٧ العددان ١٠٣ و ١٠٤ – ١٤١٦ / ١٤١٧هـ/١٩٨٦-١٩٨٧م.
٧. بر الوالدين ، لعبد الرءوف الحناوي
٨. بر الوالدين في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، لنظام سكجها.
٩. بر الوالدين وحقوق الآباء والأبناء والأرحام، لأحمد عيسى عاشور.
١٠. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى.
١١. علم المقاصد الشرعية، نور الدين بن مختار الخادمي الناشر: مكتبة العبيكان الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
١٢. مجلة جمعية القدس للبحوث والدراسات الإسلامية، مجلة علمية محكمة.
١٣. مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر ابن عاشور، طبعة دار النفائس.
١٤. من بلاغة القرآن، لأحمد البدوي، نهضه مصر – القاهرة، ٢٠٠٥م.
١٥. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية – ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.
١٦. وبالوالدين إحساناً، لسعاد بنت محمد فرج.
١٧. الوحدة الموضوعية بين عبد الحميد الفراهي، وسيد قطب (دراسة ومقارنة)، د. صبحي رشيد اليازجي، ص ٢٥٨٠، رسالة ماجستير – الجامع الإسلامية –غزة.
١٨. الوحدة الموضوعية لسور العصر، صبحي اليازجي، الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية، بحث محكم
١٩. وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	ث
شكر وتقدير	ج
المقدمة	١
خطة البحث	٣
الفصل التمهيدي **مفهوم الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف السور القرآنية**	٨
المبحث الأول: تعريف مقاصد وأهداف السور القرآنية، وأهميتها.	٩
المطلب الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً.	١٠
المطلب الثاني: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً.	١٢
المطلب الثالث: الفرق بين الأهداف والمقاصد.	١٣
***المبحث الثاني: المقصود بالدراسة التحليلية للسور القرآنية، وأهميتها.**	١٤
المطلب الأول: الدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً.	١٥
المطلب الثاني: أهمية الدراسة التحليلية للسور القرآنية.	١٦
الفصل الأول **تعريف عام بسورة الإسراء..مناسبتها، وبيان مقاصدها وأهدافها**	١٨
***المبحث الأول: التعريف العام بسورة الإسراء.**	١٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول : أسماء السورة ووجه التسمية.	٢٠
المطلب الثاني : ترتيب السورة، وعدد آياتها، مكية أو مدنية.	٢١
المطلب الثالث : فضائل السورة، وجو نزولها.	٢٣
المطلب الرابع : المحور الأساس لسورة الإسراء.	٢٤
***المبحث الثاني: المناسبة في سورة الإسراء.**	٢٦
المطلب الأول : تعريف المناسبة لغة واصطلاحاً.	٢٧
المطلب الثاني : المناسبة الداخلية لسورة الإسراء.	٢٨
المطلب الثالث : المناسبة الخارجية لسورة الإسراء.	٢٩
الفصل الثاني **الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد سورة الإسراء، من الآية:(١ _ ٩٨)**	٣١
المبحث الأول: الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد سورة الإسراء، من الآية: (١_٣٠).	٣٣
المطلب الأول: معجزة الإسراء وأثرها في الربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وتسلم المسلمين الراية من بني اسرائيل(٣.١) .	٣٤
المطلب الثاني: علو بني اسرائيل ..وفسادهم .. وتدميرهم، من الآية (٤. ٨).	٤٣
المطلب الثالث: الإنسان بين نعم الله عليه والجزاء في الدنيا والآخرة، من الآية (١٨.٩).	٥٦
المطلب الرابع:جزاء من أراد الدنيا ومن أراد الآخرة، من الآية (١٨-٢١).	٧٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس: حق الله مقروناً بحق الوالدين، ووجوب الإحسان إليهما، من الآية (٢٢. ٢٥).	٨١
المطلب السادس: حق ذوي القربى والاقتصاد في الإنفاق، من الآية (٣٠.٢٦).	٩٥
***المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد سورة الإسراء،من الآية: (٣١- ٦٠).**	١٠٥
المطلب الأول: تحريم القتل وأكل مال اليتيم (٣١-٣٤).	١٠٦
المطلب الثاني: إيفاء الكيل والميزان والتثبت من المعلومات والتواضع (٣٥-٣٩).	١١٧
المطلب الثالث: نسبة الولد لله والشريك لله تعالى (٤٠-٤٤).	١٢٥
المطلب الرابع: حماية النبي عليه الصلاة والسلام من الأذى (٤٥-٤٨).	١٣٢
المطلب الخامس: إنكار المشركين البعث (٤٩-٥٢).	١٣٩
المطلب السادس: الأسلوب الأفضل في الجدال (٥٣-٥٥).	١٤٤
المطلب السابع: عبدة البشر والأوثان والملائكة (٥٦-٥٨).	١٥٢
المطلب الثامن: طلب الآيات التعجيزية (٥٩-٦٠).	١٥٨
***المبحث الثالث: الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد سورة الإسراء، آية: (٦٠-٩٨).**	١٦٥
المطلب الأول: أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام (٦١-٦٥).	١٦٦
المطلب الثاني: نعمة الإبحار (٦٦- ٦٩).	١٧٣
المطلب الثالث: تكريم الإنسان (٧٠-٧٢).	١٧٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع: محاولات المشركين فتنة النبي -ﷺ- وطرده من مكة (٧٣-٧٧).	١٨٣
المطلب الخامس: تشريع الصلاة وإعلان الحق (٧٨-٨١).	١٩١
المطلب السادس: القرآن والروح (٨٢-٨٥).	١٩٨
المطلب السابع: إعجاز القرآن الكريم (٨٦-٨٩).	٢٠٤
المطلب الثامن: طلب المشركين آيات تعجيزية (٩٠-٩٣).	٢١٠
المطلب التاسع: استغراب المشركين من كون الرسل بشراً (٩٤-٩٧).	٢١٦
الخاتمة	٢٢٦
الفهارس العامة.	٢٢٨
١-فهرس الآيات القرآنية.	٢٢٩
٢-فهرس الأحاديث النبوية.	٢٤٢
٣-فهرس الأعلام المترجم لهم.	٢٥
٤-فهرس المصادر والمراجع.	٢٤٦
٥-فهرس الموضوعات.	٢٥٧
ملخص باللغة العربية.	٢٦١
ملخص باللغة الإنجليزية.	٢٦٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص الرسالة

(الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع والعشرين من القرآن الكريم)

(سورة الإسراء من الآية: ١-٩٨)

تناول الباحث في هذه الدراسة مقاصد الحزب التاسع والعشرين من القرآن الكريم وأهدافه، وجاء هذا البحث في مقدمة وفصل تمهيدي للناحية النظرية وفصلين للناحية العملية وخاتمة وفهارس، وذلك على النحو التالي:

المقدمة وشملت أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

الفصل التمهيدي، وتناول فيه الباحث مفهوم الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف السور القرآنية؛ حيث تناول في المبحث الأول تعريف مقاصد وأهداف السور القرآنية، وبين الفرق بين الأهداف والمقاصد، وفي المبحث الثاني بين المقصود بالدراسة التحليلية للسور القرآنية، وأهميتها.

الفصل الأول: تناول فيه الباحث تعريفاً عاماً بسورة الإسراء ومناسبتها وبيان مقاصدها وأهدافها. حيث تكون الفصل من مبحثين، تناول في المبحث الأول التعريف العام بسورة الإسراء، فبين أسماء السورة وترتيبها وعدد آياتها وفضائلها وجو نزولها والمحور الأساس للسورة.

وفي المبحث الثاني تناول المناسبة في سورة الإسراء، حيث عرّف المناسبة وبين المناسبة الداخلية والخارجية لسورة الإسراء.

الفصل الثاني: تناول فيه الباحث الدراسة التحليلية لأهداف سورة الإسراء، من الآية:(١_ ٩٨) ومقاصدها، فأظهرت السورة معجزة الإسراء وأثرها في الربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وتسلم المسلمين الراية من بني إسرائيل وعلو بني إسرائيل وفسادهم وتدميرهم، وكذلك تحدثت عن الإنسان بين نعم الله عليه والجزاء في الدنيا والآخرة، وأوضحت جزاء من أراد الدنيا ومن أراد الآخرة، وبينت أن حق الله مقرونٌ بحق الوالدين، ووجوب الإحسان إليهما، وكذلك بينت حق ذوي القربى والاقتصاد في الإنفاق.

ومن مقاصد الآيات تحريم القتل وأكل مال اليتيم، وإيفاء الكيل والميزان والتثبت من المعلومات والتواضع، وكيف نسب المشركون الولد لله والشريك لله تعالى، وحماية النبي عليه الصلاة والسلام من الأذى، وإنكار المشركين البعث، والأسلوب الأفضل في الجدال، وصفات عبدة البشر والأوثان والملائكة والرد عليهم، وطلب المشركين الآيات التعجيزية من الرسول –عليه الصلاة والسلام–.

ومن مقاصد الآيات أيضاً؛ بيان أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام، وبيان نعمة الإبحار، وتكريم الإنسان، محاولات المشركين فتنة النبي –ﷺ– وطرده من مكة، وتشريع الصلاة وإعلان الحق، وأن القرآن هو الروح، وإعجاز القرآن الكريم، طلب المشركين آيات تعجيزية، واستغراب المشركين من كون الرسل بشراً.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ختم الباحثُ بحثه بخاتمة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات، ثم بمجموعة من الفهارس التي خدمت البحث خدمة جيدة، بالإضافة إلى ملخص للبحث باللغة العربية وآخر باللغة الإنجليزية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

)Analytical study of the purposes and objectives of the Twentey nine Party from the Koran

The researcher in this study purposes of the nineteenth and twentieth Party from the Koran and its objectives, and was at the forefront of this research and the separation of preliminary theory of hand and two scientific hand and a conclusion and indexes, and in the following manner:

Provided Included importance of the subject and the reasons for his choice, and research objectives, and previous studies, and research methodology, and research plan.

The introductory chapter, the researcher dealt with the concept of researcher analytical study of the purposes and objectives of the fence Koranic.

he addressed in the first section the definition of the purposes and objectives of Quranic fence, and the difference between goals and objectives, and in the second section he show the intended analytical study of the fence Koranic, and its importance.

Chapter One: the researcher taking a broad definition of Surat al-Isra, appropriateness, a statement of its purposes and objectives. the separation of the two sections, the first section is addressed in the general definition of Surat al-Isra, Sura he show the names of order, and the number of verses and virtues and Joe descent axis basis for Surat.

In the second section the appropriate intake in Surat Al-Isra, where it was appropriate and between internal and external occasion to Al-Isra.

Chapter Two: the researcher wrote about in the Finder analytical study of the objectives of Al-Isra, verse: (١-٩٨) and purposes, he indicates Sura miracle and its impact in linking the Grand Mosque Al-Aqsa Mosque, and recognizes

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

the Muslim flag of the sons of Israel and altitude the son of Israel and their corruption and destroy them, and also talked about human Yes God between him and the penalty in the world and the Hereafter, and made it clear he wanted a penalty of minimum and wanted the Hereafter, and showed that the right of God coupled with the right of parents, and the need to treat them kindly, as well as the right showed kin and frugality.

One of the purposes verses prohibition of killing and eating wealth of the orphan, and meet the double balance and validation of information and humility, and how rates may detest the boy to God and a partner to God, and the protection of the Prophet peace be upon him from harm, and the denial of the infidels of the Baath, and the method is better in the debate, recipes worshipers humans and idols and angels and respond to them and he asked the infidels verses crippling of the Prophet – peace be upon him.

One of the purposes verses too; a statement ordered the angels to prostrate to Adam, peace be upon him, and the statement of the grace of sailing, and honoring human, attempts polytheists sedition Prophet – peace be upon him – and expelled from Mecca, and legislation prayer and Declaration on the Right, and that the Koran is the Spirit, and the miracle of the Quran, asked the infidels verses incapacitating, The surprise of the infidels from the fact that the apostles human beings.

The researcher shows verses appropriate language and meanings of difficult words and rhetoric as well as the faces of the Quranic verses

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com